جامعة اليرموك
كلية الشريعة
قسم اصول الدين
التفسير وعلوم القرآن

موقف الحداثيين العرب من القرآن الكريم واعجازه

اعداد الطالب
زكي مصطفى محمد البشايرة

اشراف
الاستاذ الدكتور
شحاده حميدي العمري
حقل التخصص – التفسير وعلوم القرآن
٢٠٠٨ م

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(موقف الحداثيين العرب من القرآن الكريم وإعجازه)

إعداد الطالب

زكي مصطفى محمد البشايره

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراة في تخصص التفسير وعلوم القرآن في جامعة اليرموك ، اربد ــ الأردن

وافق عليها

شحاده احميدي العمري ..... **مشرفا رئيسا**

أستاذ التفسير في كلية الشريعة ــ جامعة اليرموك

حسين جابر بني خالد ..... **عضوا**

أستاذ العقيدة في كلية الشريعة ــ جامعة اليرموك

محمد خازر المجالي ..... **عضوا**

أستاذ التفسيرفي كلية الشريعة ــ الجامعة الأردنية

أحمد اسماعيل نوفل ..... عضوا

الأستاذ المشارك في التفسير كلية الشريعةــ جامعة اليرموك

عايش محمد علي لبابنه..... ..... **عضوا**

الأستاذ المساعد في التفسير كلية الشريعةــ جامعة اليرموك

نوقشت بتاريخ

٢٠٠٨/١١/٢٣م

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بسم الله الرحمن الرحيم

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الشكر والتقدير

الشكر لله وحده أن جعلني من خدّام كتابه الكريم ، ثم لأستاذي الفاضل المربي والانسان فضيلة الاستاذ الدكتور شحاده العمري حفظه الله الذي غمرني بعطفه ورعايته وتوجيهاته السديدة ، إذ تابع هذه الدراسة في خطواتها كلها ، ومنحني من وقته وجهده الشيء الكثير وفتح لي قلبه وعقله وبيته لاتمام هذا العمل فجزاه الله عني كل خير .

وأتقدم بالشكر الجزيل من أساتذتي الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة لتفضلهم بقبول مناقشة هذه الدراسة وتقويمها .

واتقدم بوافر الشكر لأساتذتي الكرام في كلية الشريعة ، ولوالديّ الكريمين ، وزوجتي ام أحمد التي سهرت معي الليالي لاتمام هذا العمل .

ولا أنسى سماحة مفتي المملكة الدكتور نوح القضاه حفظه الله الذي علمني حب العلم والتعلم وكذلك الاستاذ الدكتور عبد الحميد القضاه الذي قدم لي كل عون ودعم .

فجزاهم الله جميعاً كل خير .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

الملخص

البشايره ، زكي مصطفى محمد . موقف الحداثيين العرب من اعجاز القرآن الكريم .
اطروحة دكتوراه ، جامعة اليرموك ، ٢٠٠٨ م
اشراف : الاستاذ الدكتور شحاده العمري

تناولت الدراسة موقف الحداثيين العرب من القرآن الكريم واعجازه بالتحليل والنقد من خلال عرض بعض المضامين الفكرية التي تخص القرآن الكريم واعجازه والرد عليها .

اذ أجابت الدراسة عن الكثير من دعاوى الحداثيين العرب ، كدعوى دوغمائية القرآن الكريم وأنسنته، وتشكله التاريخي ، وقولهم بنسبية اعجازه ، وأنه معجز للعرب فقط .

واستخدمت في دراستي المنهج الاستقرائي الاستنباطي اذ قمت بجمع الكثير من مصطلحاتهم الخاصة بالقرآن الكريم واعجازه ودراستها وتحليلها ونقدها .

وتوصلت الدراسة الى خطورة المضامين الفكرية الحداثية كونها تدعو صراحة الى اقصاء الدين عن الساحة ، وإلى تعميم التجربة الغربية مع الكنيسة على ديننا ، متجاهلين الخصوصية الحضارية للأمة من جهة ، والفصام النكد بين العلم والكنيسة من جهة أخرى يضاف إلى ما سبق ضبابية المنهج الحداثي ، وسببه فيما أرى تعدد الروافد الفكرية عند الحداثيين العرب كالماركسية والعلمانية والوجودية وغيرها .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه إلى يوم الدين وبعد :

فقد تحدى الله عز وجل الإنس والجن أن يأتوا بمثل القرآن الكريم قال تعالى : ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ الإسراء الآية ٨٨ .

وعلى الرغم من عجز العرب عن معارضة القرآن الكريم ، فقد ظهرت في زماننا فئة من الدارسين تحمل أفكاراً غريبةً أطلقت مصطلح (النص) على القرآن الكريم ودعت إلى التعامل معه كأي نص بشري ، ودعوا إلى اختراق جدار الإيمان بقداسته في النفوس ، إذ لا شيء مقدساً في نظرهم أمام العقل ، ولذلك سعوا إلى تحويل الأمة من دائرة الإيمان المطلق بالقرآن الكريم إلى دائرة الإيمان النسبي بالقرآن الكريم ، وأنه كتاب لا تصلح أحكامه لهذا العصر .

وقالوا بوجوب إخضاع القرآن الكريم لمنهج الحداثة الغربي في النقد والتفكيك والأنسنة ، وأن الأمة الإسلامية لا يمكن أن تتقدم في مجال المعرفة إلا من خلال التنكر لجذورها الإيمانية وقطع الصلة بها.

واتهم نصر حامد أبو زيد القرآن الكريم بالتاريخية والنسبية فقال : (إن الخطاب الإلهي — القرآن — خطاب تاريخي لا يتضمن معنى مفارقاً جوهرياً ثابتاً له اطلاقية المطلق والبعد التاريخي بتاريخية المفاهيم التي تطرحها النصوص فليس ثمة عناصر جوهرية ثابتة في النصوص ، ينطبق هذا على النصوص التشريعية وعلى نصوص العقائد والقصص ، وليس من المعقول أن يقف الاجتهاد عند حدود المدى الذي وقف عنده القرآن) .([1])

وادعى بعض الحداثيين العرب أن القرآن الكريم منتج ثقافي تشكل في الواقع ، وبذلك أنكروا إعجاز القرآن ، وانه كلام الله المطلق في ثبوته وأحكامه ، وهدفهم من ذلك كله الطعن في إعجاز القرآن الكريم .

---

[1]- ابو زيد ، نصر حامد ، نقد الخطاب الديني مطبعة مدبولي ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٦ ، ص٨٢

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مشكلة الدراسة

يقف الحداثيون العرب خلف مصطلح النص لتمرير أفكارهم من خلاله ولا يتعرضون للقرآن الكريم واعجازه بشكل مباشر حتى لا ينفر الناس منهم ، الا أن المصطلحات التي يروج لها الحداثيون العرب تدل ضمناً على نفيهم الاعجاز عن القرآن الكريم فمثلا عندما يركز الحداثيون العرب في كتاباتهم ومضامينهم الفكرية على ان القرآن الكريم منتج ثقافي تشكل في الواقع وهم بذلك ينفون عنه صفة القداسة والاعجاز ، ويعتبرون أن ثقافة المجتمع العربي هي التي شكلت نصوص القرآن الكريم ، وطالما أن الأمر كذلك فان أحكامه وتشريعاته لا تصلح لعصرنا فالظروف والبيئة التي تشكل النص فيها قد تغيرت .

وكذلك عندما يتهم الحداثيون العرب القرآن الكريم بالدوغمائية فانهم يقصدون بذلك الجمود والانغلاق واجترار الماضي وهم بذلك ينكرون الاعجاز ضمناً ،وكذلك عند اتهام الخطاب القرآني بأنه مجازات عالية لا يمكن أن تكون قانوناً فاعلاً في نظرهم .

من هنا ستكون إضافتي في هذه الدراسة – بعد عون الله وتوفيقه – تناول مضامين أفكار الحداثيين العرب مبيناً مرتكزهم الفكري – شبهتهم – والرد عليها ، جامعاً بين النقل الصحيح والعقل الصريح .

وتتلخص مشكلة الدراسة في الإجابة عن الأسئلة الآتية :

- ما مقصود قول الحداثيين العرب بأن القرآن الكريم منتج ثقافي تشكل في الواقع ، ودعوى دوغمائية النص القرآني ؟
- ما دوافع الحداثيين العرب لإخضاع القرآن الكريم للمنهج الغربي في النقد والدراسة ؟
- ما الشبهات التي أثارها الحداثيون العرب حول النص القرآني سواء من جهة حفظه أو صحته

وثبوته ؟

- ما مراد الحداثيين العرب بنسبية الإعجاز القرآني وعدم إطلاقه ؟
- ما موقف الحداثيين العرب من هداية وجوه الإعجاز القرآني ؟

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أهمية الموضوع ومسوغات اختياره

تأتي أهمية هذا الموضوع في أنه يتناول قضية من القضايا الفكرية المعاصرة ألا وهي موقف الحداثيين العرب من القرآن الكريم واعجازه ، اذ رفع الحداثيون العرب عدة دعاوى تتعلق بالقرآن الكريم كقولهم بالتشكل التاريخي للقرآن الكريم ، وأنه منتج ثقافي تشكل في الواقع ولا يجوز تعدية أحكامه إلى ما بعد عصر النبوة ، وتكمن خطورة هذه الدعاوى من جهتين : الأولى : أنها لا تستند إلى دليل ، والثانية : أنها ذات نتائج خطيرة تريد تفريغ القرآن من محتواه .

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة الى ابراز الأمور الآتية :

- بيان السياق التاريخي للحداثة عموماً ، والحداثة العربية على وجه الخصوص ، والكشف عن مقوماتهم الفلسفية ومنطلقاتهم الفكرية .
- دراسة دعاوى وشبهات الحداثيين العرب حول اعجاز القرآن الكريم ، وحفظه وتواتره من خلال عرض المضامين الفكرية عندهم ، ودراستها وتفنيدها .
- اثبات مصدرية القرآن الكريم واعجازه للبشر في بيانه وتشريعاته وهدايته ومن ثمّ صلاحيته ليكون منهج حياة للبشر كلهم .

- الدفاع عن القرآن الكريم من التحريف والتأويل العبثي الذي يتلاعب الحداثيون العرب ببعض المصطلحات للوصول الى أغراضهم من أنسنة القرآن الكريم وغيره .
- بيان الوجه الحقيقي لدعاة الحداثة والتجديد العرب ، وكشف دوافعهم وأهدافهم المختفية وراء دعاويهم

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

حدود الدراسة

- تعرض هذه الدراسة لبعض المضامين الفكرية التي ينادي بها الحداثيون العرب والتي تتعرض للقرآن الكريم واعجازه ، وتمس قداسة القرآن الكريم ، وتقوم بدراستها وتفنيدها معتمدة على النقل الصحيح ، والعقل الصريح .
- تعرض هذه الدراسة لبعض مسائل علوم القرآن ، التي أثار الحداثيون حولها الشبهات كدعوى عدم تواتر النص القرآني ، ودعوى عدم صحة النص القرآني وغيره .
- أخذت الدراسة موقف الدكتور محمد عابد الجابري أنموذجاً في مجال الحديث عن اعجاز القرآن الكريم والرد عليه .

المنهج المتبع في هذه الدراسة

سأتبع في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي الاستنباطي من خلال جمع ما يمكن جمعه من مصطلحات الحداثيين العرب وآرائهم الخاصة بالقرآن الكريم واعجازه ، كونها تمثل أفكارهم ومعتقداتهم الأيديولوجية، ثم تحليلها ووضعها في نسق يمكّن من الإجابة عليه في مباحث هذه الدراسة .

الدراسات السابقة

على الرغم من كثرة كتابات الحداثيين العرب حول القرآن الكريم ، وتنوع هذه الكتابات المليئة بالشبهات ، والدعاوى حول النص القرآني وأنه منتج ثقافي تشكل في الواقع وقولهم بالإعجاز النسبي للقرآن الكريم .

إلا أنني لم أجد — في حدود اطلاعي — دراسة علمية ترد على الحداثيين العرب ، وتدرس موقفهم من إعجاز القرآن الكريم باستثناء بعض الكتب والمقالات التي ترد على بعض الحداثيين العرب حول جزئية معينة من كلامهم منها :

- رسالة جامعية لمحمد رشيد أحمد الريان بعنوان : (الحداثة والنص القرآني) قدمت للجامعة الأردنية سنة ١٩٩٧ م للحصول على درجة الماجستير ، وهو بحث جيد تمكن الباحث من خلاله من لفت نظر الدارسين إلى ظاهرة الحداثة إلا أنه ركز في بحثه على بعض رموز الحداثة وخاصة محمد أركون و نصر حامد أبو زيد و لم يذكر منطلقاتهم

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفكرية والسياق التاريخي للحداثة و لم يعرض للاعجاز مع أهميته في دراسة النص ، وعمل على إبراز مناهج الحداثة في التفسير بذكر عدة نماذج منها .

– رسالة جامعية لأحمد ادريس الطعان بعنوان : العلمانيون والقرآن الكريم تاريخية النص ، سنة ٢٠٠٦ م قدمت في دار العلوم – القاهرة للحصول على درجة الدكتوراه ، وهي رسالة مهمة ومتخصصة ردت على دعوى الحداثيين بتاريخية النص القرآني ، وقد حرص الباحث في دراسته على إيراد المضامين الفكرية للعلمانيين العرب من مصادرهم والرد عليها ، وكان الجهد المبذول في هذه الدراسة كبيراً بدليل كثرة المراجع التي تعامل معها الباحث ، لكن يؤخذ عليه أنه انطلق في رده على العلمانيين من أحكام مسبقة إذ سبقت أحكامه عليهم مناقشاته لهم ، ويؤخذ عليه أيضا أنه لم يفرق بين مصطلحي الحداثة والعلمانية فكان حديثه عن الحداثة تحت مصطلح العلمانية .

– رسالة جامعية بعنوان : الحداثيون العرب في العقود الثلاثة الأخيرة والقرآن الكريم للجيلاني مفتاح ، وهي رسالة دكتوراه قدمت في الجامعة الاسلامية / ماليزيا ، والبحث جيد اذ ركز الباحث فيه على السياق التاريخي للحداثة ، الا أنه اقتصر في حديثه عن موقفهم من القرآن الكريم على الحديث عن موقفهم من التفسير والقصص القرآني وبعض مسائل الفقه ، و لم يتعرض الباحث لمسائل مهمة في علوم القرآن كأسباب النزول والنسخ ، والتواتر ..... الخ

كذلك لم يتعرض الباحث لموقف الحداثيين العرب من الاعجاز القرآني ، والتزم الباحث بالموضوعية التي وعد بها في مقدمته ، فلم تكن لديه أحكام مسبقة عن الحداثيين العرب .

البحث في مجاله ممتاز ، لكنه لم يغط كل حدود ومجالات القرآن الكريم .

لذا جاءت هذه الدراسة لتغطي هذه الجوانب وترد على المضامين الفكرية عند الحداثيين العرب كالرد على دعاوى الدوغمائية ، ونسبية الاعجاز ، وأنسنة القرآن الكريم ، وأنه منتج ثقافي تشكل في الواقع .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

خطة الدراسة

(موقف الحداثيين العرب من القرآن الكريم واعجازه)

الفصل الأول : الحداثة : تعريفها ونشأتها وأفكارها

وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول :- تعريف الحداثة لغة واصطلاحا :

المبحث الثاني :- السياق التاريخي للحداثة :

المبحث الثالث :- المقومات الفلسفية للحداثة :

المبحث الرابع :- مستويات الحداثة وأنواعها :

الفصل الثاني : موقف الحداثيين العرب من ثبوت القرآن الكريم

وحفظه وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : دعوى الحداثيين العرب بعدم تواتر القرآن الكريم

المبحث الثاني : طعن الحداثيين العرب في طريقة جمع القرآن الكريم

المبحث الثالث : دعوى الحداثيين العرب الزيادة والنقصان

المبحث الرابع : دعوى الحداثيين العرب بتناقض الخطاب القرآني

الفصل الثالث : القراءات – الدراسات – الحداثية للنظم القرآني

عرض ونقد وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول : القراءة الهرمينوطيقية للنص القرآني

المبحث الثاني : القراءة البنيوية والتفكيكية للنص القرآني

المبحث الثالث : القراءة الأركولوجية – الحفرية- للنص القرآني

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الرابع :إخضاع الحداثيين العرب النص القرآني للمنهج الغربي في النقد

الفصل الرابع : الحداثيون العرب وموقفهم من قداسة النص القرآني وإعجازه

عرض ونقد

المبحث الأول : دعوى الحداثيين العرب بدوغمائية النص القرآني

المبحث الثاني : دعوى الحداثيين العرب بأنسنة النص القرآني

المبحث الثالث : دعوى الحداثيين العرب بفرض قراءة تاريخية للنص القرآني

المبحث الرابع : إخضاع الحداثيين العرب القرآن الكريم للنقد العبثي

الفصل الخامس : دعوى الحداثيين العرب بالاعجاز النسبي للقرآن الكريم

المبحث الأول : دعوى الحداثيين العرب بالتشكل التاريخي للقرآن الكريم

المبحث الثاني : دعوى الحداثيين العرب بعدم تفرد القرآن الكريم بالإعجاز المطلق

المبحث الثالث : دعوى الحداثيين العرب بأسطورة النص القرآني وتعاليه

الفصل السادس : وجوه الإعجاز القرآني عند الحداثيين العرب

محمد عابد الجابري انموذجا وفيه مبحثان

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الأول : التحدي بالمعارضة يدحض دعاوى الحداثيين العرب

المبحث الثاني : الهداية بوجوه الإعجاز القرآني

التوصيات والخاتمة

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الأول

الحداثة تعريفها ونشأتها وأفكارها

المبحث الأول : تعريف الحداثة لغة واصطلاحا

المبحث الثاني : السياق التاريخي للحداثة

المبحث الثالث : المقومات الفلسفية للحداثة

المبحث الرابع : مستويات الحداثة وأنواعها

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الأول : تعريف الحداثة لغةً واصطلاحاً

الحداثة من الموضوعات التي تعد معضلة تحتاج إلى حل ، ولذلك اختلفت فيها أنظار الدارسين من المعاصرين ومن هنا رأيت من المناسب البدء بتعريفها في اللغة والاصطلاح ثم أعرض لمفهومها الذي طغى على جذرها اللغوي وندّ عنه في تعامل الحداثة في اللغة .

لو رجعنا إلى معاجم اللغة، نجد أن الحداثة مشتقة من الجذر (ح . د . ث) وحدث يحدث حدوثاً ، وحداثة ، فهو محدث وحديث ، وحدث الأمر أي وقع وحصل ، وأحدث الشيء أي أوجده والمحدث هو الجديد من الأشياء .

والحداثة كذلك مصدر – حَدَثَ – وتعني نقيض القديم وتدل على أول الأمر وابتدائه ، وتعني كذلك الشباب وأول العمر . ([1])

والناظر في معجمات اللغة العربية لا يجد أي استعمال للحداثة بمفهومها الشائع عند السابقين، وإنما كان اعتماد الحداثيين على الحداثة بمعنى التجديد غير المنضبط بقواعد الإسلام الحديث .

ورد في الحديث الذي ترويه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) .([2])

يبين الحديث أن كل عمل لا يراد به وجه الله تعالى فليس لعامله فيه ثواب ، فكذلك كل عمل لا يكون عليه أمر الله ورسوله فهو مردود على عامله ، وكل من أحدث في الدين ما لم يأذن به الله ورسوله فليس من الدين في شيء . ([3])

في هذا الحديث النبوي نجد أن المراد بمفهوم الحداثة هو الفعل القبيح المنكر،وإقحام أمور في الدين ليست منه ، وليس التجديد على إطلاقه ، والحديث يدل على أن ما تقوم عليه الحداثة العربية إنما هي أمر محدث أي منكر ليس من الدين في شيء ، ومتى كانت الدعوة

---

[1] - انظر ابن منظور – لسان العرب ، تصنيف يوسف الخياط ، دار لسان العرب ، بيروت – لبنان د . ت ٣ / ٩٠٧ وانظر تاج العروس في جواهر القاموس مادة حدث

[2] - متفق عليه ، رواه البخاري حديث رقم : ٢٦٩٧ باب إذا اصطلحوا على صلح ، ومسلم حديث رقم : ٣٢٤٢ باب نقض الأحكام الباطلة

[3] - الحنبلي ، أحمد بن رجب ، جامع العلوم والحكم ، مكتبة الرسالة – عمان ،ط١ د . ت ص٥٦

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إلى القطيعة المعرفية ، والمطالبة بنقد القرآن الكريم تجديداً ؟ فكل عمل لا يخضع لضوابط الشرع لا يمكن أن يعد تجديداً .

و في اللغة الانجليزية نجد أن مصطلح الحداثة يقابله كلمة (MODERNITY) الذي يعني التجديد .

وكلمة (modernism) وتعني التحديث إلا أنهم أضافوا أنها ترتبط بحركة الفكر الكاثوليكي لتأويل تعاليم الكنيسة على ضوء المفاهيم العلمية والفلسفية السائدة في القرن التاسع عشر ، وأوائل القرن العشرين ، وكذلك تعتبر نزعة لاهوتية تحررية — البروتستنتية — وأيضاً بأنها نزعة في الفن الحديث تهدف إلى قطع الصلة بالماضي .([1])

وهناك رأي آخر ل (فردوس عبدالحميد البهنساوي) وهي تتحدث عن كلمة (modernism)

تقول : إنها تدل على حب الجديد ونزعة التحديث والنزعة العصرية ثم استعملت استعمالاً نقدياً دالاً على هذا المذهب أما كلمة (modernity) فهي تصف الزمن التالي لهذه الحقبة كما تصف حداثة الأدب وكونه عصرياً .([2])

---

[1] - النحوي ، عدنان ، تقويم نظرية الحداثة ، دار النحوي للنشر والتوزيع ط٢ سنة ١٩٩٤ م ص ٢٧ وانظر قاموس المورد ص ٥٨٦ طبعة ١٩٨٥

[2] - كمال ابو ديب ، الحداثة وما بعد الحداثة ، مجلة فصول ، العدد الرابع ، المجلد الرابع سنة ١٩٨٤ م ص ١٣

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تعريف الحداثة اصطلاحاً :

هناك مسلكان في تعريف الحداثة ، المسلك الأول يتمثل في تعريف الحداثيين العرب للحداثة ، ثم تعريف الغربيين للحداثة .

– تعريفها عند الحداثيين العرب –

تشعبت آراء الحداثيين العرب حول تعريف الحداثة وبيان مفهومها ونذكر أبرز هذه التعريفات :

فقد عرفها محمود فاخوري بأنها : مسايرة العصر مع الحفاظ على الأصالة دون اجترار الماضي .

وعرفها عبدالقادر لقاح بأنها :(استيعاب التراث وإعادة قراءته وفق رؤية عصرية) .([1])

وعرفها الطعان بأنها :(أنسنة الإلهي وتأليه الإنساني) .([2])

وعرفها هشام شرابي بأنها : (عملية تحول من نمط معرفي الى نمط معرفي آخر أي أنها انقطاع عن الطرق التقليدية لفهم الواقع) .([3])

وعرفها كمال أبو ديب بأنها : (انقطاع معرفي يمسح الماضي ويلغي الفكر الديني ويحل مكانه الفكر اللاديني) .([4])

الحداثة عند الغربيين :

من تعريفات الحداثة عند الغربيين أنها : (تلك التحولات التي حدثت في المجتمعات الغربية منذ عصر الإصلاح الديني والثورة الصناعية إلى بداية العصر الحديث) .([5])

وقيل هي : (عملية ثورية تقود إلى تغيير جذري في أنماط الحياة) . ([6])

---

[1] - سعفان إبراهيم ، أزمة الفكر العربي ، اللاذقية – دار الحوار للنشر والتوزيع ، ط١ ، سنة ١٩٩٤ م ، ص ٩١ وما بعدها .

[2] - الطعان ، أحمد إدريس : العلمانيون والقرآن الكريم دار ابن حزم للنشر والتوزيع – الرياض ،ط١ ،٢٠٠٧م ، ص ٢٨١

[3] - هشام شرابي : النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي ، ترجمة محمود شريح ، دار نسلن – السويد ، ط٤ سنة ٢٠٠٠م ص ٣٩

[4] - كمال أبو ديب : مجلة فصول ، المجلد الرابع العدد الثالث ، ص ٣٧

[5] - عبود حنا : الحداثة عبر التاريخ ، دمشق ، اتحاد الكتاب العرب ، سنة ١٩٨٩ م ص ٢٨٣

[6] - انظر روبرتس وهايتس ، من الحداثة إلى العولمة – الكويت – عالم المعرفة العدد ٣٠٩ سنة ٢٠٠٤ م ص ٢٢٤

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

هذه بعض تعريفات الحداثة عند الحداثيين العرب والغربيين وهي تعاريف لا تخلو من مناقشة لكنها بمجموعها تعكس أزمة فكرية عند الطرفين خاصة عند الحداثيين العرب ، فنجد الواحد منهم له حضوران يحرص عليهما ، حضور في مجتمعه العربي وحضور أمام مراكز الثقافة الغربية ، وحضوره في الثقافة العربية واضح فهو يحارب كل قديم حتى لو كان مقدسا ، ويحاول جاهدا قطع صلته به وعقلنة كل مضامينه .

أما حضوره في الثقافة الغربية فهو حضور المقلد التابع والمستورد لكل ما عندهم ، لقد حمل الحداثيون العرب كل المثالب التاريخية وضخموها وركزوا عليها واعتمدوا أضعف الروايات التاريخية لذلك ، مع أن النزاهة العلمية والفكرية تحتم عليهم ذكر السلبيات والايجابيات .

ومن جهة أخرى فقد تجاهل الحداثيون العرب أن الحداثة الغربية ذات أبعاد وأوجه متعددة إذ يصعب تجسيدها في مجال واحد من مجالات الحياة ، فالاقتصاديون يركزون اهتمامهم على النمو الاقتصادي وذلك من خلال ربطها بالتقنية والتصنيع اللذين أديا إلى نشوء الرأسمالية ، وعلماء السياسة يركزون على الأنظمة السياسية وتوازنات السلطة وكيفية تشكيل الحكومات ، والإعلاميون يرون أن الحداثة تتجلى فيما طرأ على وسائل وطرق الاتصال مما ينعكس على علاقات الناس مع بعضهم البعض ، وسرعة التواصل بينهم .

وما يهمنا هنا أن الحداثة العربية قلدت الغرب ولم تراع الخصوصية الغربية التي أسهمت في تشكل الحداثة عندهم ويريدون — تقليدا للغرب — قطع صلتهم بالدين ، وعقلنة أحكامه وإبعاد الوحي والغيب عن معترك الحياة .

-التعريف المختار للحداثة - :

أرى من خلال دراستي لمضامين الحداثة العربية وأفكارها أن التعريف المختار لها هو : (أنها منهج فكري يتنكر للدين ويسعى لتغيير الواقع بمرجعيات غربية .)

وذلك أن القاسم المشترك لكل أطروحات الحداثيون العرب تقوم على القطيعة مع الماضي ورفض المقدس ، ولو وقفنا عند مصطلح القطيعة المعرفية التي ينادي بها الحداثيون العرب

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

نجد أنها تعني : أن نتخلى عن معارفنا الدينية المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية والتي يصنفها الحداثيون العرب بأنها معارف أسطورية خيالية

وهنا نتساءل : ما هي الشروط الموضوعية التي ينبغي توافرها لكي تحصل القطيعة المعرفية مع ديننا وتراثنا ؟ هل صادم ديننا العقل والفطرة ؟ هل ناقض العلم والمعرفة ؟ هل وقف حجر عثرة أمام تقدم الأمة ورقيها ؟

الجواب معروف لكن الحداثيين العرب يتجاهلونه لتحقيق أهدافهم ، إن لغة الإسقاط والأخذ الأعمى عن الآخر هي التي دفعت الحداثيين العرب إلى رفع هذا الشعار .

يقول محمد أركون معبرا عن هذا الإسقاط وعن الهزيمة الفكرية التي يعيشها المثقف العربي : (إن المثقف العربي يقف أمام نظيره الغربي كالفلاح الفقير الذي يقف خجلا من نفسه أمام الغني المؤثر ، يقف وهو يكاد يتهم نفسه ويعتذر عن شكله غير اللائق ، ولغته غير الحضارية ، ودينه المتخلف ويستحسن المثقف الغربي منه هذا الموقف ويساعده على الغوص فيه أكثر فأكثر حتى ليكاد يلغي نفسه أو يخرج من جلده لكي يصبح حضاريا أو حداثيا مقبولا) .([1])

هذا وصف دقيق لحالة الهزيمة الداخلية والشعور بالنقص التي يعيشها بعض المثقفين العرب ، حتى وصل الأمر إلى الخجل من الدين وثوابته ومسلماته .

إنهم يريدون خطابا إسلاميا مفرغا من مضمونه العقدي والتشريعي ، ويريدون وضع الإسلام مقابل الحداثة الغربية التي جاءت إفرازا لتفاعل مجموعة عوامل أخذت بالتطور في ظروف اجتماعية خاصة بهم وإن نقلها إلى مجتمعنا الإسلامي هو بمثابة نقل أعضاء غريبة لجسم يرفضها ولا يمكن أن يتقبلها .

يقول طه عبد الرحمن : (إن القراءات الحداثية إنما هي تفسيرات مقلدة اقتبست كل مكونات خططها من الواقع الحداثي الغربي في صراعه مع الدين ، هذا الصراع الذي آل إلى ترك العمل بقيم الالوهية والأخذ بقيم الإنسانية بدلها).([2])

---

[1] - محمد اركون : أين هو الفكر الإسلامي المعاصر ، ترجمة هاشم صالح ، دار الساقي ص ٧

[2] - طه عبد الرحمن : روح الحداثة ، الدار البيضاء ، المركز الثقافي العربي ، ط١ سنة ٢٠٠٦ م ص ٢٠٥ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وعليه فلا يجوز أن ننظر إلى الحداثة الغربية على أنها واقع لا يزول ، وحتمية لا مفر منها وأنها نافعة لا ضرر فيها ، وكاملة لا نقص معها ، إن الحداثة الغربية تستمد أفكارها من فلسفة التنوير التي ترى أن الهدم هو طريق البناء ، وأن هذا الهدم يجب أن يبدأ بالمقدس ، فتطبيق هذا الفكر على مقدساتنا ومسلماتنا هو قمة ما يريده الحداثيون العرب عبر أطروحاتهم المختلفة .

يقول د . عبد العزيز حموده مؤكدا هذا المعنى : (لقد أخذت الحداثة الغربية معناها من الفكر الفلسفي الحديث بخاصة ، حيث نجد كلا من ديكارت وهيجل وهوسرل يبنون دعائم فلسفاتهم على مصطلحات (التعالي) أو (الصيرورة) والحرية ، وهي مصطلحات تحوي في طياتها فكرة التغيير، وإحداث ما يسمى بالقطعية المعرفية مع القديم) .([1])

بعد هذا الاختلاف الواسع في تعريف الحداثة عند رجالها في العالم الغربي وفي عالمنا العربي يوجز د. النحوي أهم الخصائص التي تكشفت لنا عن الحداثة وهي :

الاضطراب والتناقض في المصطلح وترجمته، وفي تعريف الحداثة ذاتها .

الغموض في الألفاظ والمعاني، واستخدام الألفاظ الطنانة التي لا تحمل معها شيئا حين تتدبرها .

الانقطاع عن الماضي والتراث ومحاربته .

محاربة التصور الإيماني، وقواعد التوحيد

صراع مع المعتقدات القديمة والمعارف كلها . ([2])

ويؤكد هذه النتيجة قول أحدهم :(لا حداثة دون تحرير الإنسان من كل المسلمات والبديهيات والميتافيزيقيات([3]) الأساطير، وتحرير التاريخ من مقولة الحتمية) ([4])

وسنجد تأكيد هذا الأمر عند الحديث عن الحداثة في سياقها التاريخي، وكيف وصلت إلى عالمنا العربي والإسلامي، وكيف عبر عنها حداثيو العرب .

---

[1] - عبد العزيز حموده ، المرايا المحدبة ، عالم المعرفة – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت ، العدد ٢٣٢ سنة ١٩٩٨ ص ٣٤٠ .

[2] - تقويم نظرية الحداثة ،ص ٤٠ – ٤١

[3] - ما وراء الطبيعة

[4] - الحبيب الجنحاني – بحث بعنوان : نقد خطاب الحداثة في العالم العربي قدم للمؤتمر العلمي الخامس – كلية الآداب والفنون – جامعة فيلادلفيا – عمان سنة ١٩٩٩

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الثاني : السياق التاريخي للحداثة

هذا المطلب يدفعنا إلى الحديث عن السياق التاريخي للحداثة الغربية ، ومن ثم الحديث عن السياق التاريخي ، أو المنعطفات التي قادت إلى ما يمكن أن نسميه بالحداثة الغربية إذ مرّت أوروبا عبر تاريخها المعاصر ، بمرحلتين مهمتين من مراحل التغيير

هما : عصر النهضة ، وعصر الحداثة والتنوير .

أما عصر النهضة فقد بدأ بالثورة العلمية التي قادها (كوبر نيكس) بإعلانه نظرية مركزية الشمس عوضا عن مركزية الأرض للكون

هذه النظرية أحدثت تطورا أساسيا في النظرة الأوروبية للكون، وقلبت العديد من التصورات والنظريات العلمية ، وهذا ما يعبر عنه العلماء والباحثون بالنزعة الإنسانية، والتي تعني إعلاء شأن الإنسان، والتحرر من اللاهوت ومفهومه الكنسي التقليدي .

وجاء بعده علماء آخرون مثل غاليلو ونيوتن بنظريات علمية زعزعت نظرية الكنيسة في تصور الكون، والتي كانت تفسر الكتاب المقدس على وفقه، مما قلص سلطتها في مجال المعرفة . ([1])

ومما أسهم في تقليص سلطة الكنيسة ورجالها بشكل كبير ظهور حركة الإصلاح الديني بزعامة مارتن لوثر (١٤٨٣ – ١٥٤٦ م) وهي الحركة التي بدأت في ألمانيا ثم شملت العديد من البلدان الأوروبية .

وقد كانت حركة مناهضة للكنيسة الكاثوليكية، إذ أنكر – لوثر – أن الكنيسة ورجال الدين وسطاء بين الله والإنسان ، وأنكر صكوك الغفران ، وكان يهدف الى تخليص أوروبا من تسلط المذهب الكاثوليكي الذي اعتبر كل خلاف معه نوعاً من الزندقة والإلحاد فعم الإصلاح الديني ، وحرية الفكر ، وتمت مراجعة كل الأفكار والنظريات التقليدية .([2])

أطلق العلماء والباحثون على هذه الفترة عصر النهضة أو الإصلاح الديني، والتي كان عنوانها الرئيس هو التخلص من ظلم الكنيسة ، وحجرها على العقول .

---

[1] – محمد سبيلا ، الحداثة وما بعد الحداثة ص ١٠٢ بتصرف

[2] – فارح مسرحي ،الحداثة في فكر محمد أركون ، الدار العربية للعلوم – ناشرون الطبعة الأولى، بيروت ، لبنان سنة ٢٠٠٦ م، ص ٣١

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بعد هذا العصر جاء عصر ما يسمى – بالحداثة والتنوير – ويربطه بعضهم بـــ(فرنسيس بيكون) صاحب المنهج التجريبي والذي رفض تدخل الدين في المعرفة، لأن الدين يحدّ من كل أنواع المعرفة .

ازدهرت حركة الحداثة والتنوير في أوروبا في القرن الثامن عشر الميلادي، وتميزت بتحدي التقليد والسلطة ، والدعوة للإيمان بالعقل . وجاءت هذه الحركة نتيجة عوامل عدة ، كالصراعات الدينية الدموية ، وانتشار المعرفة العلمية ، حيث أصبح الاتجاه العام في أوروبا هو الاهتداء بآراء علماء الكون بدلاً من سلطة الكنيسة .

وبعد ذلك ظهرت الكشوف العلمية التي بدأت تغير وجه الحياة في أوروبا، وأضحى مصطلح التنوير مناسباً لوصف هذه الحركة ، لأنها انتصرت للحرية والعقل والعلم ، ضد التقليد والتقيد بأغلال القديم، حتى لو كان خاطئاً، وهذا شبيه بالانتقال من الظلمة إلى النور .([1])

يقول هشام شرابي : (ولقد نمت عقيدة التنوير في القرن السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر مع الثورة العلمية وتفشيها في المجتمع الأوروبي، ومع نمو البورجوازية الأوروبية الانتاجية ، حاملة مشروع الحداثة، حتى وصلت أوجها البورجوازي في الماديين الفرنسيين وفولتير ، وروسو ، وكانط ، وهيغل ، ووصلت أوجها العمالي في ماركس وإنجلز) .([2])

ويؤكد أن للثورة العلمية دوراً مهماً في بداية الحداثة والتنوير فيقول : (عملت الثورة الفكرية العظيمة على قلب منطق إنتاج المعرفة ، من منطق فقهي أو برهاني أو عرفاني إلى منطق استكشافي يرتكز على الرياضيات والتجربة، في وحدتهما الجدلية .

ويضيف قائلاً :(وبذلك فقد تضمنت هذه الثورة تحرر البحث المعرفي من سلطة النص ، لا بل تحدي هذه السلطة ، ومن ثم رفض قدسية الأفكار ، ووضعها جميعها ضمن دائرة الشك المنهجي، والتحليل والاختبار) .([3])

---

[1] - المرجع السابق ص ٣٣

[2] - هشام شرابي ،تجديد العقل النهضوي ، دار الفارابي – بيروت – لبنان ط ١ سنة ٢٠٠٤ م ص ٦٨ وما بعدها

[3] - نفس المرجع السابق والصفحة

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ويختم شرابي كلامه بالقول : (لقد كانت الثورة العلمية الكبرى الزلزال الأكبر في الفكر الأوروبي الحديث وكان من النتائج الرئيسة لهذا الزلزال أن انتقل موضوع الفلسفة من العلاقة بين الله والعالم، إلى العلاقة بين الإنسان والعالم وهو ما عبر عنه بالعقلانية العلمية)[1].

بعد هذا العرض نجد أن الملامح الرئيسة للحداثة الغربية تكمن في رفض تدخل الدين في المعرفة ، والخروج على كل قديم ، وإحلال العقل والعلم محل تعاليم الكنيسة لأن الكنيسة قد حجرت على العقول وقيدتها بالسلاسل والأغلال ومنعت أهل التفكير من التفكير ووصمتهم بالتكفير.

هذا المصطلح أو هذه الحركة تمثل حقبة من حقب الحضارة الأوروبية، فهي غربية، المنشأ ،نشأت في ظروف مختلفة ، وجاءت حرباً على الكنيسة ، وتحرراً من سلطتها ، فهي نبتت في تربة غير تربتنا، وفي بيئة مختلفة عن بيئتنا .

يقول النحوي :(لقد ظهرت الحداثة في العالم الغربي امتداداً طبيعياً للتيه الذي دخلته أوروبا منذ عصر الوثنية زمن الرومان واليونان، امتداداً الى عصر الظلمات، وصولاً الى العصر الحديث، هذا التيه الذي رافقه أمواج من المذاهب والفلسفات المتصارعة) .[2]

وأما الحداثة في ديار العروبة والإسلام فلها ظروفها وملابساتها فقد تسللت إلى عالمنا العربي والإسلامي تحت مسميات براقة لاستهواء المثقفين العرب والإيمان بأفكارها على الرغم من الاختلاف في الظروف .

ان الخصوصية الأوروبية والملابسات التي أفرزت الحداثة كانت بسبب اعتراض الكنيسة مسار العقل والعلم فحجرت على العقول ، وكممت الأفواه .

فهذا السياق وهذه المنعطفات الفكرية في أوروبا هي شأن خاص مرتبط بالحضارة الغربية وطريقة تفكيرها ، وتصورها للكون والإنسان والحياة .

---

[1] - نفس المرجع السابق والصفحة

[2] - الحداثة من منظور إيماني ص ٣٥

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فالحداثة والتنوير في أوروبا قد يكون لهما ما يبررهما بسبب ما كانت تمارسه الكنيسة من ضروب الاستبداد وألوان القهر وما كانت تشيعه من أباطيل وخرافات باسم الدين والكنيسة ، فالأمر بيننا وبينهم مختلف ، لأن الحضارة الإسلامية يحكمها تصور معين عن الكون والإنسان والحياة وعلاقة الدين بالدنيا ، وعلاقة السماء بالأرض .

يقول د. محمد عماره : (لقد جمع الإسلام بين تصور الذات الإلهية الذي (له الخلق والأمر) – أي الخلق والتدبير للخلق كليهما — وبين تصور مكانة الإنسان في الكون كخليفة الله سبحانه وتعالى ، محكومة خلافته ببنود عقد وعهد الاستخلاف "قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: ٣٠

فكانت وسطيته الجامعة بين الشريعة الإلهية والشورى الإنسانية ، بين عالم الغيب وعالم الشهادة ، وبين آيات الله في كتابه المقروء — القرآن — وبين آياته في كتابه المنظور — الكون — بين الدين وبين الدولة ، بين الدنيا وبين الآخرة ، بين الروح وبين الجسد .)

ويضيف د. عمارة.. فكان تاريخ الحضارة الإسلامية على العكس من التاريخ الأوروبي اقترن فيه الازدهار الحضاري بالاحتكام إلى الشريعة الإلهية .

ولم تعرف حضارتنا (الفعل) الكهنوتي الذي جاء التنوير اللاديني نفيا له وردا عليه .([1])

إن للغرب خصوصيته الثقافية والحضارية التي لها مرتكزاتها المختلفة عن حضارتنا وثقافتنا ، هذا من جهة ومن جهة أخرى ، فالحداثة الغربية نتاج بشري يعتريه التحول والتغير بدليل أنهم الآن يتحدثون عن فترة ما بعد الحداثة . فهي فكرة آنية ، متغيرة ، ومرتبطة بظروفهم وواقعهم وثقافتهم التي تختلف عن ظروفنا وواقعنا وثقافتنا التي ترتكز على الوحيين الكتاب والسنة.

وعلى الرغم من كل هذه الاعتبارات فقد استورد بعض المثقفين العرب هذا الفكر الغربي — رغم خصوصيته ومناسبته لديارهم — كما تستورد السلع التجارية والآلات التقنية .

---

[1] - عماره ، محمد — الإسلام بين التنوير والتزوير ، دار الشروق — القاهرة ط ٢ سنة ٢٠٠٢ م ، ص ٢٤ — ٢٥ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقد كان لدراسة بعض أبناء العرب في ديار الغرب أثر واضح في الفكر فقد أخذ دعاة التنوير والحداثة عندنا يصورون المعركة في بلادنا على أنها صراع بين الإسلام والعلم ، بين الدين والعقل ، بين ضرورة التخلص من الماضي والنهوض بالمستقبل ، وكان النموذج الغربي في نظرهم هو المثل والقدوة التي ينبغي أن نحذو حذوها ، ونسير في ركابها لأنهم لم يتزودوا من المعارف الإسلامية في بداياتهم فانقلبوا مقلدين لأساتذتهم من فلاسفة الغرب. وأصبحت عندهم الثنائية التناقضية بين الدين والعلم ، أو بين العقل والنقل ، هي عنوان الحداثة ، ورفعوا شعار لا سلطان على العقل إلا للعقل وبذلك أبطلوا سلطان الوحي .

وكانت بداية الحداثة العربية حين أوفد رفاعة الطهطاوي (١٨٠١ — ١٨٧٣) إلى باريس سنة ١٨٢٧ م إماما للبعثة الدراسية التي أرسلها محمد علي باشا والي مصر والتي استمرت حتى سنة ١٨٣١ م ولخص الطهطاوي تجربته هذه في كتابه (تلخيص الإبريز في تاريخ باريز) إذ وضع القراء العرب في صورة الحياة السياسية والثقافية في باريس .

وعقد مقارنة بينها وبين ثقافة الأمة العربية الإسلامية ، ودعا إلى تقليد أوروبا للحاق بالغرب المتحضر، ويكون بذلك أول من رفع لواء الحداثة من خلال التنكر لثقافة الأمة وقيمها ، والدعوة للحاق بالغرب وتقليده في كل شيء على الرغم من أن مصطلح الحداثة لم يكن معروفا وقتئذ .

وسار على نهجه خير الدين التونسي ، بعد رحلة إلى أوروبا استمرت خمسة أعوام عاد بعدها إلى تونس وأصبح الوزير الأول ، وشرع بتطبيق ما اقتبسه من قوانين وتنظيمات .

وقطع سلامه موسى (١٨٨٨ — ١٩٥٨ م) خطوة أبعد في التبعية خطوة تدعو إلى قطع الصلة مع الماضي ، ومع الدين والارتماء كلية في أحضان الغرب ،حتى قال : (ما ازددت معرفة بالشرق زادت كراهيتي له و وشعوري بأنه غريب علي ، وكلما ازددت معرفة بأوروبا زاد حبي لها ، وتعلقي بها وزاد شعوري بأنها مني وأنا منها) .(١)

وجاء طه حسين من فرنسا لينشر الدعوة إلى تحطيم تاريخنا وديننا وأدبنا واللحاق بأوروبا وزخارف حضارتها ونشر كتبه بدءا بالشعر الجاهلي ، ومستقبل الثقافة في مصر ، هاجم

---

١ - انظر اليوم والغد — رفاعة الطهطاوي، وانظر الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاويدراسة وتحقيق د. محمد عماره

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فيها لغة القرآن ، ودعا إلى تيسير اللغة والنحو تمهيدا لطمس معالم اللغة ، وطالب بعودة مصر إلى ثقافتها الفرعونية ، واستخدام اللغة اللاتينية .

وجاء كتاب علي عبد الرازق (١٨٨٧ — ١٩٦٦ م) (الإسلام وأصول الحكم)لنسف كل المفاهيم الإسلامية المتعلقة بدولة الإسلام التي امتدت أربعة عشر قرنا .

وفي لبنان تولى قيادة ركب الحداثة مجموعة من مثقفي لبنان الذين أخرجتهم الإرساليات التبشيرية إلى المهجر بهدف تدمير اللغة العربية ، ومفاهيم التوحيد، وكان في مقدمتهم جبران خليل جبران، وميخائيل نعمة، وإيليا أبو ماضي ، ثم تولى الركب القس يوسف الخال الذي احتضن أدونيس (علي أحمد سعيد) وعبر به من القومية إلى الشعوبية، ومن الإسلام إلى الوجودية ثم إلى الباطنية.

وقدمه لجامعة القديس لويس التي أعطته أرفع الدرجات العلمية — الدكتوراه — تكريما لما قام به من أعمال، والتف حوله مجموعة مساعدة من أشهرهم : لويس عوض ، وبدر شاكر السيّاب ، وصلاح عبد الصبور ، والبيّاتي وغيرهم .([1])

ثم جاءت الحداثة الفكرية على يد مجموعة من العلمانيين والمفكرين الذين تجاوزوا كل حد ، ووصل بهم الأمر إلى نقد أحكام الشريعة، واتهام القرآن الكريم بالأسطورة والخرافة ، من أمثال محمد أركون ، وهشام جعيّط ، ومحمد عابد الجابري ، وحسين مروة، وجابر عصفور ، وكمال أبو ديب ..... وغيرهم

يقول محمد أركون داعيا إلى إخضاع القرآن الكريم لكل أنواع النقد (: ينبغي القيام بنقد تاريخي لتحديد أنواع الحذف والإضافة والمغالطات التاريخية التي أحدثتها الروايات القرآنية بالقياس إلى معطيات التاريخ الواقعي المحسوس .

ويعتبر القرآن نصا أسطوريا قابلا للدراسة والأخذ والرد .([2])

وسأترك الحديث عن مضامينهم الفكرية حول القرآن الكريم والتراث والشريعة لمباحث متقدمة في هذه الدراسة .

---

[1] - انظر انور الجندي : من أصالة الفكر الإسلامي ص ١٩٦

[2]- محمد اركون : الفكر الإسلامي قراءة علمية ص ٢٢ — ٢٣

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وهكذا وصلت الحداثة الغربية إلى بلادنا العربية والإسلامية، متجاوزة كل الحدود والخصوصيات الثقافية والحضارية .

ونجد حماس الكثير من مثقفينا لهذه الحداثة أكثر من حماس أهلها وأصحابها، ومع ذلك ستبقى الحداثة جسما غريبا في هذه الأمة، ولن يمر وقت طويل حتى يلفظها كما لفظ غيرها من السموم الثقافية الغربية وذلك بتفنيد أفكارهم وبيان تهافتها وهو ما ستقوم به هذه الدراسة بعون الله وتوفيقه.

المبحث الثالث : المقومات الفلسفية للحداثة :

ترتكز الحداثة على مرتكزات كثيرة من أبرزها :

أولا : العقلانية :-

ترتبط الحداثة ارتباطا وثيقا بها لأنها تدعو إلى انتصار العقل وتمجيده .([1])

ولذلك نجد الحداثة تقوم على إثبات المعقول واستبعاد اللامعقول . ([2])

وقد ترتب على هذا الأمر الدعوة إلى عقلنة مختلف العلوم والمعارف

فدعا الحداثيون إلى :

١- عقلنة الفكر العلمي وذلك بفصل العلم عن التصورات الدينية والأيديولوجية والسياسة، واعتماد العقل البرهاني والتجريب، وترك كل ما لا يكون مقبولا ببرهان . ([3])

٢- عقلنة الفكر السياسي : والمقصود به دراسة الظاهرة السياسية كموضوع مستقل بذاته ، وهذا ما حصل بداية من ميكافيلي إذ دعا إلى الانفصال عن ميتافيزيقا التفكير في تدبير شؤون الدولة ، واعتبار الظاهرة السياسية كواقع يجب تحليله وفهمه، لاستخراج قواعد عامة للممارسات السياسية .([4])

وهذا ما ظهر في الدولة الديمقراطية العلمانية الحديثة ، التي فصلت الدين عن الدولة

---

[1]- انظر ألان تورين : نقد الحداثة ، ترجمة أنور مغيث ، المجلس العربي للثقافة – القاهرة ، د. ط ، سنة ١٩٩٧ م ص ٤٦

[2] - فتحي التريكي – رشيدة التريكي : فلسفة الحداثة ، مركز الإنماء القومي – بيروت – لبنان ط١ سنة ١٩٩٢ م ص ٢١

[3] - مسرحي ، فارح : الحداثة في فكر محمد أركون ، ص ٤٠

[4] - فلسفة الحداثة ص ٣٠

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٣- عقلنة القول التاريخي : وهي نظرية تعتمد على معقولية الخبر ومنطقيته، وعقلنة القول التاريخي تتطلب الانفصال عن التقاليد عموما ، وعن النقل خاصة ، وتشخيص الماضي يخول لنا فهم الحاضر والعمل على تغييره . ([1])

٤- عقلنة القول الديني : والمقصود بذلك قراءة النص الديني وفهمه عقليا وتفسيره من خلال معطيات العصر (فالعقلنة في المجال الديني تعني التدخل في جميع مستوياته بدقة لإصلاحه والابتعاد به عن الطريق المحرمة والغطرسة والتسلط .) وتجلى ذلك في أعمال (سبينوزا) من خلال قراءته للكتاب المقدس ، وكان ذلك دعوة فلاسفة التنوير إلى بيان حق الإنسان في التفكير في المسائل الدينية بحرية . ([2])

ثانيا : العدمية :-

تعد العدمية من مقومات فلسفة الحداثة والتي تعني : عدم وجود شيء مطلق ، ومن ثم نفي أي حقيقة أخلاقية وأية هيكلية للقيم .

ويعد نيتشه (١٨٤٤ — ١٩٠٠ م) واضع مبدأ العدمية وقصد به : (لا قيمة للقيم) أي أن ما كان مبادىء راسخة ثابتة ، ومثلا عليا سامية ، صار عدما ، وبهذا أفقد نيتشه كل معنى أو حقيقة قيمته، لأن الحقائق في نظره أوهام ، نسينا أنها في حقيقتها كذلك ، كما أن الربط بين الوجود والقيم ، بين ما هو كائن ، وما ينبغي أن يكون لا مبرر له .

والقول بالعدمية هو نتيجة لأفول عالم الآلهة بمقدساته — عندهم — وإحساس الإنسان بالتغيير ، وفقدان المرجع الذي يستند إليه ، فجاء إعلان نيتشه — العدمية الكاملة — التي لا تتزعج من انهيار القيم وإنما تقول في مبدئها : لقد انهارت القيم القديمة ، هذا أمر غير مأسوف عليه ، لنضع لأنفسنا قيما جديدة أخرى غير القيم الميتافيزيقية ، يقول فارح المسرحي : (ولعل القول بالعدمية يكمن في إعطاء حيز كبير للنسبية ، واعتبار المجتمع منبعا للقيم ، وان الخير هو ما يكون نافعا للمجتمع ، والشر هو ما يؤذي سلامته وفعاليته وهي عنصر جوهري في مفهوم الحداثة . وهذا يؤكد أن الحداثة من وجهة نظر فلسفية

---

[1] - نفس المرجع ص ٣١

[2] - نفس المرجع السابق ص ٤٢

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تقوم على الرؤية الذاتية للوجود ، والنزعة العقلانية في المعرفة والقول بالعدمية والنسبية في مجال القيم) .([1])

وهكذا نجد أن الحداثة تمحورت حول العلم وفكره ، فالمرجعية الرئيسة عند الحداثيين هي العلم، والمرتكزات الفكرية والفلسفية عندهم تستبعد الأديان ، ولا تؤمن بالغيب مطلقا . لأن قيم الحياة الحديثة عندهم تقوم على تقديس العقل والعلم، ونبذ الدين وقيمه ومفاهيمه وهو ما يعتقده الغربيون في نظرهم لدينهم .

ثالثاً : حب التغيير

يمكن أن أضيف سمة بارزة لدى الحداثة الغربية وهي روح التمرد وحب التغيير ، فالغربي بطبعه جريء في اقتحام وتجاوز المحرمات مثال ذلك سخرية فولتير (١٦٩٤- ١٧٧٨)من إله التوراة ، وإعلان نيتشه موت الإله ، ولا ننسى أن حركة الإصلاح الديني في اوروبا قامت على التمرد والخروج على تعاليم الكنيسة .

هذه المرتكزات الفلسفية للحداثة هي شأن غربي خالص، فرضها الصراع المرير بين الكنيسة والعلم منذ (كوبرنيق)، الذي أعلن عن آرائه في الطبيعة والفلك ، وكلها على نقيض ما تدعيه الكنيسة . وأثبتت الأيام والكشوف العلمية حسم المعركة لصالح العلماء والمفكرين ، ضد الكنيسة ورجالها .

لكن دعاة الحداثة في بلادنا يصورون المعركة على أنها صراع بين الإسلام والعلم ، وبين الدين والعقل ، ويدعون إلى ضرورة التخلص من الماضي ، إذ لا يمكن النهوض بالحاضر ، والاطمئنان للمستقبل إلا من خلال هذا الطريق، وكان النموذج الغربي

— في نظرهم — هو المثل والقدوة التي ينبغي أن نحذو حذوها .

هذه الثنائية المتناقضة بين العلم والدين ، وبين العقل والوحي، أصبحت عند الحداثيين العرب عنوانا لفكرهم وفلسفتهم ، فكما رفض العلماء الغربيون الكنيسة وتعاليمها ، أراد الحداثيون العرب رفض الإسلام وتعاليمه ، ليعلنوا عن أنفسهم أنهم حداثيون تنويريون .

---

[1] - الحداثة في فكر محمد اركون ص ٤٣

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ولو أنصفوا لجعلوا محور حركتهم الفكرية ومنطلقهم الإسلام وتعاليمه، لأنه يجعل العلم فريضة ، وأعطى العقل مساحة واسعة للعمل والانطلاق، وجعل محاربة الجهل والخرافة وسيلة للتقرب إلى الله ، فلم يكن العقل في يوم من الأيام مناقضا للوحي ، ولا الوحي مناقضا للعقل .

إذن فالصراع بين العلم والدين أمر خاص بأوروبا، ولا يجوز تعميمه على الدين الإسلامي ، ونرفض انتقال كل ملابسات الغرب وخصوصياته إلى بلادنا .

فلا يعقل أن يكون من لوازم الحداثة ، تغيير العادات والتقاليد والسلوك، لا بل تغيير القيم والثوابت تحت مسمى الحداثة ، حتى وصل الأمر إلى رفض الإيمان وجعله من الخرافات والأساطير

ان العلم في ديننا مطلب شرعي ، وفريضة دينية ، كثر الحديث عنه في القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، وكلما ازداد المرء علما وفهما لأسرار الكون ونواميسه ، ازداد إيمانه بالله عز وجل قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ فاطر: ٢٨

إذن هناك نقطة خلاف رئيسة في النظرة إلى العلم ، فالإسلام ينظر إليه على أن له وظيفة مهمة جدا ، وهي خدمة الإنسان وسعادته، لأن الكون كله مسخر للإنسان

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ الجاثية: ١٣ فكل ما في الكون يعمل لخدمة الإنسان ، لا لخدمة لون من البشر على حساب لون آخر ، بل لخدمة البشرية كلها .

وإذا اختل هذا التوجيه للعلم — كما هو حاصل الآن — تحول إلى نقمة على البشرية وأدى إلى دمار الدنيا وخرابها ، وقتل ملايين البشر من خلال أسلحة الدمار الشامل

إن توظيف العلم لصالح البشرية مهمة إنسانية وشرعية ، تكتمل بها وظيفة الإنسان الكونية ، في أعمار الكون الذي استخلف الله عز وجل الإنسان فيه .

أما نظرة الإسلام إلى العقل ، فنجد أن الإسلام يوازن بين النقل والعقل، وهو لا ينحاز لواحد منهما دون الآخر ، ولا يقف بينهما ويعزل عن كليهما ، وإنما هو يجمع ويؤلف ، بين ما يمكن جمعه وتأليفه ، يؤاخي بين الحكمة وبين الشريعة ، باكتشاف ما بينهما من

© Arabic Digital Library Yarmouk University

اتصال ، ويقرأ النقل بالعقل ،ويحكم غرور العقل، بما لا يستقل بادراكه بالأدلة النقلية التي جاءت من عالم الغيب والشهادة سبحانه وتعالى .

يقول د . محمد عماره : (إن العقل والعقلانية والنزعة العقلية — في المنظور الإسلامي — ليس جوهرا مستقلا ، ومناقضا لغيره من سبيل النظر وتحصيل المعارف ، وأدوات الإدراك ، فإذا كان المنهج العقلي والفكر ذو النزعة العلمية في المصطلحات السائدة في الفكر الغربي يعني التميز والاستقلال ، بل المقابلة والتناقض مع المناهج والنزعات الوجدانية والحدسية والنقلية ، فليس كذلك الحال في منظور الرؤية الإسلامية لعلاقة العقل والعقلانية بمناهج النظر والإدراك الأخرى .

فالعقل في — مصطلح العربية ومفهوم الإسلام — ليس عضوا وإنما هو فعل التعقل وبه وبالقلب والنهي واللب ، وبالنظر والتدبر والتفكر والفقه كان التعبير القرآني عن سبيل هذا المنهج ، من مناهج النظر) .([1])

ويضيف عمارة قائلا : (وفعل التعقل إنما يتم من إنسان يمتلك سبلا أخرى للنظر والإدراك ، وكذلك فان النقل — وهو الوحي في المنظور الإسلامي — ليس مقابلا للعقل والعقلانية بل هو ثمرة للعقلانية، فحجية النقل مترتبة على الإيمان بالله الذي أرسل الرسول بالوحي المنقول، وسبيل هذا الإيمان هو النظر العقلي في كتاب الكون المصنوع على نحو لا نهائي من الإبداع والإحكام في الصنعة ، والتقدير ، والرعاية والتدبير ، استدلالا بالمصنوع البديع على الصانع المبدع .

الأمر الذي جعل ويجعل التزامل حتما ، والاشتراك ضرورة بين (كتاب الوحي) و (كتاب الكون) وبين العقل كأداة للنظر فيهما معا ، متعاونا في ذلك ومستعينا بكل أدوات النظر الأخرى .

ذلك هو العقل ، وتلك هي العقلانية ، والنزعة العقلية في منهج الإسلام، فليس هناك تقابل بين العقل والنقل ، ولا بين الوحي والكون ، وليس هناك استقلال للنظر العقلي عن غيره من سبل النظر والإدراك) .([2])

---

[1] - عماره ، محمد : ازمة الفكر الإسلامي الحديث ، دار الفكر — دمشق — سوريا ، ط١ سنة ١٩٩٨ م ص ٢٠ وما بعدها .

[2] - نفس المرجع والصفحة

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

من هنا ندرك أن المنهج الإسلامي في النظر العقلي يختلف عن المنهج الغربي ، فالإسلام وبالرغم من إعطائه العقل مساحة واسعة، لكنه ضبط العقل بضوابط الشرع ، حتى لا يصاب بالغرور ، ويشطح نحو آفاق من اللامعقول كما هو الحال عند فلاسفة الغرب ومفكريه.

ونجد كذلك أن العلاقة بين العقل والنقل علاقة تكاملية ، حتى أن الإسلام نعى على أولئك الذين لا يعملون عقولهم ، ولا يتدبرون ، ولا يتفكرون ، لأن الفكر السليم ، والتعقل الراشد ، يصب في نفس النهر الذي يريده الإسلام .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الرابع : مستويات الحداثة وأنواعها :

جاءت الحداثة ثورة عارمة على كل شيء ،على كل ما هو تقليدي ، وبلورت تصورا جديدا قائما على منطلقات فلسفية تشمل كل أو معظم نواحي الحياة ، ويعد المستوى السياسي للحداثة نقطة ارتكاز في الحداثة ، لأن المنطلق الفلسفي عندهم يقوم على انهيار كل المشروعات التقليدية ، ومنها السياسية .

يقول الزواوي بغوره:(الحداثة السياسية مرتبطة بخصوصية الدولة الحديثة، القائمة على القانون، والمؤسسات القانونية، والمتكونة من مواطنين أحرار لهم حقوقهم، خاصة حق المواطنة، وحق الملكية، وحق التعبير، وعليهم واجبات خاصة كاحترام وطاعة القانون).([1])

ويقول محمد سبيلا : (والحداثة في مستواها السياسي تجلت في نشأة الدولة الديمقراطية العلمانية ، أي الدولة التي يتم فيها التمييز بين المجال السياسي والمجال الديني من جهة ، والتي تسمح للمواطنين بممارسة مواطنتهم) .([2])

ويعني بذلك حق المشاركة في الحياة السياسية كالانتخاب والترشيح .... وما يهمنا هنا هو صورة الحداثة السياسية في بلادنا العربية والإسلامية ، حيث بدأت من خلال حركة الإصلاح والتجديد والتي بدأت بجمال الدين الأفغاني (١٨٣٨ – ١٨٩٧ م) والذي لاحظ أن المسلمين ابتعدوا عن حقائق الإسلام ومبادئه، وحوروها وأدخلوا فيها من الأوهام والخرافات ، ما هي منه براء . ودعا إلى الوحدة والتضامن، والعودة إلى الكتاب والسنة ، ورأى الأفغاني أن الحكم الاستبدادي في الشرق الإسلامي ، هو الأساس في التأخر السياسي والاجتماعي للمسلمين ، وهو مخالف لروح الإسلام القائم على الشورى ، ودعا إلى حكم شوري بعيد عن التسلط والقهر والظلم .

وجاء بعده محمد عبده (١٨٤٩ – ١٩٠٥ م) الذي رأى أن الإسلام دين ودنيا ، وأنه لا انفصال بين السلطتين السياسية والدينية ، أو الزمنية والروحية ، وأن فصل الدين عن الدولة أمر مستحيل ، وأن علاج كافة المشاكل التي يعاني منها المسلمون إنما يكون بالفهم

---

[1] - الزواوي بغوره : الحاضر يدبل عن الحداثة وما بعد الحداثة ، مجلة قضايا فكرية العدد ١٩ ، ٢٠ سنة ١٩٩٩م – القاهرة ص ٢٣٧

[2] - سبيلا ،محمد : الحداثة وما بعد الحداثة ص ٦٤

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الصحيح لمعنى الدين، كإفراد الله بالربوبية، والتسليم له وحده بالعبودية ، وطاعته فيما أمر به أو نهى عنه .

ومن دعاة الإصلاح السياسي كذلك عبد الرحمن الكواكبي (١٨٤٨ - ١٩٠٥ م) الذي أرجع تدهور أحوال المسلمين في كتابيه (طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد) و (أم القرى) إلى أسباب منها سبب سياسي، وهو انعدام الحرية والعدالة ، والمساواة وتولي أمور المسلمين من هو غير جدير بالولاية ، ولا أهلا لها ، وترك مشورة أهل الحل والعقد ، الذين لا تنعقد الولاية أو الأمانة أصلا إلا ببيعتهم ، في حين أن القرآن الكريم مشحون بتعاليم الحرب على الظلم والاستبداد وإعلان العدل والمساواة . ([1])

أما على صعيد الحداثة الاقتصادية ، فظهرت في أوروبا من خلال الثورة الصناعية ، وحركة الكشوف العلمية ، والمخترعات ، وقوانين السوق الحر وما لحق بذلك من الحديث عن قوانين الإنتاج، والعلاقة بين العمال ورب العمل ، والملكية الخاصة ..الخ

أما على المستوى الاجتماعي فنجد أن الحداثة أحدثت شرخاً في القيم والعلاقات الاجتماعية ، فإذا كان المجتمع التقليدي مجتمعاً مغلقاً ، تحكمه أخلاقيات متشددة ، وتسوده منظومة عقائدية ، ومنظومة قيم واحدة ، فان المجتمع الحداثي مجتمع تداهمه مجموعة من القيم المنفتحة ، القائمة على التعددية ، والقابلة للتغيير بحسب مفهوم الحرية ([2]).

أما على المستوى الفكري فنجد أن الحداثة شهدت ما يمكن أن نسميه انقلابا فكريا ، أو عقليا، تمثل في تحولات جذرية ، أصابت مفاهيمنا عن الكون ، والمجتمع ، والإنسان ، والتاريخ والدولة .

يقول محمد سبيلا : (إن الحداثة الفكرية بمثابة الروح من كل الحداثات السابقة ويوجز ميزات الحداثة الفكرية في عناصر مهمة هي :

المعرفة : والتي تمثل في انتقال الحداثة من الفكر التأملي إلى الفكر التقني ، مع ما يعنيه ذلك من إضفاء للطابع التقني على العلوم المتعلقة بالطبيعة ، وللطابع العلمي على كل معرفة ، بما

---

[1] - فضل الله ، مهدي – العقل والشريعة ، دار الطليعة – بيروت – لبنان ط١ سنة ١٩٩٥ ص ٦١ وما بعدها .

[2] - انظر : ألان تورين – نقد الحداثة ص ١٩ وانظر الحداثة في فكر محمد اركون ص ٤٥ – ٤٦

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

في ذلك معرفة الإنسان فأصبحت الحداثة هي الاحتكام للعلم ، واعتبارالعلوم الإنسانية أدوات للتعبير عن هذا الواقع .

الإنسان : تم الانتقال مع الحداثة من النظر إلى الإنسان كجوهر روحي قبلي ، إلى النظر اليه كدوافع أولية، مثل الرغبة والإرادة (والإنسان في الحداثة هو ما يفعله) .

التاريخ : حدث تحول من الرؤية التاريخية، لأن الحداثة تستبعد أية غائية ، خاصة الغائية الدينية التي تنادي دوما بنهاية التاريخ) .([1])

وهناك قضية مهمة وهي أن الحداثيين لا يفرقون - أو يتعمدون — عدم التعريف بين حداثة الفكر وحداثة التكنولوجيا أو ما يمكن تسميته الحداثة المادية .

لكن محمد أركون يفرق بين الأمرين على طريقته : فيقول : (إن أول ما يجب أن نقوم به هو التمييز بين الحداثة المادية والحداثة العقلية ، اقصد بين تحديث الوجود اليومي للبشر ، وبين تحديث موقف الفكر البشري من مسألة المعنى، أو فهم الوجود، أو رؤية العالم ، فالحداثة المادية ليست أكثر من إدخال التقنية واستيراد الآلات وتحسين طرق الإنتاج) .([2])

وينتقد محمد أركون بشدة سياسات الدول العربية والإسلامية التي تقبل بالحداثة المادية، وترفض الحداثة الفكرية فيقول : (إننا نسعى وراء أكمل وسائل الإنتاج وأرفه أنماط المعيشة ، ونتشبث في نفس الوقت بآراء وأفكار وتخيلات واعتقادات، تسلمناها من الماضي، دون أي تساؤل تحقيقي ، وهكذا تختلط الأمور).([3])

فالحداثيون العرب لا يريدون منا أن نكتفي بالجانب المادي من الحضارة الغربية ، بل يريدون أن نستورد الأفكار كما نستورد الآلات والملابس ، متجاهلين أن لكل أمة خصوصيتها الثقافية وهويتها الحضارية .

---

[1]- انظر : محمد سبيلا : الحداثة وما بعد الحداثة ص ٦٥ وألان تورين نقد الحداثة ص ١٩ وفارح المسرحي — الحداثة في فكر محمد أركون ص ٤٦ وما بعدها

[2]- محمد اركون : مفهوم العلم في القرآن والتفكير المعاصر ص ٢٢٠

[3] - انظر تعقيب محمد أركون على بحث (انطون فرغون) الدين والعلمنة في أوروبا — العلاقات بين الحضارتين العربية والأوروبية ، وقائع ندوة هامبورغ ١٩٨٣ الدار التونسية للنشر سنة ١٩٨٥م ص ٢٢٦

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقد بين علماء الثقافة الإسلامية هذا الأمر بوضوح تام ، إذ أكدوا على أن منتجات العلم كالكهرباء والسيارات والطائرات والسفن وعلوم الطب وغيرها تمثل الجانب المادي لأي حضارة، وهي مشاع لكل البشر فالسيارة سواء كانت أمريكية أم يابانية أم فرنسية لا تؤثر على فكر الأمم وثقافتها .

أما استيراد الأفكار والمعتقدات والثقافات والقيم فهذا هو المختلف، اذ أن لكل أمة ثقافتها وثوابتها ، وتصورها عن الكون والإنسان والحياة، المستمد من عقيدتها ودينها

هذا الأمر وهذه الخصوصية، لا يريد الحداثيون العرب أن يفهموه أو يعترفوا به فمحمد أركون يريد منا أن نستورد القيم والثقافة الغربية تماما كما نستورد السيارة والطائرة ،يريد منا أن نذوب في الآخر دون ضوابط ، ويؤيده في ذلك فارح المسرحي فيقول : (إن الحداثة الحقيقية ينبغي أن تشمل الجانبين معا المادي والعقلي ، وخاصة هذا الأخير لأنها – أي الحداثة– تتشكل ثقافيا، وترسخ مؤسسيا ، لهذا فان بلوغ نموذج الحداثة الحقيقية في الدول العربية والإسلامية يقتضي امتلاك ثقافة وفكر ومؤسسات حديثة بأتم معنى الكلمة) .([1])

وهكذا نجد خلطا واضحا بين ما يجوز أخذه وما لا يجوز، وأن هوية الأمة الثقافية أمر مقدس، لا يجوز التفريط فيه تحت أي مبرر أو ذريعة .

لذا فان اخطر مستويات الحداثة هو المستوى الفكري ، لأن علاقته مباشرة بعقيدة الأمة، وقيمها وثقافتها .

هذه هي نقطة خلاف مهمة جدا بيننا وبين الحداثيين العرب، وهي عدم إيمانهم بالخصوصية الحضارية لهذه الأمة . وكيف يؤمنون بها وهم يرفعون شعار الانقطاع المعرفي . أي ترك الصلة بالماضي ، حتى لو كان هذا الماضي هو عقيدتنا ومصادر تشريعنا ، وتصورنا عن الكون والإنسان والحياة .

---

[1] – انظر الحداثة في فكر محمد أركون ص ٤٩

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الثاني

موقف الحداثيين العرب من ثبوت القرآن الكريم وحفظه

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : دعوى الحداثيين العرب بعدم تواتر القرآن الكريم

المبحث الثاني : طعن الحداثيين العرب في طريقة جمع القرآن الكريم

المبحث الثالث : دعوى الحداثيين العرب بوجود التناقض في الخطاب القرآني

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الأول : دعوى الحداثيين العرب بعدم تواتر القرآن الكريم

يحاول الحداثيون العرب نفي تواتر القرآن الكريم وهذه المحاولة كمن يحاول إنكار بزوغ الشمس، أو دوران الأرض ، أو وجود الماء والهواء .

فالقرآن الكريم وصلنا متواترا جيلا عن جيل ، وقد تعهد الله عز وجل بحفظه ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ الحجر: ٩ وهذا الحفظ الرباني للقرآن الكريم كنور الشمس الساطعة، التي تحرق بشعاعها كل من ينكر وجودها، رغم وقوعه تحت لهيبها وشعاعها .

يقول طيب تيزيني أحد دعاة الحداثة : (ومن الملاحظ أن تلك الظروف التي أحاطت بعملية جمع القرآن في مصحف واحد وتحريق ما تبقى من المصاحف كانت تشير إلى أن عثمان رضي الله عنه ربما كان يهدف من وراء ذلك إلى تحقيق أمرين اثنين متضايفين : الأول منهما تمثل في الحفاظ على الوحدة الدينية (الآيديولوجية) للمسلمين في الدولة الفتية المتعاظمة حتى لو تم ذلك على أساس نص قام على أنقاض نصوص انتهى بها الأمر إلى الطبخ) .([1])

هذا الفهم من تيزيني يكشف عن عدم معرفته بالتاريخ ، فالمسلمون كانوا متمسكين بالقرآن الكريم في المرحلتين المكية والمدنية ، وقد قامت الدولة الإسلامية في عهده صلى الله عليه وسلم قبل أن يقوم عثمان رضي الله عنه بجمع المصحف ، فقد سبق في حكم الدولة الإسلامية خليفتان لرسول الله صلى الله عليه وسلم هما أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، ولبيان الحقيقة للحداثيين العرب أقول :

لقد مرّ حفظ القرآن الكريم والعناية به بمراحل عدة من أهمها :

أولا : لقد كان صلى الله عليه وسلم حريصا على تلقي القرآن الكريم وحفظه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴾ القيامة: ١٦

---

[1]- طيب تيزيني : النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة ، دار الينابيع ، بيروت – لبنان ط١ ص٤٠٢

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أخرج البخاري بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله (لا تحرك به لسانك لتعجل به) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل جبريل بالوحي وكان مما يحرك به لسانه وشفتيه فيشتد عليه ،

وكان يعرف منه فأنزل الله الآية التي في (لا أقسم بيوم القيامة) : (لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه) قال : علينا أن نجمعه في صدرك وقرآنه (فإذا قرأناه فاتبع قرآنه) فإذا أنزلناه فاستمع (ثم إن علينا بيانه) علينا أن نبينه بلسانك ، قال : فكان إذا أتاه جبريل أطرق ، فإذا ذهب قرأه كما وعد الله . ([1])

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله :(وكان من أصل الدين أن المبادرة إلى أفعال الخير مطلوبة ، فنبه أنه قد يعترض على هذا المطلوب ما هو أجّل منه وهو الإصغاء إلى الوحي ، وتفهم ما يرد منه ، والتشاغل بالحفظ قد يصد عن ذلك، فأمر ألا يبادر إلى الحفظ، لأن تحفيظه مضمون على ربه ، وليصغ إلى ما يرد عليه، إلى أن ينقضي فيتبع ما اشتمل عليه) .([2])

ونهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن كتابة شيء غير القرآن الكريم ، عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحُه ، وحدثوا عني ولا حرج) .([3])

وكان ذلك في بداية الدعوة خوفاً من عناية الصحابة بالحديث أكثر من حفظ القرآن الكريم .

ومن عناية الرسول صلى الله عليه وسلم بالقرآن حفظاً وكتابةً، أنه كان يأمر كتّاب الوحي بوضع كل آية في موضعها لتحفظ كتابة واستظهاراً .

قال ابن حجر : (وروى أحمد وأصحاب السنن وصححه ابن حبان والحاكم من حديث عبد الله بن عباس عن عثمان بن عفان قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يأتي

---

[1] - الإمام البخاري : الجامع الصحيح حديث رقم ٤٩٢٩

[2] - انظر ابن حجر العسقلاني : فتح الباري ٨ / ٥٤٨

[3] - رواه مسلم حديث رقم ٣٠٠٤

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

عليه الزمان يترل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب عنده فيقول ضعوا هذه في السورة التي يذكر فيها كذا) .([1])

وكان صلى الله عليه وسلم يأمر أصحابه ويحثهم على تعهد القرآن الكريم بالحفظ والمذاكرة، فعن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (تعاهدوا القرآن فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفلتاً من الإبل في عقلها) .([2])

يضاف إلى ذلك أمره صلى الله عليه وسلم صحابته بتحسين الصوت في القراءة ، وحبه سماع القرآن منهم ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت ، يتغنى بالقرآن يجهر به) .([3])

و قال عليه الصلاة والسلام عندما سمع قراءة أبي موسى الأشعري : (يا أبا موسى لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داوود) .([4])

وطلب عليه الصلاة والسلام من عبد الله ابن مسعود – وكان حسن الصوت – أن يقرأ عليه القرآن قائلاً له : (اقرأ عليّ القرآن) قال : قلت يا رسول الله أقرأ عليكَ وعليك أُنزل ؟قال : إني أشتهي أن أسمعه من غيري ، فقرأتُ النساء حتى إذا بلغتُ: فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) رفعت رأسي ، أو غمزني رجل إلى جنبي، فرفعت رأسي فرأيت دموعَه تسيل .([5])

وكان كل حافظ لكتاب الله عز وجل ينشر ما حفظه ، ويعلمه لأولاده ونسائه ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يدفع كل مهاجر جديد إلى أحد الصحابة ليعلمه القرآن الكريم ، ومن شدة حثه على تعلم القرآن الكريم أنه جعل مهر بعض الفقراء عند الزواج ما يحفظونه من كتاب الله عز وجل ، فعن سهل بن سعد قال : أتت النبي صلى الله عليه

---

[1] – انظر ابن حجر العسقلاني : فتح الباري ٨ / ٦٣٩

[2]- نفس المرجع السابق والصفحة

[3] – متفق عليه البخاري حديث رقم ٧٥٤٤ ومسلم حديث رقم ٧٩٢

[4] – رواه البخاري حديث رقم ٥٠٤٨

[5] – متفق عليه البخاري حديث رقم ٤٥٨٢ ومسلم حديث رقم ٨٠٠

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وسلم امرأة فقالت : إنها قد وهبت نفسها لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم فقال : ما لي في النساء من حاجة ، فقال رجل : زوجنيها قال : أعطها ثوباً قال : لا أجد، قال : أعطها ولو خاتماً من حديد ، فاعتلّ له فقال : ما معك من القرآن ؟ قال : كذا وكذا قال : فقد زوجتكها بما معك من القرآن) .([1])

وخير دليل على كثرة الحفاظ زمن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قتل في بئر معونة سبعون صحابياً ، وقتل مثلهم في حروب الردة وكلهم من الحفظة .

ومن المعلوم أن الله عز وجل أمرنا أن نقرأ القرآن الكريم في صلاتنا فرضاً ونفلاً وهذا جعل الصحابة ومن بعدهم يحرصون على حفظ القرآن الكريم للصلاة والتعبد .

وحب الصحابة للرسول صلى الله عليه وسلم ، ولهذا الدين الجديد دفعهم إلى حفظ القرآن الكريم خاصة أنه المصدر الأول للتشريع .

وقد اعتنى الرسول صلى الله عليه وسلم بالقرآن الكريم وحث الصحابة الكرام على كتابة القرآن الكريم وحفظه وتدوينه ، فدونوه على الجلود والأخشاب وسعف النخيل ، وممن اشتهر بكتابة القرآن الكريم في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعبد الله بن مسعود والزبير بن العوام ومعاوية وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وغيرهم . ([2])

فلا غروَ إذا كانت عناية المسلمين خاصة والناس عامة بالقرآن الكريم لأنه يخاطب العقل والعاطفة فهو كتاب الله لهداية الإنسان لذلك أضحى القرآن الكريم ربيع قلوب المسلمين منذ نزل قوله تعالى (اقرأ) حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

أما المشركون فكفروا بالله تعالى ، وصدوا عن القرآن الكريم لأنه سفّه أحلامهم ، وعاب آلهتهم التي يعبدونها من دون الله تعالى ، وما كلام الوليد بن المغيرة إلا أكبر مثال على ذلك .

---

[1] – صحيح البخاري : كتاب فضائل القرآن باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه

[2] – فتح الباري ٩ / ١٦

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والحق أن الاهتمام بالقرآن الكريم لم يكن في عصر التنزيل فقط ، وإنما امتد إلى كل العصور ، فما من عصر إلا وتجد الآلاف من أبناء المسلمين والمسلمات يحفظون كتاب الله تعالى ، ويتلونه حق تلاوته.

ولا غرابة أن نجد بعض العرب من غير المسلمين يحفظون القرآن الكريم لا إيمانا به وإنما من أجل لغته وبلاغته .

ومسألة تواتر القرآن الكريم من المسائل البدهية ، والمسلمات اليقينية يعضدها النقل، ويسلم بها العقل للأسباب الآتية :

- كون القرآن الكريم كتاب الهداية للإنسانية بدءا بالمجتمع الذي نزل فيه ، وما بعده إلى قيام الساعة ، وقد بدأ تواتر القرآن الكريم كتابة وحفظا يتصاعد ويتنامى مع مرور الزمن ، وتتسع دائرته إلى أن تجاوز المجتمع العربي ، أو الدولة الإسلامية فيما بعد ، وانتشر في كل بقاع الدنيا ، لذا يمكن القول بأن القرآن الكريم تواتر إنسانياً ، فأنت تجده واحدا موحدا في مشارق الأرض ومغاربها .

- أن الحقائق العلمية التي تحدث عنها القرآن الكريم في النفس البشرية ، وفي الكون من حولنا، قد تطابقت وبشكل كامل مع كلام الله عز وجل،يقول موريس بوكاي : (فالقرآن هو الوحي الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم عن طريق جبريل،وقد كتب فور نزوله وحفظه، ويستظهره المؤمنون عند الصلاة، وخاصة في شهر رمضان ، وقد رتب في سور بأمر من محمد صلى الله عليه وسلم نفسه وجمعت هذه السور فور موت النبي، وفي خلافة عثمان، ذلك ليصبح النص الذي نعرفه اليوم) .([1])

ويقول : (وبفضل الدراسة الواعية للنص العربي استطعت أن أحقق قائمة أدركت بعد الانتهاء منها أن القرآن لا يحتوي على أي مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم الحديث) ([2]).

أما ما يتعلق بالتوراة فيقول : (وعلى حين نجد في التواراة أخطاء علمية ضخمة، لا نجد في القرآن الكريم أي خطأ، وقد دفعني ذلك لأن أتساءل : لو كان كاتب القرآن إنسانا ،

---

[1] - موريس بوكاي : دراسة الكتب المقدسة ص ١٠ – ١٣

[2] – المرجع السابق ص١٤

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كيف استطاع في القرن السابع من العصر المسيحي أن يكتب ما اتضح أنه يتفق اليوم مع المعارف العلمية الحديثة ؟ ليس هناك أي مجال للشك فنص القرآن الكريم الذي نملك اليوم هو فعلاً النص الأول، وقال : صحة القرآن لا تقبل الجدل، ولا يشترك مع القرآن في هذه الصحة لا العهد القديم،ولا العهد الحديث) .([1])

بعد قراءتنا لهذه الدراسة العلمية الموضوعية نقارن بينها وبين ما يقوله الحداثيون العرب متهمين القرآن الكريم بعدم التواتر وأنه لم يصلنا بسند متواتر. يقول محمد أركون : (إن القرآن الكريم لم يصلنا بسند مقطوع الصحة، وانه نص اسطوري قابل للدراسة والأخذ والرد، وانه لم يكتب كله في حياة النبي صلى الله عليه وسلم) .([2])

هذا القول من اركون لا يتفق ومنهج البحث العلمي الذي ينادي به أركون نفسه ، ذلكم لأن التواتر اللفظي والمعنوي بكتابة المصحف بين يديه صلى الله عليه وسلم لا يختلف فيه اثنان ، وكلامه يعتريه الوهن ، وهو محل نقاش ،فان كان يقصد بأنه لم يكتب كله أنه لم يجمع بين دفتي المصحف كما فعل عثمان رضي الله عنه فهذا أسلوب سفسطائي – جدلي – لا يتفق والمنهجية العلمية .

وأما إن أراد أنه لم يكتب في حياته صلى الله عليه وسلم فما معنى أن يترل شيء من القرآن بعده صلى الله عليه وسلم ، وهذا لا يقول به جاهل فضلاً عن عاقل .

فقد أثبت العلماء أن العناية الفائقة بالقرآن الكريم حفظاً وكتابة بدأت من أول نزوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم واستمرت إلى يومنا هذا.

فالقول بعدم كتابة القرآن زمن الرسول عليه السلام في مكة قاله بلاشير قبل الحداثيين العرب مشككا في إمكانية كتابة القرآن الكريم زمن الرسول عليه الصلاة السلام إذ قال : (حدث أن قامت استحالات مادية في سبيل تسجيل الوحي الهابط فجأة في السفر، وفي الصلاة وفي الليل ...) .([3])

---

[1] – نفس المرجع والصفحة

[2] – محمد اركون : الفكر الإسلامي قراءة علمية ، ص ٢٢ ، ٨٥

[3] - تاريخ القرآن د. عبد الصبور شاهين ص ٥٣ نقلا عن بلاشير

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كانت طريقة التلقي المتبعة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم في مكة تعتمد على المشافهة والحفظ، و لم تكن الكتابة واسعة الانتشار، ومع ذلك فقد حرص الرسول عليه السلام على تسجيل وحفظ كل ما يترل من الوحي

قال صلى الله عليه وسلم : : (لا تكتبوا عني، ومن كتب غير القرآن فليمحُه، وحدثوا عني ولا حرج، ومن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) .([1])

ثم إن البلاذري في فتوح البلدان يؤكد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان له كتاب متخصصون، ومنقطعون للكتابة له بلغوا أكثر من أربعين كاتباً . ([2])

يقول سامر الاسلامبولي : (ان للجو الثقافي دوراً مهماً في عملية التوثيق، اذ كان الناس يتناقلون النص القرآني كحدث هام جداً، وتأتي أهميته من خلال محتواه كنص الهي جاء ليغير بنية المجتمع العقدية والثقافية والسياسية، ندرك هذا إذا ما تصورنا البيئة الثقافية لمجتمع مكة حيث كانت تعقد أسواق للشعر والخطابة يتناقلوها ويحفظوها ويدوّنوها، أفلا يكون للنص القرآني أهمية أكبر من ذلك في هذا الجو الثقافي ؟.

كل هذا أدى إلى تواتر نقل النص القرآني داخل مجتمع مكة وخارجه، من خلال موسم الحج ورحلات التجارة، وأسواق الشعر والخطابة .

ويذكر أمورا ساعدت على حفظ القرآن في مكة من أهمها :

١- قوة الذاكرة عند العرب

٢- أهمية الحدث وعظمته

٣- الصراع المستمر بين الإيمان والكفر

٤- التحدي للخصوم للإتيان بمثله

٥- تسفيه عقائد وطريقة المجتمع الجاهلي

٦- نزوله مفرقا خلال مدة طويلة

٧- ارتباط النص القرآني غالباً بالأحداث .([3])

---

[1] - رواه مسلم كتاب الزهد

[2]- البلاذري فتوح البلدان ط١ سنة ١٩٠١ شركة طبع الكتب العربية القاهرة ص ٤٧٨

[3]- انظر : ظاهرة النص القرآني تاريخ ومعاصرة ، سامر الاسلامبولي ص ١٧ وما بعدها بتصرف

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وفي قصة إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه دليل على توثيق النص القرآني وكتابته في مكة اذ وجد عند اخته فاطمة وزوجها سعيد صحيفة مكتوب عليها أوائل سورة طه .

([1]) ثم ألم يرسل الرسول عليه الصلاة والسلام مصعب بن عمير للمدينة قبيل الهجرة ليعلم المسلمين هناك القرآن الكريم .([2])

أضف إلى ذلك أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يراجع القرآن في كل عام مرة لحفظه، وتحفيظه لصحابته الكرام

وهذا يؤكد أن الرسول كان أجمع وأحفظ الناس لكتاب الله، ومرجعهم في ذلك وهذا كله يرد مزاعم من يقول إن القرآن لم يدوّن قبل الهجرة .

يؤكد د . فضل حسن عباس أن الصحابة كانوا يحفظون ما يتزل على الرسول صلى الله عليه وسلم قبل كتابته، واستدل على ذلك بجملة أحاديث منها :

أن الصحابة سمعوا سورة الفتح وحفظوها من تلاوة النبي صلى الله عليه

وسلم وهو راجع من الحديبية .([3])

ما جاء عن ابن مسعود من أنه حفظ سورة المرسلات من النبي صلى الله عليه وسلم وقد تلاها ليلة لقائه الجن بعد الهجرة .([4]) ([5])

ومن خلال ما تقدم تظهر لنا الحقائق التالية :

١- أن تدوين القرآن الكريم تم منذ فجر أول سورة نزلت، بل أول آية من القرآن ، وكان كلما نزل نجم من القرآن أملاه عليه الصلاة والسلام على كاتب الوحي فدونه سماعا منه لتوه ، ولم يلق عليه الصلاة والسلام ربه إلا والقرآن كله مدون في الرقاع، وما أشبهها من وسائل التسجيل .

---

[1]- انظر السيرة النبوية لابن هشام مكتبة الكليات الأزهرية مصر ١ / ٢٩٥

[2] - انظر تاريخ القرآن للزنجاني ص ٤٤

[3]- اخرجه البخاري في كتاب المغازي باب أين ركز النبي صلى الله عليه وسلم الراية يوم الفتح ، حديث رقم ٤٠٣١

[4]- اخرجه البخاري في كتاب التفسير ، سورة المرسلات ، حديث رقم ٤٦٥٠

[5]- عباس ، فضل حسن ، إتقان البرهان في علوم القرآن ١ / ٢٠٣

© Arabic Digital Library Yarmouk University

٢- أن السماع والحفظ هما أقدم الوسائل لحفظ وتلاوة كتاب الله العزيز . وسيظلان هكذا إلى يوم الدين .

٣- أن القرآن منذ أول آية نزلت منه ، حتى اكتمل وحيه لم تمر عليه لحظة وهو غائب عن المسلمين ، أو المسلمون غائبون عنه ، بل كان ملازما لهم، ملازمة الروح للجسد ، فتاريخ القرآن واضح كل الوضوح ، ومعروف كل المعرفة ، لم تمر عليه فترات غموض ، أو فترات اضطراب

يبين طه عبد الرحمن أن من الأخطاء التي وقع فيها الحداثيون العرب هو تعميمهم الشك على كل شيء حتى القرآن الكريم زاعمين أن الرغبة في كشف المجهول والاطلاع على حق النص القرآني تدعوهم الى الابتداء بالشك بحجة أنه المنهج الموصل الى الاكتشاف لكنهم لا يكادون يفرغون من تنزيلاتهم المختلفة حتى يرفعوا هذا الشك الى رتبة قانون شامل ويقرره الارتياب في أصل النص القرآني وقدسيته وتماهيته وصلاحيته ولما نقلوا من غيرهم آلية التشكيك على علاتها كان لا بد أن يقضي تعميمها الى أن تضطرب تحليلاتهم وتلبّس أحكامهم وتتعثر نتائجهم والحق أنهم لو تغلغلوا في تأمل هذه الآلية واستعلوا بنظرهم فيها لتبينوا أنها على خلاف ما يزعم الآخر الذي قلدوه

— لا توصل الى الحقيقة في كل شيء — وأنما تقتصر فائدتها في مجال واحد بعينه هو مجال القيم فلا يتبع في الوصول الى الحقيقة بشأنها الا سلوك طريق يضاد طريق الشك وغني عن البيان أنه هو طريق الايمان واليقين اذ كلما زاد الايمان بالقيمة زاد انكشافها للمؤمن بها وكلما نقص ايمانه بها نقص انكشافها حتى يضمحل عند تمام الارتياب فيها . ([1])

[1]- انظر طه عبد الرحمن ، روح الحداثة ص ١٩٢

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الثاني : طعن الحداثيين العرب في طريقة جمع القرآن الكريم

من جملة ما تعرض له الحداثيون العرب مسألة جمع القرآن الكريم ، وهذا من ضمن خطتهم في نزع قداسة القرآن الكريم ، والدخول في دائرة اللامفكر فيه ، فاخضع القرآن الكريم للدراسة الأركولوجية – الحفرية – وادعى الحداثيون العرب أن القرآن الكريم قد حصل في ظروف سياسية شديدة الهيجان . ([1])

من خلال مرحلة الفتنة التي حدثت زمن عثمان رضي الله عنه ، يقول أركون و ما دام الصراع قائما بين بني أمية وبني هاشم، وما دام عثمان ينتمي إلى العائلة المعادية للنبي صلى الله عليه وسلم، فقد أراد أن يؤسس لنفسه مصحفاً سلطوياً يكون مكرّساً لسلطانه . ([2])

هذا النص قدح واضح في طريقة عثمان رضي الله عنه في جمع القرآن الكريم وكذا يتجاهلون الظروف الموضوعية التي دفعت أبا بكر رضي الله عنه ومن بعده عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى جمع القرآن بطريقة علمية، شديدة الدقة والتعقيد .

فقد مر جمع القرآن الكريم بمراحل ثلاث هي :

١- مرحلة جمع الرسول صلى الله عليه وسلم للقرآن الكريم

حيث اتخذ صلى الله عليه وسلم كتاباً للوحي كانوا يحفظون ويكتبون كل ما ينزل من القرآن الكريم .

٢- مرحلة جمع ابي بكر رضي الله عنه للقرآن الكريم

اذ كلف رضي الله عنه زيد بن ثابت رضي الله عنه لهذه المهمة وأمره بتتبع القرآن وجمعه من الرقاع الموجودة عند الصحابة ، ومن صدور الرجال واعتمد زيد رضي الله عنه على طريقتين : المحفوظ في الصدور بشكل متواتر، والمكتوب على الرقاع، بحيث لا يثبت آية إلا إذا توافر فيها هذان الشرطان التواتر الحفظي، والتوثيق الكتابي، أضف إلى ذلك أن زيداً نفسه من حفظة القرآن، ومن كتاب الوحي، ومع ذلك ومبالغة في الاحتياط كان لا يقبل شيئاً مكتوباً من القرآن حتى يشهد شاهدان عدلان بذلك .

---

[1] - اركون ،محمد : نافذة على الإسلام ص ٦١

[2] - اركون ،محمد : تاريخية الفكر الإسلامي ص ٢٨٨ وانظر طيب تزيني النص القرآني ص ٤٠٢

© Arabic Digital Library Yarmouk University

٣- أما مرحلة الجمع الثالثة فكانت في زمن عثمان رضي الله عنه والتي يعلن اركون عن شكه في عملية جمع القرآن الكريم في هذه المرحلة بقوله : (إنه النسخة الرسمية التي شكلت في ظل الخليفة عثمان والتي ثبتت في القرن الرابع الهجري) .([1])

٤- لاحظ هنا كلمة (نسخة رسمية) و(شكلت) و(ثبتت) وكأننا أمام كتاب تم تأليفه وصياغته من خلال لجان متعددة، وفي حقب زمنية استمرت حتى القرن الرابع الهجري ، انه الخطاب الحداثي الذي يريد رسم صورة غير مقدسة للقرآن الكريم، ويترع صفة الغيب والوحي عنه .

ولا نبتعد كثيرا فها هو هاشم صالح يوضح قصد اركون رغم وضوحه فيقول : (إن القرآن لم يثبت كما نظن في عهد عثمان، وإنما ظل الصراع حوله محتدما حتى القرآن الرابع الهجري، حين أغلق نهائيا باتفاق ضمني بين السنة والشيعة وذلك لأن استمرارية الصراع كانت ستضر بكلا الطرفين ، بعدئذ أصبح كنص نهائي لا يمكن أن نضيف إليه أي شيء، أو نحذف منه أي شيء، وأصبحوا يعاملونه كنص متكامل على الرغم من تنوع سوره واختلافها فيما بينها، من حيث الموضوعات والأساليب) .([2])

ونقول لأركون وغيره : إن الله عز وجل قد تعهد بحفظ كتابه فأنت تجد القرآن نفسه في مشارق الارض ومغاربها .

إذن فاركون يصرح أن الوحي لم ينقل كله إلى المصحف فيقول : (وحصل تلاعب في القرآن، وبتر تاريخي عندما فرضت نسخة واحدة للقرآن) .([3])

ونفس الكلام يردده سيد قمني، لأن مصدرهم واحد وشيوخهم هم المستشرقون .([4])

هذه نماذج من آراء الحداثيين العرب وشبهاتهم حول جمع القرآن الكريم ، وهنا نتساءل ما هي أدلتهم على حدوث الاختراق زيادة أو نقصانا في جمع القرآن الكريم وكيف تم ذلك تحت ضغط الظروف السياسية كما يدعون ؟.

---

[1] - اركون ، محمد : القرآن من التفسير إلى الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص ١١٨ ، ١١٩

[2] - انظر هوامش وتعليقات هاشم صالح على كتاب اركون القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص ١١٥

[3] - انظر اركون : نافذة على الإسلام ص ٦٥ وانظر أركون : تاريخية الفكر الإسلامي ص ٨٥ ،

[4] - انظر سيد القمني : الاسطورة والتراث ص ٢٤٤ وما بعدها

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يتجاهل الحداثيون العرب الظروف الموضوعية التي دفعت عثمان رضي الله عنه لهذا الجمع فبعد أن اتسعت رقعة الدولة الإسلامية بكثرة البلدان المفتوحة ودخول الناس في الإسلام أرسل الخلفاء صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الأمصار ليعلموا الناس القرآن الكريم فأخذ أهل الشام بقراءة أبي بن كعب وأهل الكوفة بقراءة ابن مسعود وهكذا فكان بينهم اختلاف في حروف الأداء ووجوه القراءة مما فتح باب النزاع في قراءة القرآن وظهر ذلك جليا حين اجتماع المسلمين الجدد في ميادين القتال فيجدون اختلافا بينهم في القراءات وكانوا يجهلون أن القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها كاف شاف وأي حرف قرأوا به فقد أصابوا فصار أهل كل بلد يخطئ قراءة البلد الآخر ووصل الأمر إلى درجة أن كفر بعضهم بعضا وكادت أن تحدث فتنة لولا عناية الله عز وجل .

أخرج ابن أبي داوود من طريق أبي قلابة قال : (لما كانت خلافة عثمان جعل المعلم يعلم قراءة الرجل والمعلم يعلم قراءة الرجل فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون حتى ارتفع ذلك إلى المعلمين فكفّر بعضهم بعضا فبلغ ذلك عثمان فخطب فقال : أنتم عندي تختلفون فمن نأى عني من الأمصار أشد اختلافا وأشد لحنا) .([1])

واستشار عثمان رضي الله عنه أصحابه فوقع اختيارهم على جمع الناس على حرف واحد فشكلت لجنة لذلك برئاسة زيد بن ثابت رضي الله عنه وعضوية عبد الله ابن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام رضي الله عنهم أجمعين فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا الصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت ومن معه فنسخوها في المصاحف وقال عثمان للجنة : (إذا اختلفتم في شيء فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم فلما انتهوا من علمهم بعث عثمان بالنسخ إلى الأمصار ورد الصحف إلى حفصة ، أمر بما سواه من القرآن والصحف أن تحرق .

وهكذا جمع عثمان رضي الله عنه المسلمين على مصحف واحد جامع، موحد الرسم والقراءة، وجمع بذلك صف المسلمين وكلمتهم .

---

[1]- فتح الباري ١/٦٣٥

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وامتاز هذا الجمع بعدة ميزات أهمها .([1])

١- مشاركة جميع الصحابة الذين شهدوا جمع أبي بكر رضي الله عنه

٢- إشراف الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه بنفسه على خطوات الجمع كلها .

٣- بلغ من شهد هذا الجمع وأقره حد التواتر

٤- الاقتصار في هذا الجمع على ما ثبت بالتواتر دون ما كانت روايته آحادا .

٥- عدم كتابة ما نسخت تلاوته .

٦- ترتيب السور والآيات على الوجه المعروف الآن .

وبهذا العمل العظيم لا نستغرب أن يعد جمع القرآن الكريم في المصاحف من أعظم مناقب عثمان رضي الله عنه . قال ابن حزم : خشي عثمان رضي الله عنه أن يأتي فاسق يسعى في كيد الدين فيبدل شيئا من المصحف فيكون اختلافا يؤدي إلى الضلال ، فكتب مصاحف مجمعا عليها ، وبعث إلى كل أفق مصحفا لكي يرجع إليه فيكشف الحق ويبطل كيد الوهم . ([2])

الفرق بين مراحل جمع القرآن الكريم

كان لكل مرحلة من مراحل جمع القرآن أسباب خاصة، وكيفية خاصة، لذا لا بد من بيان هذه المراحل من حيث الاسباب والكيفيات ([3])

١- الفرق بين المراحل الثلاث من حيث الأسباب :

- سبب جمع القرآن من زمن الرسول عليه الصلاة والسلام للحفظ والاستظهار وتبليغ الوحي على الوجه الأكمل .

- سبب جمع القرآن زمن أبي بكر رضي الله عنه خوف ضياع شيء من القرآن بموت حفاظه

---

[1]- انظر جمع القرآن الكريم من العصر النبوي الى العصر الحديث محمد شرعي ابوزيد ، رسالة ماجستير جامعة الكويت سنة ١٩٩٨ م

[2] - ابن حزم الظاهري ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ٢/ ٢١٢ – ٢١٣

[3]- انظر الإتقان في علوم القرآن ١ / ٢٨٢ وانظر جمع القرآن محمد شرعي أبو زيد ص ١٥٩

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- سبب جمع القرآن الكريم زمن عثمان رضي الله عنه خوف الفتنة التي وقع فيها المسلمون بسبب اختلافهم في القراءة .

٢- الفرق بين المراحل الثلاث من حيث الكيفية :

كيفية جمع القرآن في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ترتيب الآيات في سورها، وحفظها وكتابتها مبعثرة، إذ لم تجمع في مكان واحد، لاستمرار تنزل القرآن .

كيفية جمع القرآن زمن أبي بكر رضي الله عنه جمع المكتوب في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ونقله في صحف مرتب الآيات والسور .

كيفية جمع القرآن في عهد عثمان رضي الله عنه تمثل في نقل ما في صحف أبي بكر في مصحف إمام، ونسخ مصاحف منه وإرسالها إلى الأمصار لتكون مرجعا للناس عند الاختلاف .

وخلص د. السيد اسماعيل علي من خلال مقارنة بين الجمع في عهوده الثلاث إلى النتائج التالية :

كتابة القرآن مشتركة بين العهود الثلاثة، وكان يكتب مجردا من النقط والشكل ولم يجمع في مكان واحد إلا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، جمعه أبو بكر ثم عثمان رضي الله عنهما .

تجريد القرآن من المنسوخ مشترك بين العهود الثلاثة، أما في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فلأنه لم يترك فيها منسوخ وإلا التبس الأمر على الناس ولما استطاعوا تمييز الناسخ من المنسوخ، وأما في عهد أبي بكر وعثمان فلأن زمن النسخ قد انتهى بموت النبي صلى الله عليه وسلم .

ترتيب الآيات في سورها مشترك في العهود الثلاثة غير أنه لم يكتب في موضع واحد زمن الرسول عليه السلام .

لم تكتب سور القرآن مرتبة في المصحف كما هو معهود بين أيدينا الآن، أي في عهد عثمان، وان كان ذلك الترتيب معلوما لديهم بتعليم النبي صلى الله عليه وسلم، وكانوا من قبل يقرأونها ويعلمونها مرتبة كما هي في المصحف اليوم .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كان القرآن يكتب في العهود الثلاثة بلغة قريش، وقد كان بعض الصحابة يكتب لنفسه أحيانا بما يوافق لغته من الأحرف السبعة، ثم أحرقت بعد ذلك بأمر من عثمان رضي الله عنه .

كان هدف جمع القرآن زمن الرسول عليه السلام للحفظ والتبليغ، وجمعه زمن أبي بكر رضي الله عنه خشية ضياع شيء منه بموت الحفظة، وهدف جمع القرآن في عهد عثمان لرفع الخلاف الحادث في القراءات، واثبات ما تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم حسب العرضة الأخيرة وعدم إثبات أخبار الآحاد. ([1])

بعد بيان هذه المراحل الثلاث لجمع القرآن الكريم والتي تكاملت مع بعضها البعض من حيث الأسباب والكيفية والنتيجة والتي حفظ فيه القرآن الكريم من أي تحريف أو تبديل ، نجدد القول : إن القرآن الكريم مع أن نزوله امتد على مدى ثلاث وعشرين سنة فقد سلم من الاختلاف في الاسلوب ، ومن التناقض في الاحكام ، وكل كلمة فيه لا بل كل حرف هو في مكانه الذي أراده الله عز وجل يؤدي رسالته في الهداية والتشريع .

---

[1]- انظر : البيان في علوم القرآن د. السيد اسماعيل علي ص ٦٤ – ٦٥ بتصرف

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الثالث : دعوى التناقض في خطاب القرآن الكريم

هل ينقد القرآن الكريم بنظر الحداثيين العرب ؟ يعترف الحداثيون العرب أن السؤال مرعب ومخيف إلا أن حقيقة أقوالهم وأطروحاتهم تدل على أنهم لا يتورعون عن نقد القرآن الكريم، والدخول في دائرة اللامفكر فيه يقول محمد أركون : (من المستحيل عمليا في اللحظة الراهنة فتح مناقشة نقدية تاريخية أو حتى مناقشة تأويلية بخصوص القرآن) .([1]) إلا أنه عملياً كشف عن مخططه ومراده عندما أعلن أنه يعمل على إخضاع القرآن لمحك النقد التاريخي المقارن، وأن النظر إلى القرآن الكريم نظرة نقدية تاريخية، يزعزع جميع الأبنية التقديسية والتنزيهية التي بناها العقل اللاهوتي التقليدي . ([2])

يقول عبد الهادي عبد الرحمن : (اذا أردنا أن نتطور كما تطور الأوروبيون يجب أن نحذو حذوهم ونخضع نصوصنا للنقد كما أخضعوا نصوصهم المقدسة للنقد).([3])

ويشرح أركون الجهد الذي يجب عليه القيام به بعد محمد أحمد خلف الله ويبين أنه جهد مزدوج : أوله ينبغي القيام بنقد تاريخي لتحديد أنواع الخلط والحذف والاضافة والمغالطات التاريخية التي أحدثتها الروايات القرآنية بالقياس إلى معطيات التاريخ الواقعي المحسوس .

ثانيهما : ينبغي القيام بتحليل وتبيين كيف أن القرآن ينجز أو يبلور بنفس طريقة الفكر الأسطوري الذي يستمل على أساطير قديمة ومبعثرة . ([4])

وتحدث الحداثيون العرب عن وجود تناقض في الخطاب القرآني في عقائده وتشريعاته وحقائقه التاريخية والكونية ، مقلدين بذلك المستشرقين من أمثال نولدكه وبلاشير وغيرهم ، واجتروا نفس أقوالهم القديمة لكن بنوع من المواربة وعدم الوضوح .

---

[1] - اركون ،محمد : الإسلام والأخلاق والسياسة ص ٢٣ وانظر علي حرب : الممنوع والممتنع ص ١١٩

[2] - انظر : اركون ، محمد : الفكر الإسلامي قراءة علمية ص ٥١

[3] - عبد الهادي عبد الرحمن : سلطة النص ص ١٥

[4] - انظر : اركون ، محمد : الفكر العربي قراءة علمية ص ٢٥٠

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وسأتناول وبالتفصيل انموذجا واحدا ركز عليه الحداثيون كثيرا ألا وهـــو قـــضية الإرث، والتي اعتبرها محمد أركون فتحا جديدا، ووقع فيها في مغالطات علمية ومنهجية تدل على أن الرجل لا ينطلق من منهجية ثابتة بل تسوقه أحكام قبلية مسبقة .

حاول أركون إثبات ضرورة نقد العقل الإسلامي – وغالبا ما يقصد بهذا المصطلح القرآن الكريم – من خلال الآية الثانية عشرة من سورة النساء واقتدى أركون بالباحث الأمريكي (powrs) بورز إذ قام بعرض الآية غير مشكلة على عدد من النـــاطقين بالعربيـــة، فحصل على نتائج مدهشة وهي موافقة قراءة الذين يحفظون القرآن عن ظهر قلب لتشكيل المصحف ، في حين خالف بعض آخر من الذين لا يحفظون القرآن ذلك ، ويقول : فقراءة المصحف المعتمدة من قبـــل الفقهـــاء هـــي : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ النساء: ١٢

أما قراءة الذين لا يحفظون القرآن ، ويعتمدون فقط على اللغة فهي ببناء الفعلين يـــورث ويوصي للمعلوم ونصب كلالة وامرأة على المفعولية ، فهو يعتبر أن القراءة الأولى المعتمدة صعبة وثقيلة على الذوق، لذا احتاجت إلى دراسة وشرح خاصة في تحديد مفهوم الكلالة كما أورد الطبري في تفسيره .

أما القراءة الثانية فسهلة وموافقة للذوق العربي ، وسبب اختيار القراءة الصعبة على هـــذه السهلة يكمن فيما يلي :

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١- هذه القراءة فرضت – رغم عدم صحتها في نظره – من مراكز القوة ، و لم تتعرض للنقد عند إعادة كتابة القرآن وفق قواعد اللغة الصحيحة .

٢- إن دراسة (بورز) لآيات الميراث في سورة النساء تبين تلاعب الطبري بالأخبار وإهمال ثلاثة عشر خبراً مهماً تقدم تفسيراً مختلفاً لمعنى الكلالة ، إذ استمات الطبري في إبقاء معنى الكلالة غامضا غيرمحدد، حتى لا يتزعزع نظام الإرث العربي . ([1])

نقد ورد :

إن الدراسة الميدانية التي قام بها أركون بعرض الآية القرآنية على عدد من أبناء الجالية العربية في فرنسا دراسة قاصرة لعدة أسباب من أهمها :

١- لم يختر المحيط المناسب للعينة ، إذ أن فرنسا موطن المؤلف ليست بالمحيط المناسب، لأن العرب الذين يعيشون فيها لا يتقنون اللغة العربية السليمة لقلة تواصلهم مع منبع وأصل اللغة ، فهم يتواصلون فيما بينهم بالعامية ، ويغلب على هذا التواصل اللهجات خاصة أبناء المغرب العربي إذ اختلطت اللهجات العربية بالبربرية فيما بينهم ، وأكبر دليل على ذلك أركون نفسه، فهو غير قادر على أن يكتب باللغة العربية لضعفه فيها ، لذا فالشروط الموضوعية غير متوفرة في هذه العينة، وفي هذا الصدد يقول الرافعي : (إن الذوق العربي السليم قد مضى عهده منذ أواخر القرن الثاني للهجرة) .([2])

فأين وجد أركون العرب الأقحاح الذين اطمأن إلى ذوقهم السليم في محاكمة القرآن الكريم والطعن فيه .

ولو عدنا إلى الآية الكريمة وجدنا أن القراء العشرة اتفقوا على قراءة (يُورَث) بضم الياء وفتح الراء ونصب كلالة ورفع (امرأة) .

---

[1] - اركون ،محمد ، من الاجتهاد الى نقد العقل الاسلامي ، ص٢٩ وما بعدها

[2]- الرافعي ، مصطفى صادق : تاريخ ادب العرب ، دار الكتاب العربي ، ط ٤ سنة ١٩٧٤ م ١/ ٣٥٤

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إذا فجميع القراء مجمعون على نصب (كلالة) ورفع (امرأة) فعلى قراءة كسر الـــراء تكون (كلالة) مفعولاً به إذا قصد بها الورثة أو المال ، وتكون حالاً إذا أريد بها الميت ، أما (امرأة) فإعرابها إعراب (رجل) . ([1])

ونخلص من قراءة (يورث) بكسر الراء أي البناء للمعلوم ثلاثة معان لكلمة (كلالـــة) هي : إما الورثة أو المال أو الميت ، ووظيفتان نحويتان هما : المفعولية أو الحالية ، وكلمة (امرأة) وفق قراءة أركون تأخذ حكم كلمة كلالة، لأن المعطوف يأخذ حكم المعطوف عليه، فإذا قلنا إن (كلالة) تعني الورثة تصبح كلمة (امرأة) تكراراً زائداً لا معنى لهـــا لأنها متضمنة في الورثة .

أما إذا كان معنى (كلالة) هو المال فان المرأة تصبح من جملة الميراث ، وتـــصبح متاعـــا يباع ويشترى ويورث ، فهل يريد أركون ذلك ؟

أما إذا كان معنى (الكلالة) يعود على الميت ، أي أنه حال من الميت ،فهـــل يوصـــف الرجل بالمرأة إلا من باب التهكم ؟

والآن نسأل أركون أي القراءتين صحيحة ؟ وموافقة للذوق العربي السليم ، أتلك الـــتي وردت في المصحف أم تلك التي اكتشفتها أنت وبورز ؟

ومن الغريب العجيب أن أركون ومترجمه هاشم صالح اعتبرا معنى الكلالة (الكنـــة) أي زوجة الابن ، وبالتالي فان مات الابن تنتقل ورثته إلى زوجته، وربما إلى عائلـــة أخـــرى، وهذا يهدد النظام العربي كله ، والفقهاء لا يمكن أن يسمحوا بذلك حتى لـــو عارضـــوا القرآن ، أو تحايلوا على تفسيره . ([2])

ونسي أركون وهاشم صالح أن نصيب الزوجة مذكور مع نصيب الزوج في صدر هـــذه الآية الكريمة وهي قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن

---

[1] - الإمام القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٣/ ٧٧

[2]- اركون ، محمد : من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي ص ٥٤

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ﴾ الآية .

فإذا كان الفقهاء على حد زعمه قد أخفوا حق الكنة حفاظاً على عادات الجاهلية فأين هو حق زوجها من أبيها إذا ماتت هي قبله ؟ .(1)

وبنفس الموضوع حاول الجابري ولوج هذا الموضوع والإدلاء بوجهة نظره حول نظام الإرث في الإسلام حيث فهم قوله تعالى :﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾ النساء: ١١ على أنه نص معاصر لنفسه ، ومعاصر لنا في نفس الوقت إذا ما قرئ في سياقه الاجتماعي الذي ظهر فيه أي بنية المجتمع القبلي الرعوي الذي من خصائصه أن الملكية مشاع فالملك للقبيلة وليس للفرد ، وحرمة الزواج بين المحارم وتفضيل الأباعد على الأقارب ، فالزواج من القبائل البعيدة مطلوب للحفاظ على التحالفات ، غير أن هذا التبادل بين النساء كثيراً ما يجلب مشكلات تتعلق بالميراث الذي ينتقل من قبيلة لأخرى عبر النساء مما قد يؤدي إلى الإخلال بالتوازنات الاقتصادية بين القبائل ، لذا ولحل هذه المشكلة فان القبائل العربية لم تعط البنت ما للولد من الإرث ، بل منهم من حرمها أصلاً من الميراث .

ولما جاء الإسلام تبنى حلاً وسطاً يتناسب مع المرحلة الجديدة، فأعطى البنت نصف نصيب الولد بدل حرمانها ، وليحافظ على التوازن داخل المجتمع وهذا ما جعل الإسلام يعطي البنت الثلث فقط لتحقيق هذا التوازن . (2)

رد ونقد :

يريد الجابري بهذا الكلام الوصول إلى مراده وهو جعل القرآن الكريم مرتبطاً بالواقع ، ومحكوماً بالشروط الاجتماعية والتاريخية ، أي أن الأساس هو الواقع وليس النص .

1- الجيلاني مفتاح : الحداثيون العرب والقرآن الكريم . دار النهضة والنشر للطباعة والنشر ، دمشق ، ط١ سنة ٢٠٠٦ م ص ٢٢٦ وما بعدها بتصرف

2 - الجابري ، محمد عابد : التراث والحداثة ص ٤٧ وما بعدها بتصرف

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ويريد الجابري بذلك أن يصل إلى النتيجة التي لم يعلن عنها وهي أننا إذا أردنا أن يكـــون النص معاصراً لنا ، ومسايراً للواقع، وللمساواة بين الرجل والمرأة فانه لا بد من مـــساواة الرجل بالمرأة في موضوع الميراث ، ويمكن أن تنسحب هذه القاعدة

— أن يكون النص معاصراً لنا — على إلغاء عدة المتوفى عنها زوجها ، أو المطلقة إذا ثبت طبيا براءة رحمها ، وجعل صلاة الجمعة يوم الأحد، لأنه يوم عطلة عند معظم البلـــدان ، وإلغاء رمضان لأنه يقلص الإنتاج ... وهكذا باقي الأحكام مما يؤدي إلى إبطال الإسلام .

يقول الجيلاني : (..... فمن أين له بأن عدم توريث المرأة وإعطائها حقها في الجاهليـــة كان سببه هو محدودية الموارد ، والخشية من تراكم الثروات بيـــد القلـــة ، والإخـــلال بالتوازنات الاقتصادية وما يؤدي إليه من نزاعات ، فان هذه التصورات علـــى افتـــراض وجودها لا تتحقق إلا إذا افترضنا وجود قبيلتين الأولى معظم أعضائها من النساء، والثانية معظم أعضائها من الرجال ، فيتزوج رجال هذه القبيلة نساء تلك القبيلـــة ، ثم نفتـــرض موت معظم أولئك الرجال أو كلهم مرة واحدة ، فيرث أولئك النسوة تركة أزواجهـــن وينقلنّها إلى قبيلتهن، فتختل الموازين الاقتصادية ، ثم إن حصر منطوق الآية وحكمهـــا في مرحلة تاريخية معينة وادعاؤه بأنه أقصى ما يمكن أن توفره الشريعة من عـــدل يتناســـب وطبيعة تلك المرحلة ، هو تحكّم وتقوّل على النص بدون دليل .

أضف إلى ذلك أن تحقيق التوازن يمكن أن يحدث أيضاً بتوريث المرأة ، كما حصل بحرمانها ، فما تعطيه هذه القبيلة لنساء تلك القبيلة يمكن أن تسترجعه نساؤها من تلـــك القبيلـــة نفسها بالطريقة نفسها). ([1])

الحقيقة أن كل منطلقات الحداثيين العرب لا تعدو أن تكون مجرد تكرار مشوّه لما يدور في الأوساط الغربية، وما يقوله المستشرقون والفلاسفة والمفكرون عندهم ،ومـــن إفـــرازات الفكر الأنتربولوجي الغربي الذي ينطلق من مسلمة تقول بوضعية كل الأديان وماديتها ، وأنها صنعة بشرية اختلطت بالأساطير واللامعقول .

وها هو حداثي آخر يطعن في قصة إبراهيم عليه السلام، ويصفه بالـــسذاجة وســـطحية الفهم، إذ صدق الرؤيا المنامية و لم يتأولها فأراد ذبح ابنه لمجرد منام ليلي ، ورحلة معرفتـــه

---

[1]- الجيلاني : الحداثيون العرب ص ٢٣٥ بتصرف

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بالله عز وجل بدأت — حسب رأيه — بالشرك ثم انتقل إلى الإيمان بالشمس ثم بالقمر ثم عرف الله . ([1])

وكذلك نقد قصة خلق آدم وقصة نوح مع قومه ، وامتناع إبليس عن السجود لآدم ، وغيره كثير . ([2])

ويستمر الحداثيون العرب في وصف القرآن الكريم بالتناقض والمزاجية، فنسخ بعض الآيات — حسب رأيهم — يخضع لأحكام السياسة والمصالح ومنطق الضعف والقوة ، فعندما كان المسلمون في حالة ضعف وقلة كانت الآيات مسالمة موادعة تقول قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ البقرة: ٦٢

وبعد غزوة بدر تأتي موازين القوى بسياسة جديدة حاسمة فتقول الآيات :" إن الدين عند الله الإسلام ." آل عمران آية ١٩ وتقول قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾

وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ المائدة: ٤٤

وهي سياسة ابتغت إعلان الحرب على اليهود لطردهم من الجزيرة العربية والقضاء على وجودهم فيها، لأنهم أصحاب كتاب سماوي، ويشكلون خطرا على الدولة ، بسبب إنكارهم لنبوة النبي صلى الله عليه وسلم . ([3])

---

[1] – انظر ابو القاسم الحاج حمد : العالمية الإسلامية الثانية ، ج ١ ص ٨٥ – ٨٨

[2]- المرجع السابق ص ١٠٢ ، ١٢ ، ٨٩ ، ٩٦

[3] - انظر : سيد القمني : حروب دولة الرسول ص ١٢٨ ، ١٢٩ ، ٢٠٧

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يقول د.الطعان رداً على هذه الفرية : (كان على القمني قبل أن يفكر ويقدر أن يراجع تاريخ نزول الآيات التي يستشهد بها، حتى لا يفتضح كذبه، لأن الآيات التي يعتبرها نزلت في حالة الضعف مجاملة لليهود والنصارى وتزلفا لهم وهي قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ المائدة: ٤٤

وقوله تعالى: ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ المائدة: ٤٣

هذه الآيات نزلت بعد سورة الفتح على قول جلال الدين المحلي، وبعد الأنفال على ترتيب السيوطي في الاتقان ، وعلى كلا القولين تكون الآيات نزلت بعد بدر والمسلمون في أوج قوتهم، واليهود في ذل وصغار واندحار، ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون بحاجة إلى التزلف إليهم ومجاملتهم في ذلك الوقت ولا في غيره من الأوقات .

وعلى كلا القولين تكون آيات سورة آل عمران التي يعتبرها القمني ناسخة نزلت قبل آيات سورة المائدة التي يعتبرها منسوخة ، ويتبين أن القمني يكذب على قارئه ويخون الحقيقة العلمية ، ولا يبالي بالعلم والتاريخ .

إن القرآن لم يغير موقفه من التوراة والإنجيل في اعتبارهما كتابين سماويين أنزلهما الله عز وجل على موسى وعيسى عليهما السلام، وهو حين يتحدث عن كونهما هدى ونور يعني النسخة الأصلية التي لم تمتد إليها يد التحريف) .([1])

أما عن دعوى تعارض القرآن الكريم مع الحقائق الشرعية والتاريخية والكونية، فقد قلد الحداثيون العرب المستشرقين في الطعون الواهية، وضخموها ظانين أنهم وجدوا صيداً ثميناً يثبتون فيه تعارض القرآن الكريم .

---

[1] - انظر : العلمانيون والقرآن الكريم ، أحمد إدريس الطعان ، ص ٥١٨ – ٥١٩

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وشجعهم على ذلك أقوال لطه حسين، ومحمد أحمد خلف الله تطعن في القرآن الكريم وتشجع على نقده منها قول لطه حسين :(للتوراة أن تحدثنا عن ابراهيم واسماعيل وللقرآن أن يحدثنا أيضا ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي)([1])

وقال محمد أحمد خلف الله : (إنا لا نتحرج من القول بأن القرآن أساطير.) ([2])

وقال : (أصبح العقل الإسلامي غير ملزم بالإيمان برأي معين في هذه الأخبار الواردة في القصص القرآني، وذلك لأنها لم تبلغ على أنها دين يتبع ومن هنا يصبح من حق العقل البشري أن يهمل هذه الأخبار أو يتجاهلها أو يخالف فيها أو ينكرها .) ([3])

وسأكتفي بذكر نموذج واحد من شبهاتهم حول تعارض القرآن الكريم — حسب رأيهم – مع الحقائق الشرعية والكونية والتاريخية :

١- دعوى تعارض القرآن الكريم مع الحقائق الشرعية

وجه المستشرقون والحداثيون عدة شبه ظنوا أنها تعارض الحقائق الشرعية للقرآن الكريم منها :

١- قولهم كيف تزعمون أن محمدا قد اصطفاه الله للرسالة وهيأه مع وصفه له بالضلال فهو كقومه كان وثنيا قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ ﴾ الضحى: ٧

أجاب العلماء ([4]) على هذا الطعن على النحو التالي :بيان معنى كلمة ضلال :العرب إذا وجدت شجرة منفردة في فلاة لا شجر معها سموها ضالة ، فتهتدي بها على الطريق ، فقال الله تعالى لنبيه﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾ الضحى: ٧. أي وجدك لا أحد على

---

[1] – طه حسين : في الشعر الجاهلي ص ٢٦ نقلا عن منهج المدرسة العقلية في التفسير ، فهد الرومي ص ٤٤٧

[2] – محمد أحمد خلف الله : الفن القصصي في القرآن ص ٢٠٩

[3]- المرجع السابق ص ٧٤

[4] – انظر شلبي محمد ، رد مفتريات على الإسلام ، عن رسالة المجلس الملي القبطي الأرثوذكسي بالإسكندرية ، دائرة المعارف البريطانية ، د .ت ، ص ٢٢

© Arabic Digital Library Yarmouk University

دينك فهديت بك الخلق إلي ، أي أن الضلال هنا المقصود به الحقيقة اللغوية لا الشرعية، إذ لم يكن في ذلك الوقت شرع .

وقيل: انه من قولك : ضللت الطريق أي لم تعرفه ومنه قولهم : ضالة الإبل والغنم يعني التي لم تهتد لقومها، فالنبي صلى الله عليه وسلم كان موحداً عارفاً بالله بفطرته وعقله ، ولكنه لم يعرف كيف يعبده ، لأنه لم يترل عليه شرع، فهو ضال بهذا المعنى ، أي لم يعرف طريق العبادة الصحيحة .([1])

قال الراغب : الضلال ترك الطريق المستقيم عمداً كان أو سهواً ، قليلاً كان أو كثيراً ويصح أن يستعمل لفظ الضلال ممن يكون منه خطأً ما ، ولذلك نسب إلى الأنبياء ، والى الكفار ، وان كان بين الضلالين بون بعيد ، ألا ترى أنه قال في النبي :" ووجدك ضالاً فهدى ." أي غير مهتد لما سبق إليك من النبوة، وقال في يعقوب : قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴾ يوسف: ٩٥ وقال أولاده ﴿ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ يوسف: ٨، إشارة إلى شغفه بيوسف وشوقه إليه وكذلك قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ يوسف: ٣٠

وقال عن موسى عليه السلام ﴿ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴾ الشعراء: ٢٠، ، وقوله تَعَالَىٰ:أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ البقرة: ٢٨٢ أي تنسى وذلك من النسيان الموضوع على الإنسان .

والضلال من وجه آخر ضربان : ضلال في العلوم النظرية ، كالضلال في معرفة الله ووحدانيته ، ومعرفة النبوة ونحوهما ، المشار إليهما بقوله تَعَالَىٰ:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا

---

[1]- لسان العرب ١١/ ٣٩١

© Arabic Digital Library Yarmouk University

﴾ النساء: ١٣٦ وضلال في العلوم العملية ، كمعرفة الأحكام الشرعية التي هي العبادات .

(٢)

وتساءلوا : كيف سحر النبي صلى الله عليه وسلم مع أن الله تعالى يذكر كلام الكفـــار ، ووصفهم النبي بالمسحور في مقام الذم في قـــول الله علـــى ألـــسنتهم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ الفرقان: ٨ أجاب العلماء على هذه الشبهة بما يلي :

أولا : لا بد أن نعرف أن حديث سحر النبي صلى الله عليه وسلم ثابت في الـــصحيحين ونص الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت :(سحر النبي (حتى انه ليخيّل إليه أنـــه يفعل الشيء وما فعله — وفي رواية : وأنه يأتي أهله ولا يأتي — حتى إذا كان ذات يـــوم وهو عندي دعا الله ودعاه ثم قال : أشعرتي يا عائشة أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه ؟ قلت : وما ذاك يا رسول الله قال : جاءني رجلان فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي ، ثم قال أحدهما لصاحبه : ما وجع الرجل ؟ قال : مطبوب ، قال : ومن طبـــه ؟ قال : لبيد بن الأعصم — اليهودي من بني زريق — قال : فيما ذا قال : في مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر ، قال : فأين هو ؟ قال : في بئر ذي أروان قال : فـــذهب الـــنبي (في أناس من أصحابه إلى البئر ، فنظر إليها وعليها نخل ثم رجع إلى عائـــشة فقـــال : :" والله لكأن ماءها نقاعة الحناء ولكأن نخلها رءوس الشياطين " قلت : يا رسول الله أفأخرجتـــه قال : " لا أما أنا فقد عافاني الله وشفاني ، وخشيت أن أثور على الناس منه شراً "وأمـــر بها فدفنت) .([1])

فظاهر من الحديث أن السحر كان في الأمور الدنيوية، فهو يخيل إليه أنه أتى أهله ولكنه لم يفعل، ويخيل إليه أنه فعل الشيء و لم يفعله ،وأما الأمور الشرعية والوحي ، فانه محفوظ من الخطأ فيها ، كما ثبت في النصوص الكثيرة كقوله تعالى :﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ النجم: ٣ - ٤

---

[1] - متفق عليه : البخاري كتاب الطب ، باب السحر حديث رقم ٥٤٣٣ ومسلم كتاب السلام باب السحر حديث رقم ٢١٨٩

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وعن عبد الله بن عمرو قال : (كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه، فنهتني قريش وقالوا : أتكتب كل شيء تسمعه ورسول الله صلى الله عليه وسلم بشر يتكلم في الغضب والرضا ، فأمسكت عن الكتابة ، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأومأ بأصبعه إلي فقال :(اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق) .([1])

قال المازري : (أنكر المبتدعة هذا الحديث وزعموا أنه يحط منصب النبوة ويشكك فيها ، قالوا : وكل ما أدى إلى ذلك فهو باطل ، وزعموا أن تجويز هذا يعدم الثقة بما شرعه من الشرائع، إذ يحتمل على هذا أن يخيل إليه أنه يرى جبريل وليس هو ثمّ ، وأنه يوحي إليه بشيء ولم يوح إليه بشيء ، قال المازري : وهذا كله مردود لأن الدليل قد قام على صدق النبي صلى الله عليه وسلم (فيما يبلغه عن الله تعالى وعلى عصمته في التبليغ ، والمعجزات شاهدات بتصديقه ، فتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل ، وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث لأجلها، ولا كانت الرسالة من أجلها ، فهو في ذلك عرضة لما يتعرض له البشر كالأمراض ، فغير بعيد أن يخيل إليه في أمر من أمور الدنيا ما لا حقيقة له مع عصمته عن مثل ذلك في أمور الدين ، قال : وقد قال بعض الناس : إن المراد بالحديث أنه كان يخيل إليه أنه وطيء زوجاته ولم يكن وطأهن ، وهذا كثيرا ما يقع تخيله للإنسان في المنام ، فلا يبعد أن يخيل إليه في اليقظة، قلت : وهذا قد ورد صريحا في رواية ابن عيينه في الباب الذي يلي هذا ولفظه " حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن " .) وفي رواية الحميدي " أنه يأتي أهله ولا يأتيهم " . قلت : ووقع في مرسل عبد الرحمن بن كعب عند ابن سعد " فقالت أخت لبيد بن الأعصم إن يكن نبيا فسيخبر ، وإلا فسيذهله هذا السحر حتى يذهب عقله " قلت : فوقع الشق الأول كما في هذا الحديث الصحيح . وقد قال بعض العلماء : لا يلزم من أنه كان يظن أنه فعل الشيء ولم يكن فعله، أن يجزم بفعله ذلك ، وإنما يكون من جنس الخاطر يخطر ولا يثبت ، فلا يبقى على هذا للملحد حجة . وقال عياض : ويؤيد جميع ما تقدم أنه لم ينقل عنه في خبر من الأخبار أنه قال قولا فكان بخلاف ما أخبره به .

---

[1] - متفق عليه : البخاري كتاب الطب ، باب السحر حديث رقم ٥٤٣٣ ومسلم كتاب السلام باب السحر حديث رقم ٢١٨٩

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وقال المهلب : (صون النبي صلى الله عليه وسلم من الشياطين لا يمنع إرادتهم كيده ، فقد مضى في الصحيح أن شيطاناً أراد أن يفسد عليه صلاته فأمكنه الله منه ، فكذلك السحر ما ناله من ضرره ما يدخل نقصاً على ما يتعلق بالتبليغ بل هو من جنس ما كان يناله من ضرر سائر الأمراض من ضعف عن الكلام ، أو عجزعن بعض الفعل ، أو حدوث تخيل لا يستمر ، بل يزول ويبطل الله كيد الشياطين) .([1])

ومثل هذا قوله تعالى عن موسى قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾ طه: ٦٦، فسحر النبي صلى الله عليه وسلم مثل سحر موسى (وهو أن يخيل إليه الشيء ، فمن أنكر الحديث ماذا يقول عن هذه الآية ؟

ونزيد الأمر توضيحا فنقول : السحر الذي أراده المشركون غير السحر الذي حصل للنبي (فهم أرادوا المسحور، يعني الذي يصل إلى حد الجنون والافتراء ، وقول ما لا يعقل، ودخول الجن في المسحور ، وهذا لا شك أنه باطل في حق النبي صلى الله عليه وسلم ، وأما سحر النبي صلى الله عليه وسلم فهو من نوع التخيل الذي يحصل لأي إنسان يقظة ومناماً ، وهذا لا يضر في مقام النبوة .

- الطعن الثالث : كيف يسحر النبي صلى الله عليه وسلم مع أن الشياطين لا تسلط على عباد الله الصالحين ؟ ، كما قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ الحجر: ٤٢ و قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ النحل: ٩٩ - ١٠٠

الجواب : أن من أنواع السحر السحر بالأدوية

إذ ليس كل أنواع السحر تسلط من الشياطين على المسحور ، وذهب بعض العلماء إلى أن سحر النبي صلى الله عليه وسلم من نوع الأدوية ، قال ابن حجر : واستدل ابن القصار على أن الذي أصابه كان من جنس المرض بقوله في آخر الحديث :" فأما أنا فقد

---

[1] - فتح الباري ٢٣٧/١٠

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

شفاني الله " . وفي الاستدلال بذلك نظر ، لكن يؤيد المدعى أن في رواية عمرة عن عائشة عند البيهقي في الدلائل " فكان يدور ولا يدري ما وجعه " وفي حديث ابن عباس عند ابن سعد : مرض النبي واخذ عن النساء والطعام والشراب ، فهبط عليه ملكان) .([1])

ولو سلمنا أنه من النوع الشيطاني ، فليس كل تعرض من الشيطان للإنسان معناه أنه ليس من عباد الله ، وفرق كبير بين التعرض والمحارشة، وبين التسلط ، ويؤيد ذلك ما أخرجه مسلم عن جابر قال سمعت النبي يقول :(إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم) .([2])

فكل صالح يتعرض له الشيطان ، بل هذه وظيفته في الحياة ، وهو أقسم على إغواء بني آدم ، ولو سلمنا أن هذا من التسلط فانه لفترة محدودة ، ثم بعد ذلك يذهبه الله تعالى ، ويرجع المسلم إلى حاله الأولى .

فهذا آدم عليه السلام أكل من الشجرة ، وهذا موسى عليه السلام قتل نفسا بغير نفس فقال:﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ القصص: ١٥ .([3])

٢- دعوى تعارض القرآن مع الحقائق الكونية أو حقائق العلم التجريبي :

العلم والقرآن لا يمكن — عقلا — أن يتعارضا ، وذلك لأن مصدرهما واحد، وغايتهما واحدة ، فمصدرهما هو الله سبحانه وتعالى ، فالله هو الذي خلق هذا الكون وما فيه من معارف وعلوم ، وهو الذي شرع هذا الدين وما فيه من أخبار وأحكام ، ما كان من الله فانه لا يتناقض ،- فالقرآن والكون — وهما مصدر الحقائق الدينية —كلاهما من عند الله وصنعه ، أنزل القرآن بالحق كما خلق الكون بالحق ، فلا ينبغي للإنسان طلب الحق إلا فيهما ، ومن ثم لا يتصور تصادم الحق مع نفسه .

---

[1] - فتح الباري ٢٣٨/١٠

[2] - اخرجه مسلم : كتاب صفة القيامة حديث رقم : ٢٨١٢

[3] - انظر : المطيري محسن بن زبن ، دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم ، دار البشائر الاسلامية ،بيروت لبنان ، ط١ سنة ٢٠٠٦ م ص ٣٤٣ وما بعدها

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويتفقان أيضا في الغاية والهدف ، وهو إسعاد البشرية، وتذليل صعوبات الحياة ، فما اتفق في المصدر والغاية لا يمكن أن يتعارضا فيما دون ذلك ، فالعلم الصحيح لا يعارض القرآن ، بل هما أخوان متعاونان . ([1])

إن المنصفين من أهل الملل الأخرى شهدوا بأن القرآن لا يتعارض مع العلم أبدا . يقول إبراهيم خليل : (يرتبط هذا النبي صلى الله عليه وسلم بإعجاز أبد الدهر بما يخبرنا به المسيح – عليه السلام – في قوله : (ويخبركم بأمور آتية) ، وهذا الإعجاز هو القرآن الكريم ، معجزة الرسول الباقية ما بقي الزمان ، فالقرآن الكريم يسبق العلم الحديث في كل مناحيه ، من طب وفلك وجغرافيا وجيولوجيا وقانون واجتماع وتاريخ .. ففي أيامنا هذه استطاع العلم أن يرى ما سبق إليه القرآن بالبيان والتعريف .([2])

ويضيف قائلا :(أعتقد يقينا أني لو كنت إنسانا وجوديا ، لا يؤمن برسالة من الرسالات السماوية ، وجاءني نفر من الناس ، وحدثني بما سبق به القرآن العلم الحديث في كل مناحيه ، لآمنت برب العزة والجبروت ، خالق السماوات والأرض ولن أشرك به أحدا) . ([3])

وقال بوتر : (عندما أكملت قراءة القرآن الكريم ، غمرني شعور بأن هذا هو الحق ، الذي يشتمل على الإجابات الشافية حول مسائل الخلق وغيرها ، وانه يقدم لنا الأحداث بطريقة منطقية ، نجدها متناقضة مع بعضها في غيره من الكتب الدينية ، أما القرآن فيتحدث عنها في نسق رائع، وأسلوب قاطع لا يدع مجالا للشك بأن هذه هي الحقيقة ، وأن هذا الكلام هو من عند الله لا محالة) .([4])

وقال أيضا : (كيف استطاع محمد صلى الله عليه وسلم ، الرجل الأمي الذي نشأ في بيئة جاهلية ، أن يعرف معجزات الكون التي وصفها القرآن الكريم ، والتي لا يزال العلم

---

[1] – اتجاهات التجديد في تفسير القرآن في مصر، ص ٦٣٢

[2] – خليل احمد ، ابراهيم ، محمد في التوراة والإنجيل والقرآن ، مكتبة الوعي العربي ، القاهرة ، ط٢ سنة ١٩٦٥ ص ٤٧ ،٤٨

[3] – نفس المرجع السابق ص ٤٨

[4] – عماد الدين خليل ، قالوا عن الاسلام ، الندوة العالمية للشباب الاسلامي ، الرياض ، ط١ ١٩٩٢ م ص ٥٥

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الحديث حتى يومنا هذا يسعى لاكتشافها ؟ ، لا بد إذن أن يكون هذا الكلام هو كلام الله عز وجل) .([1])

وقال حجي : (إن أسلوب القرآن مختلف عن غيره ، ثم انه لا يقبل المقارنة بأسلوب آخر ، ولا يمكن أن يقلد ، وهذا في أساسه ، هو إعجاز القرآن ...فمن جمع المعجزات كان القرآن المعجزة الكبرى). ([2])

ومن الذين تخصصوا في هذا المجال ، وكان من أشد الناس عداوة للقرآن والرسول الدكتور موريس بوكاي وكان كلما جاءه مريض مسلم يحتاج إلى العلاج الجراحي ، فانه إذا أتم علاجه يقول له : ماذا تقول في القرآن ، هل هو من الله أنزله على محمد، أم من كلام محمد نسبه إلى الله افتراء عليه ؟ فاذا أجاب المريض بأنه من الله ، وأن محمدا صادق ، قال : أنا أعتقد أنه ليس بصادق ، وبقي على ذلك زمانا حتى جاءه الملك فيصل بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية الراحل ، يقول بوكاي : فعالجته جراحيا حتى شفي ، فألقيت عليه نفس السؤال ، فقال لي : هل قرأت القرآن ؟ فقلت : نعم مرارا وتأملته ، فقال لي : بلغته أم بترجمته ؟ فقلت : بالترجمة ، فقال : إذن أنت تقلد المترجم ، والمقلد لا علم له ، إذ لم يطلع على الحقيقة ، لكنه أخبر

بشيء فصدقه ، والمترجم ليس معصوما من الخطأ والتحريف عمدا ، فعاهدني أن تتعلم اللغة العربية، وتقرأ القرآن بها، وأنا أرجو أن يتبدل اعتقادك الخاطيء هذا .

قال : فتعجبت من جوابه ، ووضعت يدي في يده وعاهدته على ألا أتكلم في القرآن حتى أتعلم العربية ، وذهبت من يومي إلى الجامعة الكبرى بباريس ، وتعلمت اللغة العربية في سنتين ، وانا آخذ يوميا درسا حتى يوم عطلتي ، ثم قرأت القرآن بإمعان ، ووجدته الكتاب الوحيد الذي يضطر المثقف بالعلوم العصرية أن يؤمن بأنه من الله ، لا يزيد حرفا ولاينقص ، وأما التوراة والأناجيل الأربعة ففيها كذب كثير لا يستطيع عالم عصري أن يصدقها . — وكانت ثمرة هذه الدراسة العميقة للقرآن تأليف كتابه المشهور " التوراة والإنجيل والقرآن بمقياس العلم الحديث " ، ومما قاله بوكاي في هذا الكتاب : لقد قمت

---

[1] - نفس المرجع السابق ص ٥٥

[2] - نفس المرجع والصفحة

© Arabic Digital Library Yarmouk University

أولا بدراسة القرآن الكريم ، وذلك دون أي فكر مسبق ، وبموضوعية تامة بحثا عن درجة اتفاق نص القرآن ومعطيات العلم الحديث ، وكنت أعرف — قبل هذه الدراسة وعن طريق الترجمات — أن القرآن يذكر أنواعا كثيرة من الظاهرات الطبيعية ، لكن معرفتي كانت وجيزة ، وبفضل الدراسة الواعية للنص العربي استطعت أن أحقق قائمة أدركت بعد الانتهاء منها أن القرآن لا يحتوي على أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث ، وبنفس الموضوعية قمت بنفس الفحص على العهد القديم والأناجيل ، أما بالنسبة للعهد القديم فلم تكن هناك حاجة للذهاب إلى أبعد من الكتاب الأول ، أي سفر التكوين فقد وجدت مقولات لا يمكن التوفيق بينها وبين أكثر معطيات العلم رسوخا في عصرنا ، وأما بالنسبة للأناجيل ، فإننا نجد نص انجيل متى يناقض بشكل جلي إنجيل لوقا ، وأن هذا الأخير يقدم لنا صراحة أمرا لا يتفق مع المعارف الحديثة الخاصة بقدم الإنسان على الأرض . ([1])

وبخصوص دعوى تناقض القرآن الكريم مع حقائق الكون أكتفي بذكر هذا المثال البسيط وهو ما ادعاه بعضهم من معارضة قوله تعالى عن العسل :.. فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ النحل: ٦٩

قال القرطبي : اعترض بعض الزنادقة الأطباء على هذا الحديث ، فقال : قد أجمعت الأطباء على أن العسل مسهل فكيف يوصف لمن به الإسهال ؟ فالجواب أن ذلك القول حق في نفسه لمن حصل له التصديق بنبيه عليه السلام — فيستعمله على الوجه الذي عينه، وفي المحل الذي أمره بعقد نية وحسن طوية ، فانه يرى منفعته ويدرك بركته ، كما قد اتفق لصاحب هذا العسل وغيره كما تقدم ، وأما ما حكي من الإجماع فدليل على جهله بالنقل ، حيث لم يقيد وأطلق .

قال الإمام أبو عبد الله المازري :(ينبغي أن يعلم أن الإسهال يعرض من ضروب كثيرة ، منها الإسهال الحادث عن التخم والهيضات، والأطباء مجمعون في مثل هذا على أن علاجه بأن يترك للطبيعة وفعلها ، وان احتاجت إلى معين على الإسهال أعينت ما دامت القوة

---

[1] - انظر : قالوا عن الإسلام ص٥٨

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

باقية ، فأما حبسها فضرر ، فإذا وضح هذا قلنا : فيمكن أن يكون ذلك الرجل أصـــابه الإسهال عن امتلاء وهيضة ، فأمره النبي صلى الله عليه وسلم بشرب العسل ، فـــزاده إلى أن فنيت المادة فوقف الإسهال ، فوافقه شرب العسل . فإذا خرج هذا عن صناعة الطب أذن ذلك بجهل المعترض بتلك الصناعة ، قال : ولسنا نستظهر على قول نبينا بأن يصدقه الأطباء ، بل لو كذبوه لكذبناهم ولكفرناهم وصدقناه ، " فان أوجدونا بالمشاهدة صحة ما قالوه ، فنفتقر حينئذ إلى تأويل كلام سول الله صلى الله عليه وسلم وتخريجه على مـــا يصح ، إذ قامت الدلالة على أنه لا يكذب).([1])

وقد أشار الله تعالى إلى هذا الدليل في قوله سبحانه:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ النساء: ٨٢

قال ابن جرير الطبري –رحمه الله– :(القول في تأويل قوله تعالى﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ النساء: ٨٢ ؛ يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ أفلا يتدبر المبيتون غير الذي تقول لهم يا محمد كتاب الله ؛ فيعلموا حجة الله عليهم في طاعتك واتباع أمرك، وأن الذي أتيتهم به من التنزيل من عند ربهم، لاتساق معانيه وائتلاف أحكامه وتأييد بعضه بعضا بالتصديق، وشهادة بعضه لبعض بالتحقيق ؛ فإن ذلك لو كان من عند غير الله لاختلفت أحكامه وتناقضت معانيه وأبان بعضه عن فساد بعض) .([2])

وفي طيات هذه الآية تجد، كأنه يقول : تدبر القرآن، وستجده خاليا من التناقضات، ولن تستطيع أن تجد تناقضا واحدا، مما يدلك ، أنه من عند الله ؛ إذ لو كان من البشر ، لكان فيه اختلاف كثير ، وتناقض واضح.

فكتاب ينزل على مدار ثلاث وعشرين سنة منجما مفرقا ، على النبي (صلى الله عليه وسلم) لا تجد فيه أي تناقض ، إن هذا لشيء عجاب، قال ابن كثير –رحمه الله– :

---

[1] - الجامع لأحكام القرآن ١٠ /٩١

[2] - جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٥٦٧/٨)، تحقيق محمود واحمد ابنا محمد شاكر ،دار المعارف، القاهرة، ط٢

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(يقول تعالى آمرا لهم بتدبر القرآن وناهيا لهم عن الإعراض عنه وعن تفهم معانيه المحكمة وألفاظه البليغة ومخبرا لهم أنه لا اختلاف فيه ولا اضطراب ولا تعارض لأنه تنزيل من حكيم حميد فهو حق من حق ولهذا قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ محمد: ٢٤ ثم قال: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ ﴾ النساء: ٨٢ أي لو كان مفتعلا مختلفا كما يقوله من يقوله من جهلة المشركين والمنافقين في بواطنهم لوجدوا فيه اختلافا أي اضطرابا وتضادا كثيرا أي وهذا سالم من الاختلاف فهو من عند الله)[1].

وقال القرطبي -رحمه الله-: (ليس من متكلم يتكلم كلاما كثيرا إلا وجد في كلامه اختلاف كثير ؛ إما في الوصف واللفظ ؛ وإما في جودة المعنى، وإما في التناقض، وإما في الكذب، فأنزل الله عز وجل القرآن وأمرهم بتدبره ؛ لأنهم لا يجدون فيه اختلافا في وصف ولا ردا له في معنى ولا تناقضا ولا كذبا فيما يخبرون به من الغيوب وما يسرون)[2].

---

[1] - تفسير القرآن العظيم (١/٥٢٩).

[2] - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/١٨٧).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الثالث :

القراءات – الدراسات – الحداثية للنظم القرآني

عرض ونقد وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول : القراءة الهرمينوطيقية للنص القرآني

المبحث الثاني : القراءة البنيوية والتفكيكية للنص القرآني

المبحث الثالث : القراءة الأركولوجية – الحفرية- للنص القرآني

المبحث الرابع :إخضاع الحداثيين العرب النص القرآني للمنهج الغربي في النقد

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تمهيد : مما لا شك فيه أن الطعن في القران الكريم وعلومه في العصر الحديث قد برز بإرساليات بعض المستشرقين الذين يحملون الحقد في قلوبهم على دين الإسلام ، دين الهداية والإنسانية ، وعلى الرغم من جهودهم الحثيثة أخفقوا و لم تؤد إرسالياتهم أغراضها ، فبحثوا عن أسلوب جديد وعن طاعن يأتي بأسماء أبنائها ، ويحمل ألقابا علمية رفيعة ، ليعمل على إصلاح فكر الأمة من خلال مصطلحات ظاهرها الإصلاح كالتجديد ، والعقلانية ، والفكر المستنير ، وعقلنة التراث وتنقيته من الشوائب .... الخ

وبدأت الأمة تسمع شعارات غريبة عن بيئتها الفكرية من مثل : اليسار الإسلامي ، أنسنة القرآن الكريم .. الخ ، وقفز هؤلاء المستنيرون إلى واجهات بعض وسائل الإعلام ، يتحدثون عن الإسلام وهمومه وقضاياه ، وتبوأوا كراسي الأستاذية في العديد من الجامعات ، وأخذوا يطالبون بنزع القداسة عن القرآن الكريم .

ولكثرة مصطلحاتهم الغامضة ظهرت في سماء العلوم الشرعية بعض الغيوم الهشة ، والتبس حال هؤلاء على الناس ، حتى صار من الواجب على دعاة الإسلام التصدي لكل من يطعن في القرآن الكريم ، وأضحى هذا التصدي من أعظم الواجبات،

وأفضل القربات إلى الله عز وجل حتى يرد كيدهم إلى نحورهم ، ولتحذر الأمة – خاصة الناشئين – منهم ومن أحابيلهم .

ورد في الصحيحين عن حذيفة بن اليمان – رضي الله عنه – قال : (كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت : يا رسول الله : إنا كنا في جاهلية وشر ، فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال : نعم قلت : وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال : نعم وفيه دخن ، قلت : وما دخنه ؟ قال : قوم يهدون بغير هديي ، تعرف منهم وتنكر ، قلت : فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال : نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها قلت : يا رسول الله صفهم لنا قال : هم من جلدتنا ،

ويتكلمون بألسنتنا ، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك ؟ قال : تلزم جماعة المسلمين وإمامهم ، قلت : فان لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟ قال : فاعتزل تلك الفرق كلها ولو

© Arabic Digital Library Yarmouk University

أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك) .([1])

ومع مر العصور ، وكر الدهور ، ظهر فئام من الناس ، في التاريخ الإسلامي يرفعون شعارات متعددة الأساليب ، متفقة الغايات ، بدءا من إخوان الصفا وانتهاء بالحداثيين العرب الذين اتبعوا دعاة الحداثة الغربيين حذو القذة بالقذة ونقلوا إلينا أفكارهم وتصوراتهم المنحرفة عن كتبهم المقدسة ، وأرادوا تطبيق ما عند الآخرين على القرآن الكريم ، ومن ذلك قراءة القرآن الكريم حسب النظريات الفلسفية الغربية ، كالقراءة الهرمينوطيقية ، والحفرية والبنيوية والتفكيكية ..... الخ

وكلها أدوات نقد فلسفية، تعامل بها الغربيون مع كتبهم المقدسة ، ولذلك دعا الحداثيون العرب إلى نقد القرآن الكريم ودراسته بهذه الطرق الغربية التي أفرزتها عقول فلاسفة الوجودية .

وسأبين في هذا المبحث – بإذن الله – طرق القراءة الحداثية للنص القرآني، وأرد عليهم بعون الله وتوفيقه .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

---

[1] – متفق عليه : البخاري : كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام حديث رقم ٣٤١١ ، ومسلم : كتاب الإمارة ، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند الفتن حديث رقم ١٨٤٧

المبحث الأول : القراءة الهرمينوطيقية ([1]) للنص القرآني

من ضمن القراءات الحداثية للنص القرآني القراءة الهرمينوطيقية ، والتي تهدف إلى نزع القداسة عنه ، والتعامل معه على أنه نص أدبي، هذه النظرية الوافدة على ثقافتنا الإسلامية ، استوردها الحداثيون العرب من الغرب لتطبيقها على القرآن الكريم ،

على الرغم من قناعتهم باختلاف ظروف التشكل وملابساته بيننا وبينهم .

وسأقوم بتعريف الهرمينوطيقية عند الغرب — مصدر النظرية — ثم بيان ظروف تشكلها عندهم ، وانتقالها إلينا ، ثم تعريفها عند الحداثيين العرب ، وبيان بعض تطبيقات الحداثيين العرب على القرآن الكريم مستخدمين هذه النظرية .

الهرمينوطيقيا عند الغربيين : —

عرف الغربيون الهرمينوطيقيا بأنها (فن تأويل النصوص المقدسة) وهو مصطلح مستخدم في دوائر الدراسات اللاهوتية ليشير إلى مجموعة القواعد والمعايير التي يجب أن يتبعها المفسر لفهم النص الديني . ([2])

ويعتبر (شلاير ماخر — ١٧٦٨ — ١٨٣٤ م) أبا التأويلية الحديثة وعرّف الهرمينوطيقيا ونشأت الهرمينوطيقيا في أوروبا كثورة فكرية على تعاليم الكنيسة ودعت إلى فهم الكتاب المقدس وتأويله ونقده .

وقاد هوبز وسبينوزا هذه النزعة النقدية والتي أدت إلى إخضاع النصوص المقدسة لمقاييس النقد الأدبية تماما كأي نص آخر . ([3])

---

[1] - مصطلح الهرمنيوطيقا مصطلح قديم بدأ استعماله في دوائر الدراسات اللاهوتية ليشير إلى مجموعة القواعد والمعايير التي يجب أن يتبعها المفسر لفهم النص الديني « الكتاب المقدس » .. يشير المصطلح إلى « نظرية التفسير » ويعود قدم المصطلح للدلالة على هذا المعنى إلى عام ١٦٥٤م وما زال مستمرًا حتى اليوم خاصة في الأوساط البروتستانتية . وقد اتسع مفهوم المصطلح في تطبيقاته الحديثة ، وانتقل من مجال علم اللاهوت إلى دوائر أكثر اتساعًا تشمل كافة العلوم الإنسانية ؛ كالتاريخ وعلم الاجتماع والأنثروبولوجي وفلسفة الجمال والنقد الأدبي والفلوكلور. والقضية الأساسية التي تتناولها « الهرمنيوطيقا » بالدرس هي معضلة تفسير النص بشكل عام ، سواء كان هذا النص نصًا تاريخيًا ، أم نصًا دينيًا .

[2] - المسيري ، عبد الوهاب : موسوعة اليهود واليهودية والنصرانية ١/ ٨٨

[3] - عادل مصطفى : مدخل الى الهرمينوطيقيا ط١ سنة ٢٠٠٣ م ، ص ٤٥ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

اتجاهات الهرمينوطيقيا عند الغربيين :-

يوجد ثلاثة اتجاهات رئيسة في تفسير الهرمينوطيقيا عند الغربيين هي :-

١- الهرمينوطيقيا بمعنى القول : أول الاتجاهات الأساسية في تفسير معنى

(hermeneuein) هو يعبر أو يفصح أو يقول .

٢- الهرمينوطيقيا بمعنى الايضاح : ثاني هذه الاتجاهات في تفسير معنى (hermeneuein)

هو يوضح، فالتفسير توضيح ويؤكد على الجانب الكلامي في الفهم ويشير إلى البعد التوضيحي أكثر من البعد التعبيري للتفسير، فالكلمات لا تقول شيئا فحسب وإنما (توضح) ذلك الشيء أي تجعله معقولا، والتوضيح شكل من أشكال التفسير .

٣- الهرمينوطيقيا بمعنى الترجمة : إذا اعتبرنا الترجمة شكلا خاصا من أشكال العملية التفسيرية الخاصة بالفهم فإننا ندرك من خلالها كيف تشكل الكلمات رؤيتنا للعالم وادراكاتنا حيث يقوم المترجم بدور الوسيط بين عالمين مختلفين ، ويمكن القول بأن الترجمة قلب الهرمينوطيقيا حيث يواجه المترجم الموقف الهرمينوطيقي الأساسي الذي يربط بين النص والأدوات النحوية والتاريخية المستخدمة ، فالمصطلح يعني علم التفسير بصفة عامة، أما عن معناه الخاص فهو المباديء الصحيحة لتأويل النص ([1]).

٤- ظروف تشكل الهرمينوطيقيا عند الغربيين :-

اتضح من التعريف السابق للهرمينوطيقيا ومن اتجاهاتها أنها نظرية غربية أوجدها مفكرو الغرب وفلاسفته لتفسير وتأويل النصوص المقدسة عندهم ليسهل عليهم فهمها وتحليلها بعد أن كانت هذه العملية حكرا على رجال الدين المسيحي في القرون الوسطى .

يقول محمد قطب :(لم تعرف أوروبا قط دين الله المنزل على حقيقته الربانية ، وإنما عرفت صورة محرفة من صنع الكنيسة الأوروبية ، لا صلة لها بالأصل المنزل الذي أرسل المسيح

---

[1] - الحبيب الشاروني وآخرون ، الفلسفة المعاصرة ، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة ط١ ، سنة ٢٠٠٢م ص ٥٢٤

© Arabic Digital Library- Yarmouk University

عليه السلام ليبلغه لبني إسرائيل ، فالجماهير الأوروبية ظلت تستقي دينها من رجال الدين من الباباوات والكرادلة، ومن المجامع المقدسة ، وتعتبرهم مرجعا لا يرقى إليه الشك ولا يناقش ، فاتخذوهم – على الحقيقة لا على المجاز – أربابا من دون الله). (١)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ التوبة: ٣١

وبقي الحال على ذلك حتى جاءت الثورة العلمية التي اصطدمت في مكتشفاتها مع الكنيسة وآرائها في أمور الطبيعة والفلسفة وأصبح العلماء والمفكرون في نظر الكنيسة مهرطقين كفارا ، وجبت عليهم اللعنة الأبدية فكانت محاكم التفتيش التي لاحقت العلماء والمفكرين بالصلب والقتل والحرق .

وكوّن هذا الوضع ردة فعل عنيفة ضد الدين – أي دين – واتجهت أفكار العلماء وأقلامهم الى محاربة الدين والخروج على تعاليمه ، فانتشرت أفكار فلسفية والحادية ومادية ، كنظرية داروين وأفكار فرويد وانجلز وماركس وغيرهم .

ومن بين هذه النظريات والأفكار نشأت الهرمينوطيقيا والتي تعنى بتفسير الكتاب المقدس ضمن أسس وأطر معينة ، ويقال بان أول من كتب فيها الفيلسوف الألماني (شولد جر) وكان هدفه عقلنة المقولات الإنجيلية بعد أن كانت – على حد زعم رجال الدين – فوق مستوى العقل .

وتهدف النظرية إلى فهم النصوص المقدسة باستخدام أدوات العقل الطبيعي لسبر غورها والوقوف على حقائقها الأخلاقية الكبرى ، والتي توارت داخل ألفاظ يصعب فهمها .

---

١ - قطب ، محمد ، مذاهب فكرية معاصرة ، دار الشروق ، ط١ سنة ١٩٣٣ م ص ٩

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وتقوم هذه النظرية على المرتكزات التالية :

١- استبعاد الأحكام المسبقة والتصورات القبلية للنص .

٢- عملية فهم النص عملية غير منتهية (نص منفتح على معان متعددة)

٣- الفهم الموضوعي للنص بمعنى الفهم المطابق للواقع غير ممكن ،لأن ذهنية المفسر وقبلياته شرط — عندهم لحصول الفهم - .

٤- ليس ثمة فهم ثابت للنص ولا يصح تحديد فهم نهائي له .

٥- ليست الغاية من تفسير النص (معرفة مراد المؤلف) فنحن نواجه النص وليس المؤلف ، وما المؤلف إلا أحد قراء النصوص ! .

٦- تهتم الهرمينوطيقيا بانتفاء (قصد المؤلف) فتركز على فهم النص دون التفات لقصد المؤلف . ([1])

٧- هذه هي المرتكزات التي تقوم عليها هذه النظرية الغربية والتي جاءت بسبب معاناة الغربيين من التفسيرات اللاهوتية التي صادمت العقل والفطرة ، وناقضت نواميس الكون ، واعترضت المنطق والبداهة ، فكانت هذه الاجتهادات والأفكار لوضع نظرية تفسر ما أبهم من طلاسم المقولات والأفكار داخل الكتاب المقدس .

إلا أن تطبيق هذه المرتكزات لنظرية الهرمينوطيقيا على القرآن الكريم أمر في غاية الغرابة لعدة أسباب أولها : أنه لا يوجد في القرآن الكريم ما يصعب فهمه ، أو يتعارض مع العقل ، أما السبب الثاني : فان تطبيق هذه المرتكزات تفرغ القرآن من مضمونه ومحتواه ، فكيف نتعامل مع كلام الله عز وجل بأحكامه وعقائده بمعزل عن قصد الله عز وجل ومراده ؟.

أو كيف نتعامل معه على أنه نص يحتمل معاني عدة غير متناهية ، أو الا ننطلق في فهمه من قاعدة إيمانية — قداسة القرآن الكريم — لان المسلم يتعبد الله بالنظر للمصحف وقراءته ، وتدبر أحكامه وتطبيقها .

---

[1] - مدخل الى الهرمينوطيقيا ، ص ٤٦ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الهرمينوطيقيا عند الحداثيين العرب : -

يصرح نصر حامد أبو زيد بأخذه لهذه النظرية عن الغربيين فيقول : (وتعد الهرميبوطيقيا الجدلية عند (جادامر) بعد تعديلها من خلال منظور جدلي مادي نقطة بدء أصيلة للنظر إلى علاقة المفسر بالنص ، لا في النصوص الأدبية ونظرية الأدب فحسب بل في إعادة النظر في تراثنا الديني حول تفسير القرآن منذ أقدم عصوره وحتى الآن) . ([1])

إذن تلقف الحداثيون العرب نظرية الهرمينوطيقيا ، وسعوا من خلال كتبهم ومقالاتهم إلى وجوب تطبيق أساليب النقد الغربية على القرآن الكريم وعلومه وإعادة قراءته من جديد .

وقد كان هدفهم المعلن هو الموضوعية العلمية، وتخليص التراث مما علق به من الشوائب ، والأخذ بزمام العلم – كما فعلت أوروبا- للحاق بها وبركب الحضارة والمدنية ، لكن الهدف الحقيقي عندهم هو نزع صفة القداسة عن هذا الدين وعن ثوابته ، ودراسة القرآن الكريم كأي نص بشري قراءة ناقدة فاحصة

وبدأت المضامين الفكرية الجاهزة تظهر في كتب الحداثيين العرب مستندة إلى هذه النظريات النقدية ، وكانت الحجة والستار الذي يقف خلفه الحداثيون العرب هي : تفسير القرآن الكريم بما يلائم روح العصر

ثم طرحوا فكرة تاريخية القرآن الكريم ونسبية أحكامه ، ووجوب أنسنته مع إدراكهم للفروق الجوهرية بين إحكام القرآن الكريم من حيث وضوحها ، ومصدرها واتفاقها مع الفطرة والعقل ، وبين نصوص الكتب المقدسة عندهم من نفس الحيثيات .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

---

[1] - ابو زيد ،نصر حامد ، اشكاليات القراءة واليات التأويل، منشورات المركز الثقافي العربي ، بيروت لبنان ، سنة ١٩٩٢م ص ٤٩

فالهرمينوطيقيا عند الحداثيين العرب هي :

(تحديد العلاقة بين القرآن الكريم والمفسر) وهذا ما أكده نصر حامد أبو زيد الذي يعتبر من أول الحداثيين العرب الذين تكلموا عن هذا النظرية فيقول : (الهرمينوطيقيا إذن على قضية قديمة جديدة في نفس الوقت ، وهي في تركيزها على علاقة المفسر بالنص ليست قضية خاصة بالفكر الغربي بل هي قضية لها وجودها الملح في تراثنا العربي القديم والحديث على السواء) .([1])

وعرفها حميد سمير بأنها : (علم أو فن تفسير وتأويل وترجمة النصوص)

ويقول: إذا رجعنا إلى الجذر المعجمي لكلمة الهرمينوطيقيا (Hermeineutique) الذي يعود إلى الأصل اليوناني (hermeneueiu) فان ذلك يمكنه أن يعني ثلاثة أشياء : (التفسير والشرح والترجمة) وهي مفردات ذات دلالات معنوية تشير الى استعمالات لغوية ومنطقية ورمزية وبلاغية لكشف حقيقة ما .

وارتبطت الهرمينوطيقيا تاريخيا بتفسير النصوص المقدسة ، وبالكتابة اللاهوتية ، وبأشكال قراءتها وتأويلها، فوظيفتها تفسير لغة الوحي من أجل فهمها .([2])

ونجد أن حميد سمير يركز على المفهوم الغربي للتعريف وكأنه يرى — ضمنا — نظرة مشتركة للهرمينوطيقيا عند الحداثيين العرب والغربيين . لذا فالتعريف الذي أراه أن الهرمينوطيقيا هي (إخضاع النصوص القرآنية لمناهج النقد الادبي الغربي) دون مراعاة لقدسيتها أو اعتبار لمصدرها والهدف هو نزع القداسة عنها وتمييع مضمونها

مع أنني أرى أن بعض الحداثيين العرب يسعى إلى توظيف الهرمينوطيقيا لإعادة قراءة التراث الإسلامي — بما فيه القران الكريم — بمعزل عن مراد الله عز وجل).

---

[1] - حميد سمير ، الهرمينوطيقيا والنص القرآني ،دار البيارق ،عمان ،ط١ سنة ١٩٩٠ ص ١٠

[2] - نفس المرجع السابق ص ١٤

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

التطبيقات الهرمينوطيقية على النص القرآني عند الحداثيين العرب

سلك الحداثيون العرب مسلكا واضحا في نقدهم للقرآن الكريم مستخدمين هذه النظرية الغربية ، يقول الحداثي العربي الدكتور نصر حامد ابو زيد :(آن أوان المراجعة والانتقال إلى مرحلة التحرر لا من سلطة النصوص وحدها ، بل من كل سلطة تعوق مسيرة الإنسان في عالمنا ، علينا أن نقوم بهذا الآن وفورا قبل أن يجرفنا الطوفان).([1])

ويقول في موضع آخر مبينا هدف الدراسة الهرمينوطيقية : (يجب أن يعاد فهم النصوص وتأويلها ، بنفي المفاهيم التاريخية والاجتماعية الأصيلة ، وإحلال المفاهيم المعاصرة الأكثر إنسانية وتقدما مع ثبات مضمون النص ، إن الألفاظ القديمة لا تزال حية مستعملة ، لكنها اكتسبت دلالات مجازية). ([2])

وأخيرا يعلن عن مشروعه — نزع القداسة عن القرآن الكريم — دون مواربة أو تدسس فيقول :

(ومن هنا تكون الدعوة للتحرر من سلطة النصوص في حقيقتها ، دعوة للتحرر من السلطة المطلقة المرجعية الشاملة للفكر الذي يمارس القمع والهيمنة والسيطرة ، حين يضفي عل النصوص دلالات ومعاني خارج الزمن والمكان والظروف والملابسات) .([3])

ويصل به الأمر إلى القول ببشرية القرآن الكريم و تشكله في الواقع فيقول : (الواقع إذن هو الأصل ، ولا سبيل لإهداره ، من الواقع تكون النص ومن لغته وثقافته صيغت مفاهيمه ، ومن خلال حركته بفاعلية البشر تتحدد دلالته ، فالواقع أولا والواقع ثانيا ، والواقع أخيرا وإهدار الواقع لحساب نص جامد ثابت المعنى والدلالة يحول كليهما إلى أسطورة). ([4])

من هنا نجد أن الحداثيين العرب يسعون إلى إعادة قراءة القرآن الكريم قراءة ناقدة من

---

[1] - ابو زيد ، نصر حامد ، الإمام الشافعي وتأسيس الآيديولوجية الوسطية ، مكتبة مدبولي ، القاهرة سنة ١٩٩٦ م ، ط١ ، ص ١٤٦

[2] - ابو زيد ، نصر حامد ، نقد الخطاب الديني ، مطبعة مدبولي ، القاهرة سنة ١٩٩٦م ط١ ، ص ١٣٣

[3] - ابو زيد ، نصر حامد ،الإمام الشافعي وتأسيس الآيديولوجية الوسطية ص ١٥

[4] - الخطاب الديني ص ٦٨

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

خلال إخضاعه للعقل البشري ، لا بقصد الفهم و التطبيق ، بل بقصد الطعن والتشكيك للتحرر من الدين كله .

ونجد هذا التطبيق كذلك عند أركون فيقول مطالبا بفهم المجازات العالية في القرآن الكريم : (إن القرآن — كما الأناجيل — ليس إلا مجازات عالية تتكلم عن الوضع البشري ، إن هذه المجازات لا يمكن أن تكون قانونا واضحا ، أما الوهم الكبير فهو اعتقاد الناس — اعتقاد الملايين — بإمكانية تحويل هذه التعابير المجازية إلى قانون شغال وفعال ، ومبادئ محدودة تطبق على كل الحالات وفي كل الظروف). ([1])

ويقول في موضع آخر : (إن المعطيات الخارقة للطبيعة والحكايات الأسطورية القرآنية سوف تتلقى بصفتها تعابير أدبية ، أي تعابير محورة عن مطامح ورؤى وعواطف حقيقية ، يمكن فقط للتحليل التاريخي السوسيولوجي اللغوي أن يعيها ويكشفها) .([2])

فالأمثلة كثيرة ، وما من حداثيّ إلا وعبر عن حداثيته بولوج هذا الباب الخطير — نقد القرآن الكريم والطعن في أحكامه — فالحداثيون العرب يسعون إلى إخضاع القرآن الكريم لمعايير نقدية بشرية وتناسوا أن القرآن الكريم هو كلام الله تعالى وانه منزّه عن أن يخضع لمعايير نقدية بشرية ، فإذا كان التقديس في أوروبا قد سقط عن كتبهم المقدسة عندهم والتي ثبت تحريفها ، فإنهم يحذون حذو أساتذتهم ويسقطون القداسة عن القرآن الكريم ، وإذا كان أساتذتهم يعاملون كل نص مكتوب — أدبي أو ديني — بنفس المستوى فان الحداثيين العرب يتبعون النهج نفسه ، دون مراعاة وتفريق بين ظروف النص عندهم وبين قداسة ومصدرية القرآن الكريم عندنا .

هذه القراءة الناقدة للقرآن الكريم وأحكامه عند الحداثيين العرب ، تقودنا إلى التساؤل عن أمور من أهمها : من هو الناقد ؟ وما هو المنقود ؟ وما منهجية النقد ؟ .

أما عن التساؤل الأول فنجد أن الحداثيين يتكلمون باسم الإسلام ، وكأنهم مختصون في .

---

[1] - اركون محمد ، تاريخية الفكر الإسلامي ، ترجمة هاشم صالح ، منشورات مركز الإنماء القومي ، بيروت ، سنة ١٩٨٦م ص ٢٩٩

[2] - اركون محمد ، الفكر الإسلامي قراءة علمية ، ترجمة هاشم صالح ، منشورات مركز الإنماء القومي ، بيروت سنة ١٩٨٧ م ص ١٩١

© Arabic Digital Library Yarmouk University

علوم القرآن وتفسيره ، وبقية علوم الشريعة الأخرى ، وان مراجعة متفحصة لأشخاص الحداثيين العرب وسلوكهم وفكرهم تقودنا إلى أنهم ينطلقون من تصورات وأحكام مسبقة عن القرآن الكريم وأحكامه ، مردها أن الكثير منهم ينطلق من فكر غريب عن ديننا .

ولو سلمنا بحسن النية والقصد عند بعضهم الآخر فمن حقنا أن نتساءل عن المنقود فنقول : ألا يعي الحداثيون العرب أن مصطلح نقد الخطاب الديني إنما يراد به أحد أمرين :

الأول : – أن يراد به حقيقة الدين المتمثلة في الوحي المقدس ، الذي جاء به نبينا محمد صل الله عليه وسلم وهو ما نطق به القرآن الكريم – الوحي المتلو – واستفاضت به السنة النبوية الصحيحة – الوحي غير المتلو – وانعقد عليه الإجماع ، فالخطاب الديني بهذا المفهوم – قرآن وسنة وإجماع – هو حقيقة الدين ، ويتصف بصفة الربانية وهو بهذا الوصف خارج عن دائرة النقد البشري كونه منزلا من عند الله العليم الخبير .

والخطاب الديني بهذا المفهوم لا يجوز الحكم عليه ومراجعته وتصحيحه لأنه كامل وصالح لكل زمان ومكان ، والموقف منه هو الإذعان والتسليم ، وهو موقف المسلم المؤمن بربه ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ الأحزاب: ٣٦ ونسبة التخلف إلى الخطاب الديني – وفق هذا المفهوم الحداثي – هو في الحقيقة قدح في الوحي الإلهي ، وتكذيب لله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ورد لمنهج الله عز وجل وبذلك ينتفي مسمى الإيمان عن كل من يقول بذلك .

أما الأمر الثاني :– فان كان المقصود ذلك الفهم البشري لكلام الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم بما يمارسه العلماء والمجتهدون من تأليف وفتوى ، فهذا النقد إن صدر من أبناء الأمة المخلصين ، والعلماء المختصين ، فهو في حقيقة الأمر نقد لاجتهادات بشرية ، قد تخطيء وقد تصيب ، بشرط أن لا تكون هذه الآراء مستندة إلى كلام الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وان يتصف الناقد بالعلم والموضوعية ، وحسن النية ، أما إن ينصّب النقد على كلام الله عز وجل وأحكامه وتشريعاته ، فهذا ما لا يمكن أن يقوم به مسلم ، مؤمن بالله عز وجل ، ويشعر بالفخر بانتمائه لهذا الدين .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

أما بالنسبة لمنهج النقد ، فهو غربي المنهج ، لا علاقة له بالواقع الذي نعيش ، فهي أفكار لمدارس غربية مادية وماركسية ووجودية .

إن استخدام المناهج النقدية الحداثية الغربية في البيئة الفكرية الإسلامية ، تؤدي إلى الخلط بين ثقافتين مختلفتين ، فلا يعقل أن يقوم مفكر ماركسي — لا يؤمن بالدين — بتفسير ونقد نصوص دينية مقدسة ، فمثلا نجد بعضهم يفسر الفتوحات الإسلامية على أنها بهدف الهيمنة والسيطرة ، وحروب الردة والفتنة الكبرى التي حدثت أواخر عهد عثمان رضي الله عنه على أنها حروب اقتصادية واجتماعية ، وأن تاريخ المسلمين إنما هو تاريخ صراع بين الطبقات .

فالحداثيون ينطلقون من خلفياتهم الفكرية في نقدهم للقرآن الكريم ، وهم مجمعون على نزع القداسة عنه ، وطمس الإسلام الحقيقي ، وإحداث قطيعة معرفية معه .

وان أي مسلم لديه إلمام بسيط بالإسلام ومصادره يدرك أن ما يطرحه الحداثيون العرب لا يمت إلى الإسلام بصلة ، إنما هو تخرصات من وحي الفلسفة الغربية وحداثتها .

والقرآن الكريم — كلام الله — ووحي الله إلى رسوله — صلى الله عليه وسلم — لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، لا يحق لأي إنسان أن يقدح في صحته أو في أحكامه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ النساء: ٨٢

فلو كان القرآن من عند غير الله لكان فيه اختلاف كثير في نظمه وفي أحكامه .

وانظر إلى قوله تعالى ﴿ الٓمٓ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ البقرة: ١ - ٢ أي لا شك فيه ، وكلمة — ريب — نكرة في سياق النفي فتعم ، أي أن الله عز وجل نفى جميع أنواع الريب والشك صغيرها وكبيرها ، ظاهرها وباطنها ، قال الإمام القرطبي : لا ريب نفي عام ، والريب هو الشك والتهمة ، فكتاب الله لا شك فيه ولا ارتياب . ([1])

فانظر كيف افتتح الله عز وجل كتابه بهذا البيان وهذا له دلالة لكل منصف ، فمعلوم أن عادة البشر أن يستفتح أحدهم كتابه بالاعتذار ، وإظهار العجز والضعف ، والتقصير ، لما في كتابه من أخطاء ، لكن الله سبحانه وتعالى استفتح كتابه بهذه الكلمة — لا ريب فيه —

---

[1] - الجامع لأحكام القرآن — الإمام القرطبي ١/ ١٥٥ ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، سنة ١٩٩٣ م

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

معلنا فيها التحدي لكل من يقرأ أن يجد فيه خطأ سواء في أحكامه أو في نظمه .

إن الوصف الدقيق لما يقوم به الحداثيون العرب هو — الإسقاط — أي استيراد الأفكار والمذاهب الفكرية الغربية وإسقاطها على مجتمعاتنا وبيئتنا الثقافية رغم اختلاف الظروف والأحوال بيننا وبينهم .

وهو ما يعرفه د. محمد البهي بأنه : (تلك المحاولات الفكرية التي يدعي القائمون بها إصلاحا أو تجديدا في الإسلام وهي في واقع أمرها إخضاع الإسلام للون معين من التفكير أجنبي عنه سواء في هدفه أو فيما يصدر عنه) .([1])

فالحداثيون يستقون ثقافتهم وأفكارهم من الغرب لكنهم يحاولون إسقاطها على الإسلام وحضارته ، فيحاكمون الإسلام وأحكامه بأفكار غربية ومختلفة اختلافا كليا ، وهذا بلا شك سيقود إلى خطأ فادح في النتائج لأن المقدمات الخاطئة تقود إلى نتائج خاطئة .

ومن جهة أخرى فإنهم يواجهون الإسلام بمقررات سابقة جاءتهم من رواسب الثقافات الغربية ، فلا يعقل أن يحاكم القرآن أصلا لأنه كلام الله ، وممن؟ من عقول قاصرة وأفكار مغرضة ، ونفوس مريضة، يقول سيد قطب — رحمه الله — : (ومنهجنا في استلهام القرآن الكريم ألاّ نواجهه بمقررات سابقة إطلاقا ، لا مقررات عقلية ولا مقررات شعورية ، من رواسب الثقافات التي لم نستقها من القرآن ذاته ، نحاكم إليها نصوصه ، أو نستلهم معاني هذه النصوص وفق تلك المقررات السابقة ، لقد جاء النص القرآني — ابتداء — لينشئ المقررات الصحيحة التي يريد الله أن تقوم عليها تصورات البشر، وأن تقوم عليها حياتهم ، وأقل ما يستحقه هذا التفضل من العلي الكبير ، وهذه الرعاية من الله – ذي الجلال – وهو الغني عن العالمين — أن يتلقوها وقد فرغوا لها قلوبهم وعقولهم من كل غبش وخبل ، ليقوم تصورهم الجديد نظيفا من كل رواسب .

الجاهليات — قديمها وحديثها على السواء — مستمدا من تعاليم الله وحده ، لا من ظنون البشر التي لا تغني من الحق شيئا .

---

[1] - البهي ، محمد ، الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي ، مكتبة وهبه ، القاهرة ، الطبعة العاشرة ص ١١٢

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ليست هناك إذن مقررات سابقة نحاكم إليها كتاب الله تعالى ، إنما نحن نستمد مقرراتنا من هذا الكتاب ابتداء ، ونقيم على هذه المقررات تصوراتنا ومقرراتنا وهذا — وحده — هو المنهج الصحيح في مواجهة القرآن الكريم . ([1])

إن مناهج النقد الغربية — وخاصة الهرمينوطيقيا — نبتة غربية لا يمكن أن تنمو في البيئة الإسلامية

فهي تسعى إلى تأويل النص القرآني تأويلا فاسدا، وإفراغه من مضمونه، فأدخلوا فكرة (انتفاء القصد) عن النص القرآني وهي فكرة خبيثة تهدف إلى فصل كلام الله عز وجل عن مصدره ، هذا أولا ، وثانيا يهدف إلى قراءة النص القرآني قراءة متعددة .

فهل يعقل أن تقرأ الأمة الإسلامية القرآن الكريم دون النظر إلى مراد الله عز وجل ؟ وعندئذ أين تذهب الأحكام والتشريعات ؟ هذا هو (انتفاء القصد) الذي أدخله الحداثيون لمناهج النقد فعندما نقرأ قوله تعالى ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ النور: ١ - ٢

وقوله تعال :﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ الذاريات: ٥٦ وغيرها من الآيات القرآنية عندما نقرؤها لا يجوز أن نتطرق إلى مراد الله — عز وجل — منها !!! وان نضع في حسابنا انتفاء قصد الله عز وجل من هذا الكلام !!! وعندئذ ماذا يبقى من القرآن وأحكامه ؟.

هذه هي مستوردات الحداثيين العرب من أسواق الفلسفة الغربية، هذه الفلسفة التي جاءت وليدة مجتمعات معينة لها ظروفها التاريخية المختلفة عنا وعن ثقافتنا، يجب على الحداثيين العرب أن لا يغفلوا الخصوصية الحضارية لهذه الأمة، وأن لنا تصورنا الواضح عن الكون والإنسان والحياة بخلاف الغرب الغارق في ماديات الحياة .

---

[1] - قطب ، سيد ، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته ، دار الشروق ، ط ٥ ، سنة ١٩٨٠ م ص ١٥

© Arabic Digital Library Yarmouk University

المبحث الثاني : القراءة البنيوية والتفكيكية للقرآن الكريم

اختلف العلماء في موضوع البنيوية والتفكيكية ، هل هما نظريتان مستقلتان في النقد وجدتا للتعامل مع النصوص — كل النصوص ؟ - أم أنهما انبثقتا عن الهرمينوطيقيا ؟ أي أنهما فرع من القراءة الهرمينوطيقية للنص .

يرجح صاحب كتاب الهرمينوطيقيا والنص القرآني أن الهرمينوطيقيا قد مرت بعد استقلالها عن النص الديني بمراحل تاريخية هي : المرحلة الفينومينولوجية — الظاهراتية — والمرحلة البنيوية ثم المرحلة التفكيكية ، وتحمل كل مرحلة من هذه المراحل توجها فكريا ومترعا فلسفيا يترك بصمات قوية على المنهج . ([1])

وهناك من يجعل البنيوية والتفكيكية نظريتين مستقلتين جاءتا بعد النصف الثاني من القرن العشرين . ([2])

ومما يرجح الرأي الثاني أن أحد الفلاسفة المعاصرين وصف البنيوية بأنها (سيدة العلم والفلسفة الحديثة بلا منازع) وبيّن السياق التاريخي لولادتها وتشكلها . ([3])

البنيوية : المفهوم والتعريف :

تركز البنيوية على عدم الاهتمام بالمؤلف ومقاصده ، بل أصبح الاهتمام منصبا على بنية النص ، في معزل عن أي إحالة مرجعية خارجية ، حتى ولو كان الأمر يتعلق بمؤلف النص وفاعله ، ومن هنا ظهرت فكرة (موت المؤلف) وهي من أهم المقولات تداولا في هذه المرحلة ، وهي تيار فلسفي يقوم على نفي الفاعل كيفما كان نوعه ، ليتم التأكيد فقط على العلاقات بين العناصر والأجزاء .

---

[1] - حميد سمير ، انظر الهرمينوطيقيا والنص القرآني ، دار البيارق ، عمان ، ط١ ، سنة ١٩٩٠ ص ١٣ — ١٥

[2] - جان بياجيه ، البنيوية ، ترجمة عارف منيمنه ، ص ٣١ وما بعدها

[3] - حميد سمير ، الهرمينوطيقيا والنص القرآني ، ص ١٤ — ١٥ ، وانظر البنيوية فلسفة موت الإنسان ، روجيه جارودي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، سنة ١٩٨١ ، ط١ ، ص ١٣ ، ١٤ ،

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وليس من باب المصادفة أن يتم الاستشهاد في هذا المجال بنيتشه لأنه يمثل نموذجا أعلى في نفي كل سلطة ، ونفي كل فاعل مؤثر . ([1])

فالهدف هنا هو عزل النص عن أي مؤثر ديني أو فكري ، وبالتالي عزل النص الديني عن أي تأثير في الحياة ، وعدم إحالته إلى قائله ، بل يفهم بطريقة مختلفة عما يريده قائله .

فالبنيوية مذهب من المذاهب الفلسفية التي سيطرت على المعرفة الإنسانية في الفكر الغربي ، ومؤداه الاهتمام أولا بالنظام العام لفكرة أو لعدة أفكار مرتبطة بعضها ببعض على حساب العناصر المكونة له ، وتعرف أحيانا باسم البنائية أو التركيبية ، ويعد العالم اللغوي السويسري (فرديناند دي سوسير) مؤسس المنهج البنيوي ، وجاء بعده الفرنسي (كلود ليفي شتراوس)

والبنيويون يؤمنون بالظاهرة كبنية منعزلة عن أسبابها وعللها وعما يحيط بها . ([2])

وتعتبر البنيوية التفكيكية من آخر وأحدث الاتجاهات الفلسفية الحديثة ، فهي تنصب على البحث الأبستمولوجي — المعرفي — للكشف عن باطن الظواهر أو البنية التي تؤسسها ، وهي تستبعد أي تدخل للوجدان أو الشعور أو العقيدة ، ولاقت اهتماما كبيرا لدى العلماء والفلاسفة حتى اعتبروها سيدة العلم والفلسفة بلا منازع . ([3])

تعريف البنيوية :-

للبنيوية عدة تعاريف منها :-

أنها (منهج فكري وأداة للتحليل تقوم على فكرة الكلية أو المجموع المنتظم ، اهتمت بجميع نواحي المعرفة الإنسانية) .([4])

واشتق لفظ البنيوية من البنية فتعتبر أن كل ظاهرة إنسانية كانت أم أدبية تشكل بنية ، ولدراسة هذه البنية يجب علينا أن نحللها إلى عناصرها المؤلفة منها بدون أن ننظر إلى أية

---

[1] - زكريا ابرهيم ، مشكلة البنية ، مكتبة مصر ، القاهرة ، سنة ١٩٧٦ ، ط١ ،ص٧

[2] - جعفر ، عبدالوهاب ، البنيوية بين العلم والفلسفة عند ميشيل فوكوه ، دار المعرف ، القاهرة ، سنة ١٩٨٩ م ، ط١ ، المقدمة .

[3] - زكريا ابراهيم ، مشكلة البنية ، ص ٧

[4] - جان بياجيه ، البنيوية ، ترجمة عارف منيمنه ، ص ٣١ وما بعدها

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

عوامل خارجية عنها ، كالعقيدة أو فكرة المؤلف .

ونظرا لما حظيت به البنيوية وما تزال في عالمنا العربي ولكونها تمثل المعلم البارز والفاصل بين مرحلتي الحداثة وما بعد الحداثة فلا بد من ذكر أشهر المدارس البنيوية وتطبيقاتها في مجال المعرفة

١- مدرسة جنيف :-

في القرن التاسع عشر نادى الباحث الاجتماعي اليهودي (دور كايم) بالنظرية المسماة (العقل الجمعي) ودعى إلى دراسة الظواهر الاجتماعية باعتبارها أشياء مستقلة ، وظهر في نفس الوقت الباحث اللغوي (فرديناند دي سوسيور) بنظريته في ظاهرة اللغة حيث عدّ اللغة نظاماً يقوم على الرموز ، ومن هنا ظهرت فكرة البنية ، ومن ابرز ما قرره سوسيور مبدأ اعتباطية الرمز اللغوي ويعني : أن كل نظام لغوي يعتمد على مبدأ لا معقول من اعتباطية الرمز وتعسفه ويفرض على الناس ما هو خارج عن ذواتهم ، ومن هنا انبعثت فكرة السيمولوجيا – أي علم الدلالة أو العلامة والإيحاء . ([1]) .

المدرسة الشكلية الروسية :

ومن أبرز معلميها (جاكوبسون) ومن أهم آرائها تحرير الكلمة الشعرية من الاتجاهات الفلسفية والدينية ، والانطلاق من دراسة العمل الأدبي في ذاته فهي تؤكد أن العمل الأدبي يتجاوز نفسية مبدعه ، ويحافظ عل استقلاليته . ([2])

وتضيف هذه المدرسة : أن العمل الفني لا يتطابق مع عقلية المؤلف ، ولا المتلقي للنص ، وهذا هو الأساس الذي اعتمد عليه البنيويون ، إذ يريدون إنتاج فهم غريب عن النص ، بخلاف ما يريده قائله ، لذا نادى البنيويون وعلى رأسهم (رولات بارت) – أكبر نقاد أوروبا – نادى (بموت المؤلف) . ([3])

٢- مدرسة نيويورك :-

وأسست بعد هجرة جاكوبسون اليها حيث التقى ب (كلود ليفي شستراوس) وهناك

---

[1] - المرجع السابق ، ص ٣٩

[2] - المرجع السابق ، ص ٥٥ ، ٦١ ، ٦٢

[3] - المرجع السابق ، ص ١٠١

© Arabic Digital Library Yarmouk University

أسهما في إنتاج الكثير من عناصر البنيوية الحديثة ، وما لبث شستروا س أن أصبح زعيم البنيوية الحديثة ، ونبغ من هذه المدرسة (نعوم جو مسكي) اليهودي وهو من ابرز ممثلي البنيوية الأمريكية .[1]

ويتساءل د . (سفر الحوالي : هل هي المصادفة التي جعلت زعيمي المدرستين الأمريكية واليهودية (نعوم تشومسكي وشتراوس) يهودا ؟ بل إن نعوم تشومسكي تربى في أحضان الصهيونية في فلسطين ويضيف .... الجامع المشترك في كل هذه الفلسفات هو الثورة على المعايير العقلية والحسية ، لكن كلا منها سلك سبيله الخاص

فرويد : العقل الباطن والأحلام

سارتر : الأساطير

شتراوس : السحرة والكهان

ميشيل فوكو : الجنون . ويضيف والحمد لله على نعمة الإسلام). ([2])

ومما يزيد الشكوك حول المرجعية الفكرية لهؤلاء الفلاسفة تأكيد د. صلاح جعفر على الترابط الوثيق بين البنيوية والماركسية . ([3])

من كل ما تقدم نلاحظ أن البنيوية تمثل سياقا تاريخيا مغايرا ومناقضا لما تنتمي إليه الأمة ، فهي منهج فلسفي غريب ، يريد أن يسيّر أحكامه على كل نص ، فلا تستثني أي نص مهما كانت قداسته .

فالبنيوية تساوي بين كل النصوص – فلا قداسة لأي نص عندها –.

وعندما يرفع البنيويون فكرة – موت المؤلف – في نقدهم للنص ، ويقصدون بذلك الفصل بين النص وقائله ، من حقنا أن نتساءل : كيف يمكن إسقاط هذا النمط الفلسفي الغريب على القرآن الكريم ؟ !!! في ظني أن الشاعر لا يقبل هذا الفصل المتعسف بينه وبين قصيدته ، لأنه أعرف بها وبمعانيها فكيف إذا كان الأمر بكلام الله عز وجل الذي

---

[1] - المرجع السابق ، ص ١١٠

[2] - الحوالي ، سفر بن عبدالرحمن ، مقدمة في تطور الفكر الحداثي ، مجلة البيان ، العدد ١٩٩ ، ربيع الأول ، سنة ١٤٢٥ – ٢٠٠٤م ، ص ٤ وما بعدها .

[3] - صلاح جعفر ، البنائية في النقد الأدبي ، ص ٢٨١ وما بعدها

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

جاء منهجا للحياة ؟ وممن ؟ من الله عز وجل الحكيم الخبير بخلقه وما يصلح حالهم .

إن هدف دعاة البنيوية تمييع النصوص من خلال تعدد قراءاتها ، وفصل النص عن قائله ، ونفي القصد عن النص .!!!

فها هو احد الحداثيين العرب يلمح إلى هذا المنهج الغربي وضرورة تطبيقه على التراث الإسلامي بقوله : (لن نتمكن من التقدم في فهم تراثنا الفلسفي ، وتراثنا على وجه العموم إلا بالانفتاح المنهجي والابتكار المنهجي) . ([1])

ويدعو صراحة إلى تطبيق المناهج الغربية في النقد ، وعلى النصوص الدينية فيقول : (... بل ويقتضي الأمر القيام بعدة تجارب لرؤية ذلك النص في حالات متعددة ، سواء في حالات نفيه ، أو وضعه قياسا بموازاة نصوص متشابهة ، أو في حالات قلبه أو حتى بعزله عزلا تاما عن أطره التي ارتبط بها ، ثم إعادة ربطه أو تفكيكه وإعادة تركيبه ، أو باستخدام الحيل المنطقية المتعددة ثم محاولة رؤية تاريخه الخاص ...) ([2])

وها هو كمال أبوديب يقول مادحا البنيوية : (ليست البنيوية فلسفة لكنها طريقة في الرؤية ومنهج في معاينة الوجود ، ولأنها كذلك تصبح البنيوية ثالث حركات تاريخ الفكر الحديث يستحيل بعدها أن نرى العالم ونعاينه كما كان الفكر السابق علينا يرى العالم ويعاينه .

ويضيف ..... مع ماركس ومفهومي الجدلية والصراع الطبقي بشكل خاص أصبح محالا أن نعاين المجتمع كما كان يعاينه الذين سبقوا ماركس ، ومع البنيوية ومفاهيم التزامن والثنائيات الضدية والإصرار على أن العلاقات لا العلامات نفسها هي التي تعني وأصبح محالا أن نعايش الوجود — الإنسان — الثقافة - الطبيعة كما كان يعاينه الذين سبقوا البنيوية .) ([3])

التفكيكية :—

---

[1] - عبد الهادي عبدالرحمن ، سلطة النص— قراءات في توظيف النص الديني ،المركز العربي ،بيروت ، ط ١ ، سنة١٩٩٣ص ٢٣

[2] - المرجع السابق ص ٢٥

[3] - كمال أبوديب ، جدلية الخفاء والتجلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، سنة ١٩٧٩ ، ص ٧ ، ٨

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تعود حركة النقد التفكيكية في نشأتها إلى الستينات من القرن العشرين ويتفق الدارسون على أن (جاك دريدا) الناقد الفرنسي واليهودي الأصل هو المنظّر الأول لهذه الحركة .

وجاءت الحركة النقدية التفكيكية كبديل عن البنيوية ، والقراءة التفكيكية هي قراءة مزدوجة ، تسعى إلى دراسة النص أيا كان دراسة تقليدية أولا لإثبات معانيه الصريحة ، ثم تسعى إلى تقويض ما تصل إليه من نتائج في قراءة معاكسة تعتمد على ما ينطوي عليه النص من معان تتناقض مع ما يصرح به .

وهي فلسفة عدمية أسس دعائمها نيتشه وهايدجر.

وتسعى نظرية التفكيك إلى زعزعة المسلمات التقليدية والميتافيزيقية الغربية وتعتبر أن النص يمكن إعادة قراءته ضمن سياقات جديدة ، وان حقيقة النص لا تقتصر على إرادة مؤلفه ، وإنما على إرادة قارئه !!!فهي تقوم على نفي الفاعل ومقاصده في النص ، وتضع مكانه المتلقي أو القارئ ليخوض وحده مغامرة القراءة والتأويل بعيدا عن كل مركز ثابت من شأنه أن يشوش المعنى على القارئ ، والتفكيكية ترفض وجود حقائق ثابتة خارج النص ، يعتمد عليها القارئ في قراءته للنص .

ويؤكد حميد سمير أن الفلسفة التفكيكية تستند على أساس خطير وهو نسف المعرفة الإنسانية ، وتحطيم الثوابت التي تستند عليها .

وهي فلسفة قائمة على الشك فشككت في النظام العام للمعرفة ، وفي قدرات العقل ، وفي وجود مركز مرجعي للإنسان ، لذا فهي تؤكد دائما على استحالة حضور المركز الخارجي داخل النص . ([1])

والمقصود بالمركز الخارجي هنا – في نظر الفلاسفة – أسماء مختلفة مثل : الله عز وجل ، الإنسان ، الجوهر ، الحقيقة ، المدلولات العليا ، أو المتعالية . ([2])

إذن فالتفكيكية مشروع نقدي غربي يهدف إلى الهدم والتقويض وعدم الإيمان بأي شيء ، ورفض أي مسلمة عقدية ، أو خلقية .

---

1 - حميد سمير ، الهرمينوطيقيا والنص القرآني ، ص ١٨ – ١٩ ، وانظر : الحداثة والسلطة ، النص ، كمال أبو ديب مجلة فصول ، المجلد الرابع ، العدد الثالث ، سنة ١٩٨٤م ، ص ٤١ وما بعدها

2 - عبدالعزيز حموده ، المرايا المحدبة ، سلسلة عالم المعرفة : الناشر المجلس الأعلى للثقافة والفنون ، الكويت ، سنة ١٩٩٨ ، ص ٣٠٠ – ٣٠١

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يقول جاك دريدا ردا على سؤال له عن موقفه من قراءة النصوص : (أنا لا اعتبر النص أي نص كمجموع متجانس ، ليس هناك من نص متجانس ، هناك في كل نص في النصوص الميتافيزيقية الأكثر تقليدية قوى عمل هي في الوقت نفسه قوى تفكيك للنص ، هناك دائما إمكانية لأن تجد في النص المدروس نفسه ما يساعد على استنطاقه وجعله يتفكك بنفسه) ويضيف ....(ما يهمني في القراءات التي أحاول مباشرتها هو ليس النقد من الخارج إنما الاستقرار أو التموقع في البنية غير المتجانسة للنص ، والعثور على توترات أو تناقضات داخلية يقرأ النص من خلالها نفسه ..... وهناك في النص قوى متنافرة تأتي لتقويضه وتجزئته .) ([1])

يقول رفيق أبو شلالة : (اتجهت التفكيكية إلى تقويض بداهات العقلانية الغربية وكل القيم الملازمة لها بما في ذلك قيمة العقل والحقيقة ، وذلك من خلال رفض القول بمنطقية الوجود ، والحقائق الغيبية – عندهم – ليست سوى أوهام وأضاليل ، لأن ما يثبته الإنسان ليس في نهاية المطاف إلا إسقاطاً لغرائزه على الموضوعات الخارجية .) ([2])

وبعد أن عرفنا مفهوم التفكيكية في الغرب نريد أن نعرف أين تقع التفكيكية في خطابات الحداثيين العرب .

لعل الحداثي السعودي عبدالله الغذامي من أكثر الحداثيين العرب إفاضة في الحديث عن منهجية النقد التفكيكي في كتابه : (الخطيئة والتفكير من البنيوية إلى التشريحية). ونجد أنه تحاشى – لاعتبارات واضحة – استخدام مصطلح التفكيكية وآثر استخدام التشريحية مع أنه بين أن السبب هو صعوبة نقل المصطلح (DECONSTRUCTION) واقتصر الغذامي لاعتبارات واضحة أيضا في عرضه القضايا المنهجية التفكيكية على قضايا الشعر والأدب إذ لم يشأ أن يتحدث عن المرتكزات العامة للتفكيكية مراعاة للوسط الثقافي الموجود فيه

ويأتي بعده أدونيس لكنه أكثر وضوحا في استخدام جوهر النقد التفكيكي تحت مسمى الحداثة ، فهو يرى ضرورة الانفصال كليا عن الماضي ، وان التفكيك والتفتيت هما قاعدة

---

[1] - جاك دريدا ، الاستنطاق والتفكيك ، مجلة الكرمل ، العدد ١٧ ، ص ٥٦ ترجمة كاظم جهاد ، سنة ١٩٨٥

[2] - رفيق بوشلاله ، مأزق الحداثة ،إسلامية المعرفة السنة الثانية ، العدد السادس ، ص ٥

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كل إبداع ، وربط نشوء ثقافة جديدة بنقد الموروث وتفكيكه. ([1])

ويؤكد أن الفكر العربي الإسلامي إما أن يفكك ذاته أو لا يكون . ([2])

من هنا نجد أن أدونيس أكثر جرأة في دعوته إلى التفكيك ، كيف لا وهو الأب الروحي للحداثيين العرب ويدعو إلى الخلاص من الأجوبة التراثية وذلك بالرجوع إلى التراث نفسه ، وتقويض أسس هذه الأجوبة ، وهو بذلك يبشر بما قاله (جاك دريدا) حول عدميته .

ويقول : بما أن هذه الثقافة لا تزال سائدة في المنظور الثوري ليست عدمية النهاية وإنما هي وجودية البدء أو بتعبير أدق إن هذه العدمية ليست إلا كنسا لرماد القديم من أجل أن تشتعل نار الجديد . ([3])

أما محمد أركون فبين أولا حقيقة التفكيك وأغراضه فيقول : (والمقصود بمنهجية التفكيك تفكيك الميتافيزيقيا الكلاسيكية والأنظمة الثيولوجية الموروثة ، فما ينطبق على تفكيك الأولى يسري على تفكيك الأنظمة اللاهوتية التي تشكلت في العصور الوسطى في كافة المجالات الدينية ، فهذه الأنظمة بتحديداتها الثنائية بحاجة إلى تفكيك وإعادة نظر([4])

ويقول في موضع آخر : (لننتقل الآن إلى ما يدعوه الناس عموما بالقرآن ، إن هذه الكلمة مشحونة إلى أقصى حد بالعمل اللاهوتي ، والممارسة الطقسية والشعائرية الإسلامية المستمرة منذ مئات السنين ، إلى درجة أنه يصعب استخدامها كما هي ، فهي تحتاج إلى تفكيك مسبق من أجل الكشف عن مستويات من المعنى والدلالة كانت قد طمست وكتبت ونسيت من قبل التراث التقوى الورع كما من قبل المنهجية الفيلولوجية النصاتية والمفرطة في التزامها بحرفية النص. ([5])

---

[1] - أدونيس ، فاتحة النهايات ، دار العودة بيروت ، سنة ١٩٨٠ ، ط١ ص ٢٧٧ .

[2] - المرجع السابق ص ٣٣١

[3] - المرجع السابق ، ص ٢٧٩

[4] - محمد أركون ، من فيصل التفرقة إلى فصل المقال (أين هو الفكر الإسلامي المعاصر) ترجمة هاشم صالح ، بيروت ، دار الساقي ، سنة ١٩٩٣ م ، ص ٣٥

[5] - محمد أركون ، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل ، ص ٢٩

© Arabic Digital Library Yarmouk University

إذن نجد أن أركون يركز نقده وتفكيكه على القرآن الكريم وثوابت هذا الدين ، واعترف له بذلك حداثي آخر إذ يقول عن أركون ومنهجه في التفكيك : والحق أن أركون يركز نقده وتفكيكه في الدرجة الأولى على الخطاب الإسلامي أصولا وفروعا ، وفي مختلف مستوياته وتجلياته بدءا بالنص القرآني ذاته وانتهاء بكل ما انتظم حوله من نصوص وخطابات .

ويضيف .... مدافعا عن قراءة أركون للتراث وتفكيكه له بأن قراءته للتراث إذ تفكك من جهة فإنها توحد من جهة أخرى ، إن التفكيك يخدم التوحيد ، والقراءة التفكيكية قد تميط اللثام عن السمات المشتركة لجميع العقائد . ([1])

ويقول أركون في موضع آخر (إن التفكيك يسعى إلى استنطاق خطاب الحقيقة عن بداهاته المحتجبة ، انه اشتغال على النصوص ، بالعمل على تفكيكها والحفر في طبقاتها للكشف عما تمارسه من آليات الحجب والاستبعاد والكبت والتحوير والخداع . ويقول ردا على سؤال : (كيف يمكننا التحدث عن التسامح في الوسط الإسلامي ؟ فيقول : لا يمكن للتسامح أن يترسخ إلا بعد تفكيك هذه الهويات الثابتة الجامدة والراسخة من عدة قرون) . ([2])

وكتب هاشم صالح — مترجم كتب أركون — في مقدمة ترجمته لكتاب أركون (الفكر الإسلامي قراءة علمية) موضحا أن منهج أركون في التفكيك يقوم على تحليل مفهوم الأرثوذكسية في الإسلام ، وكيفية نشوئها وتشكلها واشتغالها في التاريخ عبر القرون ، ويؤكد : (ونفهم من ذلك أن شرط انفتاح الفكر العربي الإسلامي على العقلانية الحديثة ، لا يمكن أن يتم بشكل فعلي ودائم وناجح الا بتفكيك مفهوم الدوغمائية ، ومفهوم الأرثوذكسية ، وهذا لن يتم بشكل جيد قبل القيام بمرحلة تفكيك استكشافية داخلية للتراث) . ([3])

ومن الحداثيين الذين تناولوا هذه النظرية في مؤلفاتهم وطالبوا بتطبيقها علي حرب إذ ألف

---

[1] - علي حرب ، تفكيك النص ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، سنة ١٩٩٣م ، ط١ ، ص ٧٥

[2] - محمد اركون ، من فيصل التفرقة إلى فصل المقال ، ص ١٢٤

[3] - هاشم صالح ، مقدمة كتاب الفكر الإسلامي قراءة علمية ، بيروت ، معهد الإنماء القومي ، سنة ١٩٧٨ م ، ص ٩

© Arabic Digital Library Yarmouk University

كتاباً سماه (أسئلة الحقيقة ورهانات الفكر) ويقدم نفسه في مقدمة كتابه (نقد النص) بأنه : قارئ يشتغل على النصوص مساءلة واستنطاقا ، أو حفرا وتنقيبا ، أو تحليلا وتفكيكا ، فالنص عنده بات يشكل منطقة من مناطق عمل الفكر عنده . ([1])

ويقول مادحاً التفكيك والنقد للنص : والتفكيك يكشف أن المقول المنطقي والكلي والعقلي هو سجن للجسد والخيال ، وختم على الأسماع والأبصار والقلوب ،

ويضيف .... وهكذا فانا تفكيكي في تعاملي مع خطاب العقل ومطلقاته بمعنى أنني أخضع للفحص العقل بما هو ذات متعالية تتصف بالقدرة على الربط والتأليف . ([2])

وبين استراتيجيته التفكيكية في تعامله مع النص فيقول : (فلا ينبغي التعامل مع النصوص بما تقوله ، وتنص عليه ، أو بما تعلنه وتصرح به ، بل بما تسكت عنه ولا تقوله ، بما تخفيه ولا تستبعده) . ([3])

وهكذا نجد أن حركة النقد التفكيكي عند الحداثيين العرب تعتبر امتدادا لاتجاه الحداثة الأوروبية ، لا بل هي اجترار لما يقوله فلاسفة الغرب ، والمنهج التفكيكي يعتبر عنوان العبثية والتشكيك ، فهي تلغي المسلمات والقناعات المتوارثة ، وتريد نزع القداسة عن القرآن الكريم ، والدخول في دائرة اللامفكر فيه داخل النص — على حد تعبيرهم — ولعلهم لم يلحظوا كيف أنهم تتبعوا مناهج وآراء أساتذتهم في الغرب من منظري مناهج النقد التفكيكي والبنيوي ، فها هو دريدا — منظّر التفكيكية الغربية يقول : (فأنا لا اعتبر النص أي نص كمجموع متجانس ، ليس هناك من نص متجانس ، هناك في كل نص في النصوص الميتافيزيقيا — الغيبية — الأكثر تقليدية قوى عمل هي في الوقت نفسه قوى تفكيك للنص) .([4])

ويقول دريدا كذلك : (إن فلسفة تفكيك الميتافيزيقيا أو مجاوزتها ستعمل على تقويض جميع مرتكزات الوجود الإنساني ، ولن يبقى في نهاية المطاف غير وجود الإنسان عارياً من

---

[1] - علي حرب ، نقد النص ، بيروت ، المركز الثقافي العربي ، سنة ١٩٩٣ م ، ص ٨

[2] - المرجع السابق ، ص ١٩

[3] - المرجع السابق ، ص ٣٥

[4] - جاك دريدا ، الاستنطاق والتفكيك ، مجلة الكرمل ، العدد ١٧ ، ترجمة كاظم جهاد ، ص ٥٦

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الأوهام أمام حقيقة الوجود الذي لن يكون هو نفسه إلا الفراغ والضياع . ([1])

إذن فالمنهج النقدي التفكيكي الذي يتبناه الحداثيون العرب يقوم على (التقويض والهدم) فهو ينادي — كما ينادي فلاسفة الغرب — برفض القول بمنطقية الوجود أو اعتبار الحقيقة مجرد نوع من المطابقة بين الفكر والوجود ، استنادا إلى آليات الاستدلال المنطقي ، تماما مثلما درج على ذلك فلاسفة الغرب ، فالنماذج الفكرية الغيبية ليست عندهم إلا شبكة عريضة من الأوهام والأضاليل

وهذا يؤكد أن جميع أطروحات الحداثيين العرب ما هي إلا أفكار مستوردة ولدتها الفلسفة الغربية العبثية ، ومثل هذه الأطروحات ليس لنا بها أي صلة لا تاريخيا ولا دينيا ولا حضاريا ، فمن غير المنطق أن تطبق هذه النظريات الغربية على مجتمعات خالية من الظرف التاريخي الذي ولدّها وأنتجها .

أما حقيقة توجهاتهم فهي : التمرد على الدين ، وتفريغه من محتواه ، وترويج الإلحاد والزندقة تحت مسميات كثيرة كالنقد والحداثة والتفكيك وتوليد المعنى ، والموضوعية ..... الخ

ومشكلة الحداثيين العرب أنهم اعتقدوا أن كل ما يصل إليه النسق الفلسفي الغربي يمثل التطور الفلسفي للعالم ، أو هو الوصفة السحرية لحل كل همومه ومشاكله ، دون مراعاة الظروف والأحوال الخصوصية لكل أمة من الأمم .

والمرتكز الرئيس لمدارس النقد الغربية يقوم على نزع القداسة عن النص الديني عندهم ، وتقويض أسس مصداقية هذه النصوص ، وجاء ذلك بعد أن صادم النص الديني المحرف العقل ، ومكتشفات العلم ، وتطرق إليه الشك بأنه وحي من السماء ، وساد الاعتقاد بأنه وضع بشري ، وصياغته بشرية ، تاهت عن أصول قد حرفت وبدلت من النص الأصلي .

ووصل الغربيون إلى هذه النتائج بعد طول دراسة للنصوص ، ومعاناة من رجال الدين وبنوا على هذه النتائج جملة معتقدات فلسفية أسقطوها على مناهجهم النقدية وتعاملوا بها مع كل النصوص ومن أهمها :

---

[1] - رفيق بوشلاله ، مآزق الحداثة والخطاب الفلسفي لما بعد الحداثة ، إسلامية المعرفة ، السنة الثانية ، العدد السادس ، ص ١٢١

© Arabic Digital Library Yarmouk University

- نفي القداسة عن أي نص .
- تحطيم أي مضمون ثابت ، ونفي الإطلاق عن الحقائق وإدخال النسبية إليها .
- التعامل مع النصوص — كل النصوص — على أساس أنها بمجرد لغة ولا تحتوي أي مضامين فكرية أو عقدية ثابتة ولا تشير إلى حقائق ثابتة .

وهنا نتساءل : هل يقبل مسلم أو عاقل إسقاط كل هذه النتائج التي توصل إليها الحداثيون الغربيون على القرآن الكريم ؟ أو السنة النبوية ؟

ونقول للحداثيين العرب : رويدكم إن لغة الإسقاط والتبعية والاستيراد لا تنفع ، إن الجسم الإسلامي سيرفض هذا الزرع الخبيث ، ولن يقبله تحت أي مبرر ، إن أهدافكم واضحة تتلخص في إبعاد القرآن الكريم عن حياة الأمة من خلال نزع القداسة عنه وعن أحكامه ، لكن نطمئنكم بأن امتنا أوعى من ذلك فهي تدرك قدسية كتابها ، وصحة دينها ، والفروق الموضوعية بين السياقات التاريخية والدينية عندنا وعند الغرب .

والحداثيون العرب مع أنهم يقرون في ظاهر كلامهم بان القرآن الكريم كلام الله ، لكنهم ومن خلال كتبهم ومضامينها الفكرية يتنكرون لذلك ، والحقيقة أنهم يستهدفون أثر القرآن الكريم في واقع الحياة تماما كما نادى أعداء الأمة من قبل بإبعاد الدين والقرآن الكريم عن واقع حياة المسلمين ليسهل التغلب عليهم ، وهم يعلمون أنهم لو قالوا وصرحوا بإنكار مصدرية القرآن الكريم لكشف أمرهم ، ولقوا طوفانا من الاحتجاج والرفض ، لذا لجأوا إلى طرق ملتوية ومغلفة بالنقد والبحث العلمي .

والمتأمل في حركة الحداثيين العرب يجد أنها انطلقت من صدمة حضارية أصيب بها العقل العربي المسلم بسبب أحداث القرن الماضي والحالي ، وما ألمّ بالأمة من ويلات ومصائب ، ونتيجة الانبهار بما وصل إليه الغرب من تقدم علمي وصناعي وعسكري ، مقارنة بما وصلت إليه الأمة من فرقة وتخلف، وهذا ما عبر عنه ابن خلدون في نظريته الشهيرة (تقليد الغالب للمغلوب) فالمغلوب مولع أبدا بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه وسائر أحواله وعوائده ، والسبب في ذلك أن النفس أبدا تعتقد الكمال فيمن غلبها وانقادت إليه . ([1])

---

[1] - ابن خلدون عبدالرحمن بن حمد ، مقدمة ابن خلدون ، الناشر المكتبة العصرية ، بيروت ، سنة ١٩٩٥ م ، ط ١ ، ص ٢

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وهذا الاعتقاد في كمال ثقافة الغرب وفلسفته نجده عند بعض قادة الرأي والفكر عندنا يقول طه حسين : (إن سبيل النهضة واضحة مستقيمة ، ليس فيها عوج ولا التواء ، وهي أن نسير سيرة الأوروبيين ، ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادا ، ولنكون لهم شركاء في الحضارة خيرها وشرها ، حلوها ومرها ، وما نحب منها وما يكره ، وما يمجد منها وما يعاب . ([1])

فهذه هي العقلية التي يريدنا الحداثيون العرب إن نتعامل بها مع كل ما هو غربي عقلية التلقي دون تمحيص أو مراعا ة لخصوصية دينية او حضارية !!!

وهناك قضية في غاية الخطورة توصل إليها دعاة البنيوية والتفكيكية وهي أن النص — أي نص — قابل لكل قراءة ، ولكل فهم ، ويستوعب أي معنى ، ولا توجد قراءات صحيحة وأخرى خاطئة ، فالقراءات كلها صحيحة والخطأ كل الخطأ هو قراءة النص — أي نص — قراءة غير عصرية أو الجمود على قراءات قديمة ، إذ لا يجوز تحديد معنى نهائي وحقيقي للنص فليس للنص أي معنى نهائي وثابت ، انه مفتوح على كل المعاني .

وهنا نسأل الحداثيين العرب : هل تريدون تطبيق ذلك على القرآن الكريم ؟؟

هل تقبلون فصل النص عن قائله ، أي فصل القرآن الكريم عن الله عز وجل وهل تقبلون نفي القصد عن كلام الله ؟ وعندئذ ماذا يبقى من القرآن الكريم ؟

إن مصطلح نقد النص مصطلح غربي له ظروفه وحيثياته ولا يجوز إسقاطه على القرآن الكريم .

يقول طه عبد الرحمن : (إن هذه القراءات الحداثية إنما هي تفسيرات مقلدة اقتبست كل مكونات خططها من الواقع الحداثي الغربي في صراعه مع الدين ، هذا الصراع الذي آل إلى ترك العمل بقيم (الالوهية) وأخذ بقيم (الإنسانية) و (العقلانية)

ويلزمنا عندئذ أن نطلب قراءة حداثية للآيات القرآنية تكون قراءة مبدعة حقا ولا إبداع حقيقي ما لم يكن إبداعا موصولا ، ولا وصل في الإبداع ما لم يكن آخذا بأسباب تراثنا التفسيري والثقافي ([2])

---

[1] - طه حسين ، مستقبل الثقافة في مصر ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، سنة ١٩٩٣

[2] - طه عبد الرحمن ، روح الحداثة ص ٢٠٥

© Arabic Digital Library Yarmouk University

مشكلة الحداثيين العرب أنهم يتعاملون مع النصوص عندنا – القرآن الكريم والسنة النبوية – ليس بصورتهما الصحيحة والموثقة من حيث الصحة والقداسة ، وإنما بصورة النصوص في المصطلح الغربي ، تلك النصوص التي فقدت كل معاني الصحة والمعقولية .

فإذا أردتم حداثة بمعنى التجديد المنضبط بالثوابت ، الملتزم بأحكام الشرع فلا بأس بذلك لأنها عندئذ ستكون حداثة بناء لا حداثة هدم فتسعى إلى توسيع العقل بدل رفض الغيب ، وترسيخ الأخلاق بدل رفض الحكمية ، والإيمان بالمقدس بدل نزع القداسة عنه

وبهذا يحصل فعل التجديد الحداثي ويتجلى هذا التجديد في رفع كرامة الإنسانية إلى رتبة التمثيل الإلهي تحققا بمبدأ الاستخلاف . ([1])

وبقيت قضية أخيرة وهي أن فلاسفة الغرب يرفعون شعار (كينونة النص) ويعنون به عزل النص عن قائله وعن الواقع الخارجي له وقد ينفع هذا في الشعر أو الأدب أو القصة مع أنه من غير المعقول أن تفصل قصيدة شعرية عن قائلها وبيئته وعقليته ومعتقده ....

فكيف إذا كان الأمر بكلام الله عز وجل ، إن وراء هذا الشعار هدفا خبيثا هو إفراغ القرآن الكريم من محتواه تحت مسمى نقد النص .

وقالوا بعدم وجود حقيقة جوهرية للنص وعندئذ لا مجال للحديث عن الخطأ والصواب في فهم النصوص ، فالخطأ والصواب يصبحان إذا كنا نتعامل مع النص بوصفه يعكس او يتطابق مع حقيقة ذهنية أو خارجية قائمة بمعزل عنه وهذا غير موجود .

إن مثل هذه الهرطقة وهذه العبثية لا يمكن بحال أن تطبق على كلام الله عز وجل .

---

[1] - انظر : المرجع السابق نفس الصفحة بتصرف

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الثالث : القراءة الأركولوجية – الحفرية – للقرآن الكريم

يسعى الحداثيون العرب وعلى رأسهم محمد أركون إلى تقديم قراءة جديدة للتراث الإسلامي([1]) بكل مكوناته وذلك بالاعتماد على مجموعة من المناهج النقدية الغربية وخصوصا المنهجين

– الحفري والتفكيكي – هذان المنهجان اللذان اخترعهما ميشيل فوكو كأساس لقراءة التراث قراءة ناقدة .

ووجد الحداثيون العرب ضالتهم في هذه المناهج الغربية لإسقاطها على التراث الإسلامي كله لنقد بنيته التكوينية وآلياته المعيارية من خلال إخضاعه للنموذجية الغربية في النقد والدراسة .

ومن ينظر إلى مؤلفات محمد أركون بدءا برسالته الجامعية عن (مسكويه فيلسوفا ومؤرخا ١٩٧٠) ثم (قراءات في القرآن ١٩٧٣) و(محاولات في الفكر الإسلامي ١٩٧٣) و (الأنسية العربية في القرن الرابع الهجري ١٩٨٢) و (نقد العقل الإسلامي ١٩٨٤) و (الإسلام والأخلاق والسياسة ١٩٨٧) وغيرها من البحوث والدراسات والندوات ، يجد أنها تدور حول هذا المحور : التعامل مع التراث ، ونقد بنيته التكوينية ، وإخضاعه للنموذج الغربي في النقد .

وبيّن أن مشروعه يقوم على : إعادة كتابة جديدة لكل تاريخ الفكر الإسلامي والفكر العربي .[2]

والمقصد الرئيس لمشروع أركون هو : تتبع المساحات الخفية التي ظلت بعيدة عن مجال النقد والتفكير ، وكل ما يدخل ضمن دائرة ما يسميه (اللامفكر فيه) أي المستحيل التفكير فيه ، ولعل هذا هو المحور الأساسي الذي يدور عليه المشروع الأركوني في جملته .[3]

---

[1] - الحداثيون العرب يعتبرون القرآن الكريم جزءاً من التراث الإسلامي وهذا خطأ فادح إذ التراث شيء والقرآن شيء آخر وقد عالجت هذا الإشكال في هذا المبحث .

[2] - انظر : محمد اركون ، الإسلام والأخلاق والسياسة ، ترجمة هاشم صالح ، دار الساقي ، ص ٢٥

[3] - انظر : محمد بوراس ، محمد أركون ومشروعه النقدي ، مجلة البيان ، العدد ١٧٩ ، أكتوبر سنة ٢٠٠٢ ، العدد ١٧

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ويؤكد أركون ذلك بقوله : (ينبغي للتراث الكلي أن يتعرض لتفحص أركولوجي صبور وعميق ، من أجل العثور على أجزائه المجهضة والمستبعدة والمحتقرة ، وإعادة كتابة تاريخها أو تركيبها إذا أمكن ، وليس فقط من أجل التركيز على صيغته الثابتة ، أو اتجاهاتها الراسخة المرتبطة إلى حد كبير بالدولة الرسمية والدين الرسمي) .[1]

وأركون يريد أن يصل من خلال قراءته الحفرية للنص والتراث الإسلامي كله إلى دائرة الممنوع التفكير فيه ، والى دائرة الأسئلة التي قد طرحت — على حد زعمه — في المرحلة الأولى للإسلام ثم سكرت وأغلقت عليها . ([2])

ولو تساءلنا عن ماهية التراث الذي يريد الحداثيون العرب ممارسة آلتهم النقدية الأركولوجية عليه ، كان الجواب بأنه : مجموعة متراكمة ومتلاحقة من العصور والحقب الزمانية ، ان هذه القرون المتطاولة متراتبة بعضها فوق البعض الآخر كطبقات الأرض الجيولوجية أو الأركولوجية وللتوصل إلى الطبقات العميقة ،أي القرون التأسيسية الأولى لا بد من اختراق الطبقات السطحية الأولى والوسطى .

ويبدو أن استعارتهم لمفهوم الحفر الأركولوجي هو الذي بلور هذه الصفة الجيولوجية للتراث ، ليعطوا إحساسا بالجمود والسكونية يسريان في تلافيف الطبقات المكونة له ، ولعل هذه الصورة تبدو أكثر وضوحا عندما نتعرف على التركيبة الداخلية لهذه الطبقات أي العناصر الثاوية تحت مسمى التراث. ([3])

ومفهوم أركون للتراث عام وشامل — وهذا ما نخالفه فيه — فيقول : هذه الفصول المكتوبة من قبل باحثين متخصصين ليست إلا عبارة عن وصف للمعارف المتراكمة المتعلقة بكل موضوع أتى به التراث كالشعر الجاهلي والنثر العربي البدائي والرسالة النبوية والقرآن والحديث والسيرة والشعر الأموي ، والتأثيرات اليونانية والفارسية على الأدب العربي . ([4])

---

[1] - المرجع السابق ،ص ٢٥

[2] - انظر : محمد اركون ، الفكر الإسلامي قراءة علمية ، ص ٣١

[3] - مجلة البيان ،العدد ١٧٩ ، محمد اركون ومشروعه الفكري ، ص ٣

[4] - المرجع السابق ، ص ٢٢

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إذن فالتراث حسب مفهوم أركون : بنية تراكمية تشكلت عبر أجيال متلاحقة ، وتتكون من مزيج من المعارف المتداخلة ، بطريقة لا يفصل فيها بين الإلهي والبشري ، فهو يريد التعامل مع التراث — ككل متكامل — بطريقة النقد الحفري الأركولوجي .

ويخضع محمد أركون — القرآن الكريم — صراحة لمنهجه الأركولوجي النقدي إذ يعتبره جزءا من التراث الذي يجب أن يقرأ قراءة ناقدة ، وإعادة كتابة تاريخه وفق محددات المشروع الذي يتبناه ، بمعنى أن القرآن ليس أكثر من نص تشكل تاريخيا كغيره من النصوص ، ويجب إخضاعه للنقد الأركولوجي والقراءة الحفرية عن طريق توظيف كل المناهج الممكنة من أجل (فرض قراءة

تاريخية عليه).([1]) وتجده أحيانا يواري في كلامه ، ليوصل فكرته دون إثارة زوابع فيقول : إن الدراسة العلمية للمقدس لا تعني الانتقاص منه أو المس به ، وإنما تعني فهما أفضل لكل تجلياته وتحولاته ، وتحذيرا لبعض الفئات أو الأشخاص من التلاعب به لمصالح شخصية أو سلطوية ([2])

ثم يناقض نفسه بعد قليل قائلا ومشككا في قداسة القرآن فيقول : (ويمكنني أن اقول بأن المقدس الذي نعيش عليه أو معه اليوم لا علاقة له بالمقدس الذي كان للعرب في الكعبة قبل الاسلام ، ولا حتى بالمقدس الذي كان سائدا أيام النبي) .([3])

وبنفس الأسلوب يقول عبدالهادي عبدالرحمن : (إن الكتب التراثية في بلادنا كثيرة ، هائلة العدد ، لكننا لا نزال نراها تدور في الدائرة المغلقة ، دون أن تقدم أسئلة جديدة أو إجابات جديدة ، ومعظمها يحمل طابع التصديق المطلق للنصوص، دون أن تحمل روحا نقدية حقيقية ، وينبغي أن نقول بأن هذه المنهجية العميقة الراسخة منذ زمن طويل في أوروبا لم تترسخ أقدامها فعليا حتى الآن في مجال الدراسات الإسلامية ، وفي مجال قراءة النصوص وتحقيق التراث) .([4])

---

[1] - محمد اركون ، الفكر الإسلامي قراءة علمية ، ص ٥١

[2] - مجلة البيان ، محمد اركون ومشروعه النقدي ، محمد بوراس ص ٧

[3] - نفس المرجع السابق

[4] - عبدالهادي عبدالرحمن ، سلطة النص ص ١٥

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويتهم نصر حامد أبو زيد العلماء المسلمين بأنهم ضد النقد العلمي البناء فيقول :(النقد بمعناه العلمي هو العدو الذي يريد الخطاب الديني أن يغتاله) .([1])

وحنفي يحكم العقل في النقل فيقول : الحجج النقلية كلها ظنية حتى لو تضافرت وأجمعت على شيء أنه حق لم يثبت أنه كذلك إلا بالعقل . ([2])

ويؤكد على أن وظيفة التراث هي التجديد والتحرر من السلطة بكل أنواعها :-

سلطة الماضي وسلطة الموروث فلا سلطات إلا للعقل ولا سلطة إلا لضرورة الواقع الذي نعيش فيه . ([3])

هذه نماذج وعينات من أقوال الحداثيين العرب المعبرة عن فكرهم ومنهجهم النقدي — الحفري — الذي يريدون تطبيقه على القرآن الكريم .

وهو منهج تشكيكي يشكك في القرآن الكريم ، ومصدره ، وأحكامه ، وصلاحيته للتطبيق ..... وفي كل شيء .

انظر مثلا قول أركون : نحن نريد للقرآن المتوسل إليه من كل جهة والمقروء والمشروح من قبل الفاعلين الاجتماعيين — المسلمين — مهما يكن مستواهم الثقافي وكفاءتهم العقائدية ، أن يصبح موضوعا للتساؤلات النقدية المتعلقة بمكانته اللغوية والأنتروبولوجية . ([4])

الهدف المشترك للحداثيين هو ولوج دائرة ما يسمونه اللامفكر فيه داخل التراث ويقصدون بذلك القرآن الكريم . من خلال نزع القداسة عنه ، ونقده كأي نص آخر .

وهنا لا بد من طرح سؤالين مهمين لهما دور مهم في الرد على هذه المناهج النقدية التي يسعى الحداثيون العرب إلى تطبيقها على القرآن الكريم .

السؤال الأول : ما هو الأساس العلمي المنطقي الذي دفع الحداثيين العرب الى اعتماد هذه المناهج النقدية وتطبيقها على كتاب الله عز وجل ؟

---

[1] - نصر حامد أبو زيد ، الإمام الشافعي وتأسيس الأيدولوجية الوسطية ص ٦

[2] - حسن حنفي ، من العقيدة إلى الثورة ، دار التنوير للنشر ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ط١ ، ١ / ٣٦٨

[3] - حسن حنفي ، التراث والتجديد ، دار التنوير للنشر ، بيروت ، سنة ١٩٨٨ ، ط١ ، ص ٤٥

[4] - محمد اركون ، الفكر الإسلامي قراءة علمية ، ص ٢٤٦ ، مركز الإنماء القومي ، بيروت ، سنة ١٩٩٦

© Arabic Digital Library Yarmouk University

أما السؤال الثاني فلا يقل أهمية عن الأول وهو : تحديد مفهوم التراث ، ومعرفة المقدس فيه ، وهل يمكن اعتبار الدين تراثا .؟

إذا استطعنا الإجابة على هذين التساؤلين المهمين ، فإننا بذلك سنقف عند مفهوم منطقي وعلمي للتراث والدين ، وسننطلق من منهجية علمية في الرد على الحداثيين العرب في محاولاتهم تطبيق هذه المناهج النقدية الغربية على ديننا وكتاب ربنا عز وجل — القرآن الكريم — .

ونبدأ بالتساؤل الأول : هل نحن ملزمون باستيراد هذه المناهج ؟ وهل نتائجها حقيقية ؟

مشكلة الحداثيين العرب تكمن في أنهم ينطلقون في فكرهم وتوجهاتهم ودراساتهم وكأنهم متخصصون في كل العلوم ، وخاصة علوم الشريعة ، وأن غيرهم يعيش في جهل مطبق ، ومن يطالع كتبهم ودراستهم يخرج بنتيجة مفادها أنهم يمتازون بما يلي :

١- إصدار الأحكام المتسرعة والإطلاقية عند تناول المجتمع المسلم بتراثه ودينه وأحكامه وقضاياه.

فهم في دراستهم لتاريخ الأمة وتراثها يخرجون بنتائج قاتمة ، وكأن الأمة وتاريخها وتراثها — في نظرهم — عبارة عن ركام من الأخطاء والعجز والتخلف ، ويعطونها صفة العموم والإطلاق لكل الحقب التاريخية لهذه الأمة ، ويصورون تراث الأمة على أنه ركام من التراكمات والأخطاء والممارسات الهمجية اللاحضارية .

هذا التعميم — غير المنطقي — يدلل على منهجية عبثية ، تقرأ التاريخ والأحداث بمنظار الطعن والشك ، إذ لم نجد منهم من يذكر صفة ايجابية في تاريخ هذه الأمة أو في ثوابتها العقدية .

وهذا يوضح هدف هذه الدراسات الحداثية — في معظمها — وهو طمس الإسلام الحقيقي الذي يدين به المسلمون جميعا ، والنظر إليه على أنه دين قديم رجعي ، عفى عليه الزمن ، وطواه التاريخ ، ولا بد من ابتكار إسلام عصري جديد لا يمت إلى الإسلام الحقيقي بصلة

٢- القياس الخاطئ :

يرتكب الحداثيون العرب مغالطة كبيرة تكمن في قياسهم مجتمعاتنا على مجتمعات الغرب ، واتخاذ الغرب نموذجا للحضارة والتقدم والحداثة ، ويطلقون على كل ما هو غربي صفة

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المثالية والقدوة ، ويقدمونه على أنه يمثل أرقى ما توصلت إليه البشرية ، وأنه قادر على إسعاد البشرية ، والوصول بها إلى أعلى درجات التقدم والرقي .

ويتجاهل الحداثيون العرب الخصوصية الحضارية لهذه الأمة ، والسياق التاريخي الذي قاد إلى ما وصل إليه الغرب من تقدم مادي ، هذا السياق الذي امتد لقرون طويلة ، بدأ بانتقال أوروبا من المجتمع الزراعي الإقطاعي البدائي إلى المجتمع الصناعي الرأسمالي ، مرورا بالنهضة الثقافية وحركة الإصلاح الديني ضد الكنيسة وممارساتها ، وحجرها على العلم والعقل .

فهم يتجاهلون كل هذه الحيثيات ويريدون تعميم التجربة الغربية على أنها أرقى ما توصلت إليه البشرية .

ويتجاهل الحداثيون العرب الجانب الآخر للفكر الغربي ، ذلك الجانب القائم على الاستعمار والعنصرية، ونهب خيرات الأمم والشعوب، وإبادة شعوب بأكملها، كل هذه السلبيات لا وجود لها في قاموس الحداثة العربية .

فهم يتنكرون لايجابيات امتهم من جهة ، ويركزون على سلبياتها وهفواتها، ويعظمون الحياة الغربية، ويغضون الطرف عن سلبياتها وقهرها للأمم والشعوب من جهة أخرى ، ازدواجية في المعايير تدل على الانطلاق من أحكام مسبقة ، وأفكار جاهزة تحكم أطروحاتهم ودراساتهم .

٣- يفتقر الخطاب الحداثي العربي إلى لغة الحوار ، والاعتراف بالآخر ، فهو خطاب يحمل صفة الإقصاء، وعدم الرضى عن الآخر .

فالتهم جاهزة لكل فكر مخالف، ومصطلحاتهم كثيرة : كالظلاميين والرجعيين والدوغمائيين والأصوليين .... الخ فكل مرجعية إسلامية يجب أن تواجه بحرب لا هوادة فيها ولا رحمة، مما دفع إلى سجالات عنيفة بين الطرفين -- بدأها الحداثيون العرب -- ملأت صفحات الكتب والمجلات والصحف .

والسبب في ذلك -- حسب رأيي -- أن الحداثيين العرب -- أو أكثرهم -- ينطلق إما من فكر ماركسي أو علماني -- هذه المبادئ التي تعتبر مرجعيات فكرية لهم تحكم آراءهم وفكرهم، وتعتبر نقطة ارتكاز ومرجع لكل ما يصدر عنهم من فكر أو راي أو حوار .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وان أي مسلم لديه قدر بسيط من الإلمام بدينه ومصادره، يجد أن ما يطرحه الحداثيون العرب لا يمت إلى الإسلام بصلة وما هو إلا تخرصات من وحي الفلسفة الغربية وتقلباتها ، فمرة يتحدثون عن الحداثة، وتارة عما بعد الحداثة، وأخرى عن البنيوية وبعدها عن التفكيكية، وعن الحفرية، فهم في كل يوم يخرجون علينا بنظرية جديدة ومنهج مبتكر في التعامل مع النصوص ونقدها .

ولعل الحداثيين العرب يسعون إلى ما يسمى بالدمج والذوبان الحضاري، فهم يريدون لهذه الأمة أن تذوب في الأمم الأخرى، وان تتخلى عن هويتها وخصوصيتها الحضارية . ويجب عليهم أن يدركوا أن الظروف والملابسات التي دفعت الفلاسفة والمفكرين في الغرب إلى التعامل مع هذه المناهج النقدية لنصوصهم وكتبهم المقدسة، هي ظروف موضوعية ، وتحمل صفة الخصوصية الحضارية لارتباطها بطبيعة كتبهم المقدسة وما رافقها من تحريف وتبديل وتفسير مصادم للعقل والفطرة .

وان محاولة تعميم هذه التجربة على تراثنا ومقدسنا هي محاولة متعسفة ، وغير منطقية، بسبب الفروق الكثيرة بيننا وبينهم .

أما التساؤل الثاني الذي طرحناه فهو : هل من فرق بين الدين والتراث ؟ وهل يجوز اعتبار الدين تراثا ؟ وما هو المقدس ؟ وما حدود وضوابط قداسته ؟

يصف الحداثيون العرب الدين بكل مكوناته بالتراث !! ويأتي وصفهم للتراث وكأنه سلعة أكل عليها الدهر وشرب ، وأنه شيء قديم بال جاءنا من غياهب الزمن ليحكم واقعنا وحياتنا ، لذا لا بد من غربلته وممارسة الانتقائية فيه ، وإزالة أو تحديث الجانب المصادم للحداثة والعصرنة فيه، لذا أعطوا لأنفسهم حق التعاطي مع الموروث بروح النقد والقبول والرفض، وإخضاعه للتفكيك والحفر وكل مناهج النقد الحديثة .

إن إطلاق مصطلح التراث على الدين كوصف وتسمية مغالطة كبيرة ، وهذا يدفعنا إلى حل هذه الإشكالية بمعرفة حقيقة التراث لغة ومفهوما :-

التراث لغة ومدلولا جاء من مادة (وَرَثَ) يرث المرء ورثا وارثا وارثه ورثة وتراثا أي انتقل إليه مال فلان بعد وفاته ، وتوارث القوم أي ورث بعضهم بعضا ، قال الراغب : الوراثة والإرث انتقال قنيته إليك من غيرك ، ومن غير عقد ولا ما يجري مجرى العقد ،

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وسمي بذلك المنتقل عن الميت فيقال للقنية الموروثة ميراث وارث وتراث أصله وارث فقلبت الواو ألفا وتاء ...

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴾ الفجر: ١٩. ([1])

والإرث قد يكون ماديا وقد يكون معنويا .

وعرفه العادلي : بأنه ما صنعه وأبدعه وتركه الآباء والأجداد ليتلقاه الأحفاد عقب حركة الزمن ، فهو كم وكيف أنجزته وخلفته الأجيال الغابرة، لترثه وتتوارثه الأجيال اللاحقة في مختلف شؤون الإنتاج الإنساني وألوانه وحقوله ومستوياته ، فقد ترث علما أو فنا أو أدبا كما ترث مالا أو عمرانا ... الخ .([2])

مما سبق نستنتج أن التراث إنساني من حيث تكونه ومراحله، فهو إبداعات الأجيال المتعاقبة في شتى صنوف الحياة تتمثل في تفاعل البشر مع الحياة ، ومما يؤكد بشرية التراث أنه لا يكون إلا مضافا ومنتسبا لشخص أو امة فنقول ارث فلان أو ارث أمة أو حضارتها ، ويرتبط كذلك بزمن محدد فنقول إبداعات القرن الرابع الهجري أو القرن العشرين الميلادي .... وهكذا .

أما الدين : فهو من حيث اللغة : الطاعة والجزاء، أما من حيث الاصطلاح فهو

(سنة حياة تتشكل من منظومة متكاملة من الحقائق والمعارف والقيم والأحكام والتشريعات الإلهية) .([3])

وعرفه التهانوي بأنه :(وضع الهي سائق لذوي العقول باختيارهم إياه إلى الصلاح في الحال والفلاح في المآل) .([4])

---

[1] - محمد بن مكرم ابن منظور ، لسان العرب ، مادة ورث ، دار صادر ، بيروت ، ط١ ، وانظر : مفردات غريب القرآن ، أبوالقاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني مادة ورثة ، ط١ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، سنة ١٩٩٢

[2] - حسين درويش العادلي ، حرب المصطلحات ، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط١ ، سنة ٢٠٠٣ ، ص ٢٢

[3] - نفس المرجع السابق ، ص ٣٤

[4] - التهانوي ، محمد بن علي ، كشاف اصطلاحات الفنون ، المكتبة الإسلامية ، بيروت ، سنة ١٩٩٦

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وعرّف بأنه : (وضع الهي يرشد إلى الحق في الاعتقادات والى الخير في السلوك والمعاملات) .([1])

من هذه التعريفات نتبين أن الدين يطلق ويراد به الدين السماوي ليس غير .

فالدين الحق الهي المصدر، مأخوذ من الوحي عبر قناة النبوة قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ الشورى: ٥٢ فكل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم إنما هو من عند الله عز وجل قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾النجم: ٣ - ٤ إذن فالدين الهي المصدر ، وليس نتاجا بشريا ، بل هو حقيقة إلهية خارجة عن إطار العقل الإنساني من حيث الإنشاء والإبداع والتكوين، وما دور الإنسان تجاه الدين إلا دور التسليم والتوظيف والتطبيق لتستقيم حياته وفق تعاليمه وأوامره .

بخلاف دوره تجاه التراث ، إذ يوصف بالتكوين والإنشاء، وذلك من خلال تفاعله معه ، وصنعه لأحداثه ومفرداته، لذا يمكن وصف مرحلة من مراحل التراث — لأي أمة — بالانحطاط أو الرقي بناء على حجم التفاعل سلبا أو إيجابا وهذا ما لا يمكن أن يوصف به الدين لأنه ثابت كامل ، فلا تتبدل أحكامه ، ولا تتحول حقائقه ولا تتغير غاياته ومقاصده مطلق في أحكامه ، كيف لا وهو من عند الله العليم الخبير .

يقول العادلي مؤكدا هذا الفرق بين الدين والتراث : (لا مكان لاعتبار الدين تراثا كونه منجز انجازا كاملا ، والصيرورة من خصائص الوجود المتحول الناقص في ذاته واستقراره النوعي ، وهو ما لا يصدق على الدين ، وهناك تغاير بين الخصائص البنيوية لكل من التراث والدين أهمها بالنسبة للدين :

١- الهي الانتساب : نشوءا وتكوينا ونظاما منهجيا وغاية قيمية عائدة للدين وينتج عن القول بإلهية الدين :

---

[1] - الشريف الجرجاني ، التعريفات ، مكتبة لبنان ، سنة ١٩٨٥

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- حفظه من التحريف والعبث والتغيير البشري بخلاف التراث الذي هو نتاج إنساني حيث لا سبيل لصيانته فهو ممتنع ذاتا وموضوعا عن الصيانة الكاملة كأثر ومادة على الساحة الإنسانية التاريخية .

- صيانته من أي احتكار فردي أو فئوي أو قومي وتأكيد إنسانيته العامة دونما فصل أو تمييز، وهذا يحول دون توظيفه المصالحي أو الانتهازي، واحتكار هديه وعطائه في حركة الحياة من قبل أي جهة .

- صلاحه للانتفاع الإنساني العام والدائم مهما تنوعت المناخات الإنسانية باعتبار أن مصدره الخالق العالم بمصالح عباده اللطيف الخبير بهم، بخلاف التراث الذي هو جهد بشري إنساني عام فاقد الجاهزية والتوظيف المنهجي كونه يتشكل من آثار شتى تفتقر الانتظام المعرفي والرسالة المحددة والمنهجية البناءة . ([1])

اذن فالدين — كونه الهي المصدر — منزه عن كل نقص ، سالم من كل عيب لأن قدسيته مستمدة من مصدره ، وهي صفة ملازمة له ، لا تنفك عنه إطلاقا ، بخلاف التراث إذ أن بشريته واضحة ، ولا قداسة فيه لأنه تفاعل بشري يتصف — كما مر — بالرقي والانحطاط لذا فالدين بثباته وقداسته ومصدريته ممتنع عن النقد والتقويم البشري ، لأن النقد والتقويم والتعديل لا يكون إلا للبشري الناقص .

---

[1] - حسين العادلي ، حرب المصطلحات ، ص ٤٨ وما بعدها بتصرف

© Arabic Digital Library Yarmouk University

المبحث الرابع : اخضاع النص القرآني للمنهج الغربي في النقد

– عقلنة النص القرآني –

يعتبر العقل مدخلا رئيسا في طعون الحداثيين العرب، وكتبهم ومساجلاتهم، فهم يدعون الى تعظيمه، وضرورة الاحتكام اليه في كل أمر ، وتقديمه على أي نص ديني .

والحداثيون في حديثهم عن العقل العربي يقصدون الاسلام، لكنهم يتحاشون ذكره خشية الصدام المباشر مع الاسلام وأهله .

وينظرون الى الاسلام وأحكامه على أنه مانع للعقل من الانطلاق في ركب الحضارة واللحاق بالأمم المتقدمة ،يعتبرون الدين عدوا للعقل والعلم !!

وجاءت هذه الفكرة من الغرب بعد أن شغلت قضية العقل الفلسفة الغربية لقرون عديدة مما أدى الى التطرف في تأكيد مكانة العقل، وتعظيم سلطته في المجتمع البشري وأعلت من قيمته في مواجهة الايمان والسلطة الدينية عندهم ، مما أدى الى قطيعة تامة مع الدين، وأصبحت كل طرق المعرفة مرتبطة بالعقل، وطالب المفكرون الغربيون تأسيس العلم والأخلاق على العقل وحده وليس على الدين .

واستورد الحداثيون العرب هذه الأفكار ، وبشّروا ابتداء بالعلمانية، ونادوا بفصل الدين عن الدولة ، وبجعل الدين شأنا فرديا خاصا .

ثم تطور الأمر بعدم الايمان بالغيبيات ، حتى أن أحدهم ألف كتابا سماه : خرافة الميتافيزيقيا – الغيب – ، وانتقل الأمر الى الحداثة، والتي من أبرز سماتها القطيعة المعرفية مع الماضي، وتعظيم شأن العقل ، والدعوة الى عقلنة الخطاب الديني ، فألفت كتب كثيرة ، وكلها تفترض وجود قطيعة بين الدين والعقل .

وكلها كتب وسجالات تتجاوز المسلمات الدينية ، وتدعو الى عقلنة المجتمع فكريا واجتماعيا وسلوكيا ، واعتماد البرهان في اثبات الحقائق الدينية والاخلاقية ، تحت مسمى عقلنة الخطاب الديني ، وتأثر قسم كبير من الحداثيين العرب بالمذاهب المادية وخاصة الماركسية، ورأوا أن الدين الاسلامي عقبة أمام مشاريعهم الفكرية في المجتمعات الاسلامية، حيث عجزوا عن محو آثاره في النفوس ، وأدركوا أن الاسلام متأصل في نفوسهم ، فعمدوا الى مشروع يلتقي في بعض جوانبه (شكليا) مع الاسلام كالدعوة الى

© Arabic Digital Library Yarmouk University

العدالة والمساواة ، فأعلنوا أن الاسلام لا يتعارض مع الماركسية ، ثم ظهر مصطلح اليسار الاسلامي ، وبدأ هذا التيار يتوغل في دراسة كتب التراث ليبحث فيه عن اي معنى يتفق مع الماركسية ، وركزوا في دراستهم على أمور اجتماعية عامة ، وعلى بعض الحركات الباطنية المشبوهة ، والمتهمة بالزندقة ، واعتبروها حركات ثورية تسعى الى العدالة الاجتماعية .

وفسروا النصوص الدينية تفسيرا ماديا عقليا ، وبما يتفق مع توجهاتهم المادية والفلسفية لعقلنة الخطاب الديني ، أو تجديده ليصبح أكثر ملاءمة لواقع العصر .

ومارس الحداثيون العرب ما يمكن تسميته بالنفاق الفكري فبدلا من ان يكشفوا عن وجوههم الحقيقة، ويعلنوا القطيعة مع الاسلام كدين رباني شامل، راحوا يتمسحون بالاسلام محاولين البحث في داخله عما يوافق مشروعهم الفكري ، وذلك عن طريق العبث في النصوص، ومحاولة تفسيرها تفسيرا ماديا لا يمت الى العلمية والموضوعية بصلة، وهذا العبث كله تحت مسمى العقلنة والنقد العلمي .

وكان هذا في البداية، أما الآن وبعد ان كشف أكثرهم عن الوجه الحقيقي لطبيعة توجهاتهم الفكرية، وجدنا أن كتبهم ومقالاتهم تدعو صراحة الى نبذ الفكر الديني ، فهذا الفريق لا يؤمن الا بالعقل وبما تقع عليه الحواس ، وما يخضع للتجربة ويقنع العقل المادي .

وسنتناول نماذج معبرة من هذه الأقوال التي تعكس المنطلق الفكري لأصحابها :

نبدأ أولا بشاكر النابلسي الذي أبى الا ان يطبق عقلانيته وماديته على كلام الله عز وجل – القرآن الكريم – فيقول : (فالقرآن الكريم هو أهم مصدر تاريخي وعظي عجائبي أخلاقي لنا ولغيرنا من المؤرخين، ومن الباحثين، لكن من الصعب أن يكون – أي القرآن الكريم – مصدرا تاريخيا علميا لسبب بسيط جدا وهو أن الأخبار التي وردت فيه عن الماضي وعن حاضر القرآن غير موثقة بتواريخ محددة أو بمصادر تاريخية أخرى موثوقة تسندها، وتاريخ مجيء معظم آيات القرآن غير موثق تاريخيا باليوم والشهر والسنة والمكان .....وفي القرآن الكريم آراء متضاربة حول كثير من المواقف والأحداث والأديان الأخرى وعلى رأسها اليهودية) . ([1])

[1] - النابلسي ،شاكر ، المال والهلال ، دار الساقي ، بيروت ، ط١ ، سنة ٢٠٠٢ ، ص ٩ – ١٠

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويحكم النابلسي على الكثير من العبادات في الاسلام بطريقة عقلانية أكثر ما يمكن ان توصف به أنها عقلانية عبثية فيقول :(ربما يقرأ بعض القراء حادثة قرار الرسول التوجه الى بيت المقدس في صلاته ودعائه كقبلة يرضاها طيلة خمس عشرة سنة من بدء البعثة قراءة عابرة، من دون أن يخطر بباله أن الرسول منذ البداية قرر ان يطعن قريشا في خاصرتها التجارية الموجعة ، وأن مكان هذا الطعن هو الذي سيؤدي بقريش في النهاية الى الخضوع والاستسلام له، وهذا ما حصل وتم بالفعل فيما بعد ، فقرار الرسول ان يكون بيت المقدس قبلة المسلمين طوال هذه الفترة يعني أن تتحول أماكن العبادة من مكة الى بيت المقدس ، و تتحول معها بالتالي المواسم الدينية والتجارية التي تستمر أربعة أشهر (من بداية ذي القعدة وحتى نهاية رجب) وما تدرها من دخل كبير الى بيت المقدس وينصرف العرب عن مكة وينصرف معهم باقي المسلمين من غير العرب عن مكة ويتوجهون الى بيت المقدس) .([1])

وفات النابلسي أن التوجه الى بيت المقدس في الصلاة لا يعني أن تتحول مواسم الحج والعمرة اليها ، فموسم الحج والعمرة بقيا في مكة ولا علاقة لهما بتحويل القبلة .

وقال بأن تحريم الربا سببه ضرب اليهود اقتصاديا ، وطردهم من المدينة كان لأسباب اقتصادية . ([2])

أما صادق جلال العظم فينيء بانهيار الفكر الديني كله فيقول : (يبدو أن الموقف الديني القديم الممتلىء بالطمأنينة والتفاؤل في طريقه الى انهيار تام، لأننا نمر في طور تغيرات مهمة ، وبانقلاب علمي وثقافي شامل ، وبتحول صناعي واشتراكي جذري ... ولقد ولّى بالنسبة لنا الموقف الجازم الايجابي نحو الدين ومشكلاته) .([3])

ويؤكد العظم على التضاد والتصادم بين العلم والدين فيقول : (يوجد رأي سائد وشائع يزعم أن النزاع بين العلم والدين نزاع ظاهري فحسب، وأن الخلاف بين المعرفة العلمية والعقائد الدينية ليس الا خلافا سطحيا ، ويزعم دعاة هذا الرأي ايضا ان روح الاسلام لا

---

[1] - المرجع السابق ، ص ٤٥ ، ٤٦

[2] - المرجع السابق ، ص ٥٥

[3] - العظم ، صادق جلال ، نقد الخطاب الديني ، ص ١٤

© Arabic Digital Library Yarmouk University

يمكن ان تدخل في نزاع مع العلم ،وأن الاختلاف المشار اليه هو بين العلم والقشور الخارجية التي تراكمت حول روحه، وحجبتها عن الأنظار) .([1])

ويضيف ... أريد أن أسترسل قليلا في تمحيص هذا الرأي ونقده، وفي شرح وجهة النظرالتي ترى العكس ، أي ترى أن الدين كما يدخل في صميم حياتنا ، وكما يؤثر في تكويننا الفكري والنفسي يتعارض مع العلم ومع المعرفة العلمية قلباً وقالب، روحا ونصا . ([2])

ويشكك العظم في بداية الخلق .([3])ويرفض المحاولات التوفيقية بين مقولات الدين الغيبية وحقائق العصر العلمية ، ويتساءل : هل يفترض في المسلم في هذا العصر أن يعتقد بوجود كائنات مثل الجن والملائكة وابليس وهاروت وماروت ويأجوج ومأجوج وجودا حقيقيا (غير مرئي احيانا) باعتبارها مذكورة كلها في القرآن ، أم يحق له ان يعتبرها كائنات أسطورية مثلها مثل آلهة اليونان وعروس البحر . ([4])

مشكلة دعاة العقلنة والحداثة أنهم يضعون الاسلام في دائرة الثبات والجمود والتخلف والماضي بينما مفاهيم العقلنة في صف التجديد والتقدم .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل تعداه الى رفض كل ما هو قديم ، واعمال العقل حتى في القطعيات واعمال معول الهدم في كل شي، فها هو حسن حنفي يرفض مسلمات الايمان ان لم تخضع للعقل والبرهان فيقول : (ان التعبير عن مضمون الايمان كاحدى المسلمات هو نقض للبرهان، وهدم للمستقبل، وضياع للعلم خاصة، ولو كان هذا المضمون هو المطلوب اثباته) ([5])

وبعد رفضه لمسلمات الايمان لأنها حسب رأيه لا تقوم على البرهان العقلي نجده وبجرأة

---

[1] - نفس المرجع والصفحة

[2] - المرجع السابق ص ١٥

[3] - المرجع السابق ص ١٨

[4] - المرجع السابق ٢٦

[5] - حنفي ،حسن ، من العقيدة الى الثورة ، مجلد المقدمات النظرية ، دار التنوير للطباعة والنشر ، ط١ ، سنة ١٩٨٨ ، ص ٧

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

نادرة يخلص الى نتيجة خطيرة هي قوله : وفرق بين الصلاة والعلم ، وبين الترانيم الدينية والتحليلات العقلية ، البحث العلمي ليس صلاة ، والنظر العقلي ليس دعاء ، وسلامة المنهج هو اليقين، ودقة التحليل هو السبيل الى الصواب . ([1])

والأعجب من ذلك أن حنفي يقدم قدرة الانسان وعقله على قدرة الله عز وجل فيقول : (وكما يستعين القدماء بالله فاننا نستعين بقدرة الانسان على الفهم والفعل ، واذا كانت أخطاء القدماء تتغير بالتوبة والاستغفار، فان أخطاءنا تتغير بالتعلم والاستفادة والمراجعة والنقد والعودة الى تأصيل جديد عقلي مصلحي لعلم الأصول — اصول الدين على اساس من اجتهاد العصر ، واذا كان القدماء يريدون ثوابا في الجنة ، أو انقاذا من النار، فاننا نريد صلاح الأمة بتحرير أراضيها ، واعادة توزيع ثرواتها بالعدل والمساواة واطلاق حرياتها في القول والعمل والاعتقاد ، انني لا اطلب ثوابا أخروياً ولا جزاء دنيوياً ، بل تأدية الرسالة ، فالرسالة تحتوي على جزائها في باطنها بتحقيقها) .[2]

وهنا نسأل حنفي : هل التجديد والنهوض بالأمة وتغيير وضعها لا يكون الا بالتعرض لمقدساتها والقفز فوق قيمها وثوابتها ؟ وهل من الموضوعية العلمية المساواة بين الله عز وجل والانسان ؟ والسخرية من مقدسات المسلمين كالايمان بالله والقضاء والقدر والعبادة ..... الخ .

ونموذج آخر من اقوال الحداثة العربية التي تدخل المنهج العقلي المادي — العقلنة — في أحكام الشرع، فيعترض أحدهم على الحجاب، ويصفه بأنه لم يكن تشريعا عاما للنساء بل كان في أصله للتمييز بين الحرة والجارية ، فالحجاب كان ضروريا للحرائر حتى يتميزن عن الجواري ، اذ الوضع الاجتماعي في ذلك الوقت يحتم على الجارية كشف رأسها لترغيب الناس في شرائها.([3])

ويعتبر قضية الحجاب في الاسلام قضية شكلية اجتماية لتكريس الطبقية ، ويؤكد أن

---

[1] - المرجع السابق ، ص ١٤

[2] - المصدر السابق ، ص ٣٤

[3] - فؤاد زكريا ، الصحوة الاسلامية في ميزان العقل ، دار التنوير ، بيروت ، ط١ سنة ١٩٨٥ ، ص ٢٤

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الحجاب في الاسلام وكذا ضوابط الاخلاق تعكس عقدا جنسية عند دعاته . ([1])

ولا نريد أن نسترسل في ذكر أقوال الحداثيين العرب وتعظيمهم للعقل على حساب النقل ، فهذه نماذج معبرة تؤكد الغاءهم للمقدس في دين هذه الأمة ، فالهدف هو تمييع الدين من خلال عقلنته هذه العقلنة العبثية التي تفتقر الى أبسط قواعد المنهجية العلمية والموضوعية .

وأريد بعد استعراض هذه الأقوال اللاعقلانية — العبثية — أن أبين أسس ومصادر المعرفة في الاسلام، ثم تحديد طبيعة العلاقة بين العقل والنقل في الاسلام ، لأن هذا يساعد في الرد على الحداثيين العرب، ويوجد مواءمة واضحة بين هذه الثنائيات التي يعتقد الحداثيون العرب التناقض والتضاد بينها، وأبدأ أولا ببيان مصادر المعرفة في الاسلام :

اكثر الحداثيين العرب ينطلق من فكر مادي لا يؤمن الا بالمحسوس والمشاهد، وهذه معضلة في حد ذاتها ، وقصور في مصدرية المعرفة لديهم .

فأصول المعرفة الاسلامية تتمحور في جوانب ثلاثة هي :

١- الوحي الالهي

٢- الحواس

٣- العقل

فالوحي الالهي هو المصدر الرئيس في المعرفة الاسلامية ، والحواس وتشمل السمع والبصر هي طريق نقل العلم والمعرفة ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ النحل: ٧٨ وثالث هذه المصادر : العقل وهو غريزة فطرية أودعها الله عز وجل في الانسان ، تقوم بوظيفتي التصور والتصديق، وهو مرتبط بالحواس يعضدها للوصول الى المعرفة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ الحج: ٤٦

[1] - المرجع السابق ، ص ٢٣

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فبهذه المصادر الثلاثة تتكامل المعرفة اليقينية في النظر الشرعي بين عالمي الغيب والشهادة ، فمعرفة عالم الشهادة تدرك بالحواس والعقل ، ومعرفة عالم الغيب تدرك بطريق الوحي ان كان غيبا محضا كالجنة والنار .

وتدرك بطريق العقل والوحي ان كان غيبا متعقلا كوجود الله عز وجل .

وجمع القرآن الكريم بين طرق المعرفة الثلاثة كما جمع بين مجالات المعرفة — الغيب والشهادة — قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۗ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ يوسف: ١٠٩

ونرد على الحداثيين العرب الذين يقولون ان الوحي قضية غيبية لا يمكن ادراكها بالطرق الحسية والمشاهدة بما قال د. عبدالله الدعجاني اذ يقول : (ان طرق اثبات الوحي ممكنة وسهلة بالطرق العقلية وذلك من ثلاثة أوجه :

الأول : دلالة أحوال النبي — صلى الله عليه وسلم — وصفاته، على ثبوت نبوته وأعظم صفاته الدالة على نبوته صدقه عليه الصلاة والسلام ، فاذا اثبت صدق النبي عن طريق التجربة لزم أن يكون صادقا في ادعائه الوحي، اذ يستحيل استحالة تجريبية أن يكون المرء صادقا في كل أحواله عظائمها وصغائرها ثم يكذب في أمر جلل كادعاء الوحي ، وهذا الدليل العقلي هو ما خاطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه لما نزل قوله تعالى

﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ الشعراء: ٢١٤

فقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فهتف : يا صباحاه فقالوا من هذا ؟ فاجتمعوا اليه فقال : أرأيتم لو أخبرتكم ان خيلا تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقي ؟ قالوا ما جربنا عليك كذبا ، قال : فأني نذير لكم بين يدي عذاب عظيم) [1].

الثاني : دلالة المعجزات على النبوة، اذ ان هناك تلازما ضروريا بين وقوع المعجزة لنبي وبين كونها دالة على صدقه في ادعائه الوحي ، فاذا ادعى النبي نزول الوحي عليه ثم

---

[1] ـ اخرجه الامام أحمد في مسنده ٣ / ٣٨٧

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

حصلت له معجزة خارقة للسنن الكونية ليست بمقدور البشر دل ذلك على تأييد الله له في ادعائه النبوة .

الثالث : تضمن الوحي لأدلة ثبوته وهي أدلة كثيرة أعظمها عجز المكذبين به أن يأتوا بمثله لما تحداهم القرآن بذلك ، وما زال التحدي قائما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ هود: ١٣ فاعجاز القرآن للبشر دليل على صدق النبي بما ادعاه من النبوة التي ليست في مقدور البشر) .([1])

ويبني الحداثيون العرب أفكارهم على وجود تعارض بين العقل والدين ، وأن الدين يقف حجر عثرة أمام العقل وانطلاقه .

وفي ذلك يقول ابن تيمية – رحمه الله – (الأدلة العقلية والسمعية متلازمة ، كل منها مستلزم صحة الآخر ، فالأدلة العقلية تستلزم صدق الرسل فيما أخبروا به ، والأدلة السمعية فيها بيان الأدلة العقلية التي بها يعرف الله، وتوحيده وصفاته وصدق أنبيائه ، ولكن من الناس من ظن أن السمعيات ليس فيها عقلي ، والعقليات لا تتضمن السمعي ، ثم افترقوا فمنهم من رجح السمعيات وطعن في العقليات ، ومنهم من عكس ، وكلا الطائفتين مقصر بحقائق الأدلة السمعية والعقلية) .([2])

فالاسلام يعترف بدور العقل كمصدر مهم من مصادر المعرفة يتعاضد مع المصادر الأخرى ولا يعارضها ، ففي قصة انكار المشركين للبعث نجد أن القرآن الكريم عالج الموضوع بطريقة عقلية ، بعد أن احتج الجاهليون على امكان البعث عقلا فقال تعالى ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ ﴾ فجاء الجواب : ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ يس / ٧٨ – ٧٩

---

[1] - الدعجاني ، عبدالله بن نافع ، جدلية العقل والدين بين الفكر الغربي والدين الاسلامي ، مجلة البيان ، العدد ٢٣٤ ، صفر ١٤٢٨ ، السنة ٢٢

[2] - تقي الدين احمد بن تيميه ، درء تعارض العقل والنقل ، ٨ / ٢٤ ، دار الكنوز الأدبية الرياض ط١ ، سنة ١٩٧٩

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لكن ماذا نقول اذا كان الكثير من الحداثيين العرب يؤمنون بالمادية الجدلية ، وبالتالي لا مكان عندهم للوحي، ويقصونه من كل أطروحاتهم ، وأقاموا مشروعهم — المستورد — على مفاهيم غربية اخذت من رواد المذهب الحسي من مثل (ديفيد هيوم) و (أوجست كونت) وغيرهم فهم لا يملكون مشروعا مستقلا، إنما هي أفكار مستوردة من هنا وهناك يقول عبدالعزيز حموده :(المصطلح النقدي الحداثي افراز للفلسفة الغربية الحديثة خلال ثلاثمائة عام من تطورها ، وعلى رغم ذلك فان الحداثة في قلب التربة الثقافية الغربية خلقت أعداءها ، والرافضين لها ، ولم يكن المصطلح النقدي الجديد أوفر حظا ، فهو يمثل أزمة متجددة لا تفقد قوة دفعها في لحظة من اللحظات فما بالنا بالنسخة العربية التي نقلت النسخة الأخيرة للفكر الغربي دون أن تكون له مقدماته المنطقية .([1])

ويرى عبد العزيز حموده أن الحداثي العربي يفتقر الى فلسفة خاصة به فهو يستعير المفاهيم النهائية لدى الآخرين ، ويقتبس من المدارس الفكرية الغربية ، ويحاول في جهد توفيقي بالدرجة الأولى تقديم نسخة عربية خاصة به ، لكنها كلها عمليات اقتباس ونقل وترقيع وتوثيق لا ترتبط بواقع ثقافي أصيل ، ومن هنا تجيء الصورة النهائية مليئة بالثقوب والتناقضات . ([2])

أما عن تحديد طبيعة العلاقة بين العقل والنقل، فهذا أمر مهم يحل اشكالا مهما بيننا وبين الحداثيين العرب لأن أكثرهم يؤمن بثنائية متضادة بين العقل والنقل ، والدين والعلم، والمادة والروح ، والدنيا والآخرة، وسبب ذلك منطلقهم الفكري الذي يهدف الى طمس الاسلام الحقيقي واستبداله باسلام على طريقتهم .

فقد توجه الحداثيون العرب في كتاباتهم الى ما يسمونه — العقل العربي — مطالبين بتجديده وتطويره ، وتحريره من أغلاله ، ويقصدون دائما — بالعقل العربي — الاسلام وتعاليمه ، فهدفهم وضع الاسلام بنصوصه وأحكامه تحت معول العقلنة العبثية لهدم أركانه، وتمييع مضمونه .

---

[1] - حمودة ، عبد العزيز ،المرايا المحدبة : من البنيوية الى التفكيك : سلسلة عالم المعرفة : الناشر المجلس الأعلى للثقافة والفنون ، الكويت ، سنة ١٩٩٨

[2] - المرجع السابق ، ص ٦٣ بتصرف

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

هذا العقل الحداثي يتصور وجود تناقض بين الاسلام بمصادره وأحكامه وبين العقل ، والحل عندهم تجاوز القرآن الكريم والسنة النبوية، واطلاق العنان للعقل تماما كما فعل الغربيون بنصوصهم ودينهم . أي أنهم يريدون الحكم على الاسلام ومصادره من خلال تجارب الآخرين المختلفة اختلافا جذريا من حيث الأسباب والنتائج ، وهذا حتما سيقود الى نتائج خاطئة .

ونقول للحداثيين العرب : ان للاسلام تصورا خاصا للكون والانسان والحياة ، فله خصوصية عقدية ومصدرية هي التي تشكل بنيانه، ولا يرى بوضوح الا من خلال هذا التصور .

أما أن يخضع الاسلام بفكره وثوابته ونظرته للحياة للفلسفة مادية مستوردة، فهذا اسقاط غير منطقي ، ولا يمت الى الموضوعية بصلة، ونحن نعتقد أن العقل والنقل متعاضدان ، كل منهما يكمل الآخر فعندما جاء الاسلام خاطب العقل البشري ودعاه الى التدبر في الكون، وحمل رسالة السماء ، فقرأ وتدبر ووعى أمر ورسالة السماء فأبدع حضارة سامية ، كانت محط اعجاب البشرية كلها .

يقول عبدالله الدعجاني : (فالتصور الاسلامي للكون قائم على ثنائية مترابطة مؤتلفة ، ألا وهي ثنائية الخالق والمخلوق ، والرب والمربوب ، والعابد والمعبود، من هذه الثنائيات العامة تتفرع ثنائيات متعددة كلها متسقة بعضها مع بعض، مثل ثنائية الروح والمادة ، والعلم والدين ، والعقل والنقل ، والغيب والشهادة ، والدنيا والآخرة

فالتصور الاسلامي ليس تصورا تحليليا صرفا، بحيث يفكك أجزاء الكون الى جزيئات مبعثرة لا ائتلاف بينها — كما يفعله العقل الغربي — بل ان التصور الاسلامي يجمع الى منهجه التحليلي منهجا تركيبيا يربط أجزاء الكون في وحدة تصورية متكاملة فيها من جمال التركيب والصورة ما يبهر العقول ويحيّرها .

في هذا السياق تأتي العلاقة التكاملية المترابطة بين العقل والدين الصحيح، اذ لا يمكن أن تكون تلك العلاقة علاقة تنافر وتناقض لأن مصدرها واحد وهو (الله) سبحانه ، فالعقل وما اكتسبه مخلوق لله ، والدين الصحيح وما شرعه من الله .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والعقل يمثل ارادة الله الكونية – في هذا الدين – والدين الصحيح يمثل ارادة الله الشرعية ، ويستحيل أن تتناقض الارادتان لأن مصدرهما واحد) . ([1])

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ الأعراف: ٥٤

ويقول ابن تيميه : (..... يستحيل ان يتعارض قطعي الدين بقطعي من العقل ، لكن ان قدّر أن يتعارض ظني من الدين بقطعي من العقل أو العكس، قدم القطعي سواء عقليا أو دينيا .

اما تقديم القطعي على الدين فمنهج باطل لأنه يتضمن القدح في العقل نفسه ، اذ أن العقل شاهد على صحة الدين ورفض المشهود له – وهو الدين – يستلزم القدح في صحة شهادة العقل وهذا قدح في العقل) .([2])

ويضيف الدعجاني : (ان الاسلام لا يجعل علاقة العقل بالدين موضع اشكال أصلا لأنهما في نظره متكاملان ومتسقان ومؤتلفان وذلك من وجهين :

الأول : أن تكليف الانسان بالايمان بأصول الدين – من وجهة نظر الاسلام – قائم على اعمال عقلي فمن لا عقل له لا تكليف عليه، بل ان قيام الحجة الدينية لا يكفي فيه مجرد بلوغها ، بل لا بد مع ذلك من فهم تلك الحجة – والفهم اعمال عقلي – لا سيما ممن عرضت له شبهة معتبرة تمنعه من اعتقاد ما هو مقتضى تلك الحجة ، والا كان معذورا في تأول مخالفة الحجة الدينية ، ولذلك جعل الله مشاقة الرسول – صلى الله عليه وسلم – ومخالفة سبيل المؤمنين بعد العلم بالحجة الدينية وتثبيتها قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ النساء: ١١٥

وهذا يبين أن الدين لم يقم على مجرد التسليم بلا براهين وفهم عقلي، بل ان مدار حجة أدلة الدين قائمة على بلوغها وفهمها واعمال العقل لادراكها ، فاذا كانت الغريزة العقلية والاعمال العقلي شرطا في التكليف الديني ، وبلوغ الحجة الدينية امتنع ان تنافي وتناقض

---

[1] – عبدالله الدعجاني ، مجلة البيان ، جدلية العقل والنقل ، العدد ٢٣٤

[2] – ابن تيمية ، درء تعارض العقل والنقل ، ١ / ٤٠

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الدين، لأن ما كان شرطا في الشيء امتنع أن يكون منافيا له .

الثاني : أن الدين او الوحي ملازم للدلائل والبراهين العقلية ومتضمن لها ، ولذلك كان الدليل والبرهان العقلي قسما من منظومة الأدلة الشرعية القائمة على الوحي الديني وليس قسيما له) .([1])

ويؤكد الدعجاني على الانسجام والتطابق بين العقل والدين، ويخلص الى نتيجتين هما :

الأولى : أن الصراع بين العقل والوحي صراع مفتعل لا حقيقة له، وأن كل تصور قام على فكرة هذا الصراع تصور قائم على وهم .

الثانية : أن الصدق الديني ليس قائما على الارغام والتسليم بلا برهان عقلي، بل هو قائم على وحدان باطني ، وأدلة وبراهين عقلية تفيد العلم واليقين، فمن خالف الوحي الديني فقد خالف الضرورة العقلية ولذلك يقول الله سبحانه عن أهل النار :قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ الملك: ١٠ . ([2])

ويؤكد محمد عماره على قضية مهمة وهي : (أن العقل والعقلانية في المنظور الاسلامي ليست جوهرا مستقلا ومناقضا لغيره من سبل النظر والتحصيل للمعارف وأدوات الادراك، فاذا كان المنهج العقلي والفكر ذو النزعة الغربية يتميز بالاستقلال والمقابلة والتضاد مع المناهج والنزعات الوجدانية والحدسية والنقلية، فليس كذلك الحال في منظور الرؤية الاسلامية لعلاقة العقل والعقلانية بمناهج النظر والادراك الأخرى .

فالعقل في مصطلح العربية ومفهوم الاسلام ليس عضوا، وانما هو فعل التعقل ، وبه وبالقلب والنهى واللب وبالنظر والتدبر والتفكر والفقه، كان التعبير القرآني ...

كذلك فان النقل — وهو الوحي — في المنظور الاسلامي ليس مقابلا للعقل والعقلانية ، بل هو ثمرة للعقلانية، فحجية النقل مترتبة على حجية الرسول الذي بلغه وحجية الرسول المبلغ مترتبة على الايمان بالله الذي ارسل الرسول بالوحي المنقول،

وسبيل هذا الايمان هو النظر العقلي في كتاب الكون المصنوع على نحو لا نهائي من

---

[1] - عبدالله الدعجاني ، مجلة البيان ، جدلية العقل والنقل ، العدد ٢٣٤

[2] - المرجع نفسه

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الابداع والاحكام في الصنعة والتقدير والرعاية والتدبير ، فكأنما كان هذا التصديق بهذا النقل -- كتاب الوحي -- هو ثمرة عقلية للنظر في كتاب الكون استدلالا بالمصنوع البديع على الصانع المبدع ، الأمر الذي جعل ويجعل التزامل حتما والاشتراك ضرورة بين (كتاب الوحي) و (كتاب الكون) وبين العقل كأداة للنظر فيهما معا) . ([1])

من هنا نجد ان كلام الحداثيين العرب ودعواهم بضرورة تحرير العقل المسلم، وعقلنة الخطاب الديني دعوى عبثية لا وزن لها في مقياس العلم والمنطق ، ان الغرور العقلاني والمادي الذي يدعي قدرته على الحكم على كل شيء هو موقف عبثي ، وان الذي لا يصدق بما هو أبعد مما تدركه حواسه وعقله المحدود، وينفي صفة العلمية والوجود عن كل ما لا تقع عليه حواسه، ولا يخضع للفحص والتجريب، ان مثل هذا يعيش خارج دائرة العلم، فلا يعقل ان يختزل الحقيقة كلها في عقله وحواسه .

ان قضية الخلاف بين الدين والعقل قضية غربية خالصة تخص الأوروبيين وحدهم ، فقد وجدوا في كتبهم المحرفة أمورا تناقض العقل والعلم والمنطق، اذ حجرت الكنيسة على العقول ومنعتها من مجرد التفكير وصادرت نتاج العقل، وضيقت على العلماء وقتلت بعضهم،وأن تنقل هذه القضية الى بلادنا، وتسقط أحكامها على ديننا، فهذا يتناقض مع الموضوعية، وها قد وجدنا تكاملية متطابقة بين الدين والعقل فكل منهما ضروري ومكمل للآخر .

---

[1] - عماره ، محمد ، أزمة الفكر الاسلامي الحديث ، دار الفكر ، بيروت ، سنة ١٩٩٨ ، ط١ ، ص ٢٠ — ٢٢

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الرابع

الحداثيون العرب وموقفهم من قداسة النص القرآني

عرض ونقد

المبحث الأول : دعوى الحداثيين العرب بـــ (دوغمائية النص القرآني)

المبحث الثاني : دعوى الحداثيين العرب بـــ (أنسنة النص القرآني)

المبحث الثالث : دعوى الحداثيين العرب بـــ (فرض قراءة تاريخية للنص القرآني)

المبحث الرابع : إخضاع الحداثيين العرب القرآن الكريم للنقد العبثي

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الأول : دعوى الحداثيين العرب بـــ (دوغمائية القرآن الكريم)

الدوغمائية عند الغربيين :

عرفت الدوغمائية كمصطلح غربي كاثوليكي مشتق من كلمة دوجما ومعناها : (المبدأ ذو الصحة المطلقة) ويرتبط هذا المصطلح بالإلهام الذي تزعمه الكنيسة لنفسها، ويدخل في نطاقه الادعاء المثير للسخرية وفحواه : أن بابا الفاتيكان معصوم ، وذلك بموجب دوغما صدرت عام ١٨٧٠ م وأصبحت الدوغما وضعا يطلق على الحركات الشمولية كالشيوعية والفاشية . ([1])

الدوغمائية عند الحداثيين العرب :

في إطار الهجمة الشرسة التي يشنها الحداثيون العرب، على القرآن الكريم ومحاولة نزع القداسة عنه، وتفريغه من محتواه واتهامه بالدوغمائية التي تعني عندهم : (التفرد بالحقيقة واجترار الماضي وتكراره.) يقول محمد أركون عن الدوغمائية :(هي البدعة الخطرة ضمن إطار التراث الإسلامي السكولاستيكي) . ([2])

ويوضح هاشم صالح هذا المصطلح بقوله:(كلمة سكولاستيكي بالمعنى الحرفي والأصلي تعني المدرسي:أي الرأي الذي يعلّم في المدارس.

ولكنها بالمعنى الاصطلاحي الشائع تعني : الروح الدوغمائية والتكرارية والاجترارية لآراء القدماء ، وأركون يعتبر الإسلام الشائع حاليا هو الإسلام السكولاستيكي التكراري الذي لا يزال يسيطر علينا منذ عشرة قرون . ([3])

ويربط أركون بين الدوغمائية والأرثوذكسية الإسلامية التي تعني : (فرض التفسير الصحيح والمستقيم للنصوص المقدسة واعتبار كل ما عداه هرطقة وضلالا ، فالأرثوذكسية تعني بالمعنى الحرفي : الخط المستقيم، ولكنها بالمعنى الاصطلاحي تعني : الجمود والانغلاق وفرض خط من خطوط التأويل بالقوة والقسر وبدعم من السلطة السياسية عادة .) ([4])

---

[1] - مبارك عامر بقنه قراءة في كتاب : الثقافة العربية في عصر العولمة ،لتركي الحمد ، مجلة البيان العدد ١٨٠ ص / ٣

[2] - محمد اركون : من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي ص/ ٩

[3] - نفس المرجع السابق ص / ١٣

[4] - المرجع السابق ص / ١٦

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وهذا يقودنا إلى أقوال الحداثيين العرب ووصفهم الاسلام بالدوغمائية اذ يصف الجابري الإسلام بالوثوقية والتلقين والتمذهب والتعصب ورفض الآخر ... فيقول : (إن الوثوقية أو الدوغمائية تتنكر للاجتهاد ، وتلغي الاختلاف ، وترفع شعار الإجماع ، وتشهر سلاح الخروج عن الإجماع ضد كل مخالف ، وتنحو نحو الاستبداد والهيمنة، فيحل التلقين محل البحث والتقصي ، وتكف الفلسفة عن اعتماد التسامح موقفا فكريا وعمليا ، وتفقد هويتها ومزيتها ، وتصبح شيئا آخر : أيديولوجيا .. تماما مثلما تتحول الدعوة الدينية من النقاش والمجادلة بالتي هي أحسن واعتماد الموعظة الحسنة .... الخ إلى التمذهب الطبقي والغلو والتطرف .([1])

ويضيف ... والحق أن تاريخ الفلسفة يدلنا على أن التسامح كان دائما مقوما أساسيا من مقومات التفلسف ، أعني البحث عن الحقيقة حتى إذا ترك الشك المنهجي مكانه لليقين المذهبي ، وحل تعميم الأفكار محل تحليلها ونقدها، انقلبت الفلسفة إلى أيديولوجيا أي تقريرا للحقيقة التي تقدم نفسها كاملة وجامدة لا حقيقة بعدها، وزال التسامح وحل محله اللاتسامح : أعني اللجوء إلى القوة والعنف فكرا وسلوكا . ([2])

هذه نماذج معبرة عن نظرة وموقف الحداثيين العرب من القرآن الكريم وأحكامه وتشريعاته ، ونحن أمام تهم خطيرة موجهة للإسلام ومصدره المهم — القرآن الكريم—

منها : رفض الآخر ، الانغلاق ، التعصب ، الإكراه ، فرض القناعات ، الإقصاء ... الخ من مصطلحات وتهم غريبة أطلقها الحداثيون العرب زورا وبهتانا ضد الإسلام ومصادره .

والمتابع لخطاب الحداثة العربية يجد كثرة هذه النعوت ضد الإسلام والإسلاميين ، فتهمة الوثوقية والدوغمائية واليقينية وغيرها من المصطلحات التي تدل على جمود الفكر وعدم قبول الرأي الآخر، واحتكار الحقيقة .

---

[1] - الجابري ، محمد عابد : قضايا في الفكر المعاصر ص / ٢٠ — ٢١

[2] - نفس المرجع والصفحة

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ويرفعون مقابل ذلك مصطلحات وشعارات خطيرة منها :

(نسبية الحقيقة) إذ الحقيقة — في نظرهم- قضية نسبية ولا يمتلكها أحد أيّا كان والنسبية في الحقيقة أمر لا شك فيه لكن في القضايا الاجتهادية ويؤكد ذلك :وقائع كثيرة من السنة النبوية منها إقرار الرسول صلى الله عليه وسلم للصحابة الذين صلوا العصر في الطريق قبل وصولهم يهود بني قريظة، والصحابة الذين فاتتهم الصلاة فلم يصلوها إلا بعد وصولهم بني قريظة، لكن الخطورة في تعميم هذا المصطلح على القطعيات والثوابت كالعقيدة والعبادة والأخلاق ..

فهل يعقل أن نعمم الشعار القائل (لا أحد يمتلك الحقيقة المطلقة) على قطعيات الدين التي لا تقبل اجتهادا ولا تأويلا كوجود الله عز وجل ومصدرية القرآن .... الخ فنحن نعتقد أن الحق كل الحق في شرع الله عز وجل .

وهناك شبهة أخرى في هذا المصطلح الخطير — الدوغمائية — فالحداثيون العرب يسمون الغيرة على الشريعة الإسلامية توترا ، ويطلقون على الداعية الذي يتمعر وجهه غضبا على حرمات الله إذا ما انتهكت متوترا ومتزمتا .

ويسمون من يقوم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يسمون من يقوم بمحاربة الفساد والانحلال إقصاء ، فهم يريدون من كل داعية وصاحب غيرة على الدين أن يواجه المنكرات والخروج على أحكام الدين بالبرود وعدم المبالاة، على اعتبار أنها مسائل شخصية، وأن الحقيقة نسبية ولا يجوز إقصاء أي فكر أو سلوك حتى لو كان كفرا أو زندقة !!!!!.

إن تطبيق هذا الشعار — نسبية الحقيقة — ودوغمائية القول باطلاقية الحقيقة يقود إلى العدمية ، وإهدار كل القيم وتفريغ الدين من محتواه، وهذا مآل خطير يضع الدين في إطار ومربع ضيق يقود إلى إقصائه من دائرة الحياة .

وبهذا الشعار لا تثبت أي حقيقة ، وتنزع القداسة عن القرآن الكريم وأحكامه ، وتسلب الدعاة الحماس لأي عمل دعوي، ويفصل بينهم وبين الأمة تحت وطأة الخوف من هذه التهمة، وتسلب المؤمن فضيلة الحقيقة واليقين والإيمان بالمسلمات، وتضعه في دهاليز الشك والريبة والتردد .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إن القول بنسبية الحقيقة يحمل نقضه في داخله لأنك إذا قلت : إن الحقيقة نسبية فان هذا يصدق على صاحب الدعوى — الحداثيين — في كل ما يقولون .

إن إنكار المنكر لا يمكن أن يكو ن إقصاء ولا تزمتا ولا اعتداء على الحرية الشخصية ، فهذه مغالطة غريبة إذ يعتبر هذا الركن المهم ركيزة أساسية في حماية المجتمع من الرذيلة والفساد . وقدوتنا في حماية المجتمع وتطبيق هذا الركن المهم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إذ كان وجهه يتمعر غضبا إذا ما انتهكت حرمات الله .

فالغيرة على حرمات الله والغضب لله ورسوله صلى الله عليه وسلم أسمى مقامات الإيمان التي تعكس حب المؤمن لله ورسوله صلى الله عليه وسلم أما البرود والتعلل بالحرية الشخصية وإشاعة مظاهر الفساد والخروج على أحكام الشرع فهو مرض يدل على ضعف الإيمان، وضعف الغيرة على دين الله، ويستوجب عقاب الله تعالى .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ المائدة: ٧٨ – ٧٩

ومن معاني الدوغمائية عند الحداثيين العرب : أن العقائد الدينية تأخذ صفة الوثوق واليقين من غير دليل ولا يجوز مناقشتها عقلا ، تماما كما اخضع بعضهم مسلمات الدين لأمور العقل فأنكرها لأنها غير مثبتة على حد زعمه . ([1])

ومن خلال أقوال الحداثيين العرب وكتاباتهم عن الدوغمائية فهي عندهم تعني : (فرض المعتقدات الدينية دون اقتناع العقل بها) فهم يتهمون المسلمين بالانغلاق الفكري واجترار آراء ومعتقدات لا تصلح لهذا العصر .

هذا الإسقاط الظالم لما كانت عليه الديانة النصرانية المحرفة التي فرضت عقائدها ومسلماتها على الناس، لا يعقل أن يوصف به هذا الدين ، فالقرآن الكريم بعيد كل البعد عن هذه التهمة، لأنه يحث على العلم وعلى إعمال العقل في الوصول إلى الحقائق الإيمانية، ولا مجال في الإسلام لاعتقاد لا يؤسس على دليل علمي سواء كان عقليًا صريحاً أو نقلياً صحيحاً .

---

[1] - حسن حنفي : من العقيدة إلى الثورة ، ص ٧

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ الإسراء: ٣٦

فالإسلام يدعو إلى إعمال العقل كأساس مهم جدا من أسس المنهج العلمي القائم على الملاحظة والتجربة والاستنتاج والتي تقود إلى الحقيقة الإيمانية قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ الأعراف: ١٧٩

فاستخدام الحواس وإعمال العقل أمران مهمان جدا في المنهج القرآني للوصول إلى الحقيقة الإيمانية.

والذين يتهمون القرآن الكريم بالدوغمائية – بشكل مباشر أو غير مباشر – وفرض مسلمات غير مثبتة بالإكراه والإلزام نقول لهم: أقرأتم كتاب الله عز وجل وكيف حاور القرآن الكريم كل أصناف الخلق، الأنبياء، الملائكة، الإنسان، إبليس، الكفار، الملحدين، كل ذلك للوصول إلى الحقيقة.

و قصة إبراهيم عليه السلام خير مثال على المنهج العلمي الذي اتبعه القرآن الكريم للوصول إلى الحق، فعندما رأى إبراهيم عليه السلام قومه يعبدون الأصنام أراد أن يبين لهم بطلان ما هم عليه من الاعتقاد، فاستخدم المنهج العلمي الذي يوصله إلى مراده من خلال النظر والتجربة والاستنتاج، للوصول إلى بطلان الشرك وتهافته أمام حقيقة التوحيد، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَٰفِلِينَ ﴾ الأنعام: ٧٥ - ٧٦ إلى ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ فقد اثبت عليه السلام بالتجربة

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والبرهان أن هذه المخلوقات لا يمكن عقلا أن تكون آلهة من دون الله عز وجل لأنها تختفي وتزول، وهي خاضعة لنواميس الكون التي خلقها الله عز وجل .

وقصة نوح عليه السلام مع قومه وقصة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في معجزة الإسراء .... كلها أمثلة تدلل على أن ثوابت وبراهين الإيمان بالله عز وجل مؤكدة ومثبتة ببراهين عقلية ونقلية فالإسلام لا يكره أحدا على الدخول فيه دون قناعة .

وما سؤال الملائكة لله عز وجل في قوله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾فقالت الملائكة : ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ فكان الجواب من الله عز وجل: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ وهكذا نجد أمثلة كثيرة لحوار القرآن الكريم ومجادلته للآخرين وهذا يدل على منهج علمي واضح وأكيد ، وأن تهمة الدوغمائية لا دليل عليها .

وهكذا نجد — مع أن قدرته عز وجل مطلقة — لكنه يسمح لمخالفيه بالسؤال وهو الخالق العظيم وهم عباده ومخلوقاته، وكأن الله عز وجل يقول : هل تملكون من القوة كما أملك ؟ ومن الحق ما أعرف ؟ وهل بلغ مخالفوكم ما بلغه إبليس معي ؟ ومع ذلك اتخذت الحوار معه سبيلا، وما ذلك إلا للوصول إلى الحق بالحجة والبرهان لا بالإكراه والإذعان .

والقادة المسلمون عندما فتحوا البلدان والأمصار لم يحملوا أهلها على الإسلام، فلو كان الإسلام يفرض أحكامه وتشريعاته على الآخرين فمن باب أولى أن يفرض أمر الدخول فيه ابتداء على أهل البلدان المفتوحة، لكنه لم يفعل عملا بقوله تعالى ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾وقوله تعالى :﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ يونس: ٩٩

وما قوله تعالى:﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ العنكبوت: ١٩ - ٢٠ إلا دليل على أن معرفة الله عز وجل تتم من خلال النظر العقلي القائم على التدبر والتفكر في مخلوقاته عز وجل في الكون .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقدوتنا في التعامل مع الآخرين رسول الله صلى الله عليه وسلم ففي دولة المدينة المنورة ومنذ العام الأول لقيامها في السنة الأولى للهجرة نص دستورها الذي اشتهر بالصحيفة على أن (يهود أمة مع المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين ومن تبعنا من يهود فانه له النصرة والأسوة مع البر والحق من أهل هذه الصحيفة، غير مظلومين ولا متناصر عليهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم). ([1])

ولما استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نصارى نجران في المدينة المنورة سنة ١٠ للهجرة فتح لهم باب مسجد النبوة فصلوا فيه صلاتهم في عيد الفصح وقنن لهم في العهد الذي كتبه لهم — علاقة الشريعة الإسلامية ودولتها بالشريعة النصرانية والمتدينين بها وهي علاقة المواطنة الكاملة في ظل الدولة الإسلامية والمرجعية الدينية، والأمة الواحدة، ومما قاله صلى الله عليه وسلم لهم :" لنجران وحاشيتها وسائر من ينتحل دين النصرانية في أقطار الأرض جوار الله وذمة محمد رسول الله على أموالهم وأنفسهم وملتهم وبيعهم وكل ما تحت أيديهم أن أحمي جانبهم وأذب عنهم وعن كنائسهم وبيعهم وبيوت صلواتهم ومواضع الرهبان ومواطن السياح وأن أحرس دينهم وملتهم أين ما كانوا بما أحفظ به نفسي وخاصتي وأهل الإسلام من ملتي

لأني أعطيتهم عهد الله على أن لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين وعلى المسلمين ما عليهم حتى يكونوا للمسلمين شركاء فيما لهم وفيما عليهم . ([2])

فهل بعد هذا الكلام من كلام ؟ أن يجعل الرسول صلى الله عليه وسلم من نفسه ومن أمته حراسا للنصارى ولكنائسهم، وما ذلك إلا للعهد والميثاق المعطى لهم، وهذا دليل على أن الإسلام ينظر إلى غير المسلمين نظرة إنسانية ملؤها الاحترام والرحمة .

---

[1] - انظر بمجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ص ١٧ -- ٢١ جمع وتحقيق د. محمد حميدالله احيدر آبادي -- طبعة القاهرة سنة / ١٩٥٦ م

[2] - بمجموعة الوثائق المرجع السابق ص / ١١١ وما بعدها

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وكلمة أخيرة إن البرهان كل البرهان هو في التوحيد والإيمان بالله عز وجل وما عداه فهو كلام ودعوى غير مثبته قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ المؤمنون: ١١٧ وفاتني أن أذكر موقف أئمة المذاهب الفقهية واختلافهم في بعض الأحكام و لم ينكر أحدهم على الآخر حتى قالوا كلمتهم المأثورة : قولي صحيح يحتمل الخطأ وقولي غيري خطأ يحتمل الصحة .

لكن ماذا نقول للحداثيين العرب الذين يطلقون الأحكام جزافا ودون دليل فالإسلام لا دوغمائية فيه فأحكامه وعقائده مثبتة عقلا ونقلا ويؤمن بالحوار وبالتعددية في العقائد والأحكام .

إن الفكر عندما ينطلق من قاعدة هشة وينعزل عن خصوصيته وهويته الحضارية فانه يصوغ لنفسه ثقافة مهزومة منعزلة ، لأنها اقتلعت نفسها عن جذورها وانفصلت عن نسقها الحضاري العقدي فجاءت نتائجها مزرية ومضحكة ، وهذه نتيجة طبيعية لما يسمى بالاستلاب الحضاري ، فالاعتماد على تجربة الآخرين وإسقاطها على هذه الأمة لا بد وأن تكون النتائج غير منطقية وأن يحدث خلل بين النتائج والمقدمات .

لأن المقدمات الخاطئة تقود إلى نتائج خاطئة وهذا القياس الخاطئ لما كانت عليه الديانة النصرانية بعد أن غيرت وبدلت قياس ظالم وإسقاط مجحف يقول الشيخ الشعراوي — رحمه الله — لدعاة التغريب : (إنكم قاصرون حتى في دراسة تاريخ الأديان التي تهاجمونها ، فالمسيحية لم تأت لتنظم حركة الحياة ولكنها جاءت لتعطي شحنة إيمانية وجدانية ، وهذه الشحنة كانت مفقودة عند اليهود ، فاليهود غرقوا في المادية وأرادوا أن يجعلوا الله جسما وقالوا لموسى ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ البقرة: ٥٥

هم أرادوا أن يكون اله الغيب أمرا ماديا إذن فالمسيحية لم تأت بمنهج ينظم حركة الحياة ، بل حصرت لتعالج انحراف اليهودية إلى المادية على حساب الروح فقياس المسيحية على الإسلام صاحب الشمول في التشريع هو قياس خاطئ . ([1])

[1] - الشعراوي ، محمد متولي ، شبهات حول الإسلام ص ٢١ و ٢٢

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

اتهام القرآن الكريم بـــ (الدوغمائية والتعالي)

يتهم الحداثيون العرب القرآن الكريم بفرض الحقيقة المطلقة عن العالم والمخلوقات والتاريخ بكل الهيبة والسيادة الخاصة بمؤلفه الله الواحد الأحد المهيمن الجبار . ([1])

والقرآن يقوم بعملية خلع التعالي على أحداث تاريخية واقعية حصلت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولكنها حورت من قبل الخطاب القرآني لكي تتخذ دلالة كونية تتجاوز خصوصيتها المحلية وتتخذ صفة كونية وتصبح وكأنه لا علاقة لها بحدث محدد وقع في التاريخ المحسوس . ([2])

ويقول أركون : وهكذا ينجح القرآن في محو كل التفاصيل والدقائق التاريخية للحدث ويصبح خطابا كونيا موجها للبشر في كل زمان ومكان وهكذا يفقد صفته التاريخية فيبدو وكأنه خارج التاريخ أو يعلو عليه . ([3])

وكأن القرآن الكريم صرح بتاريخيته وأنه جاء لفترة زمنية محددة وليعالج مشكلات آنية مرتبطة بزمنها وأشخاصها !!!

ويبين أركون مهمة المثقف العربي أمام تعالي القرآن الكريم فيقول إن مهمته هي :(الخروج من السياج الدوغمائي المغلق الذي تم ترسيخه وتشغيله وإعادة إنتاجه من قبل المؤسسات الدينية على مدى قرون ، وهذا السياج تمثل في الأصل أول ما تمثل بالدائرة الأيديولوجية التي افتتحها القرآن وعمل النبي صلى الله عليه وسلم ثم وسعت وضخمت فيما بعد من قبل العلماء والفقهاء. ([4])

إذن فالقرآن الكريم — حسب الخطاب الحداثي العربي — يسيطر على عواطف الناس وعقولهم ويرفض الموضوعية مقدما ، ويطالب بالتسليم المطلق ، ويستولي على مشاعر

---

[1] - انظر : محمد اركون : الإسلام والأخلاق والسياسة ص / ٢٢ ترجمة هاشم صالح ، مركز الأبحاث القومي بيروت ، سنة ١٩٩١ م، ط/١

[2] - انظر : محمد اركون : المرجع السابق ص ٣١وانظر علي حرب نقد النص ص /٦٥

[3] - انظر : محمد اركون : الفكر الإسلامي نقد واجتهاد دار الساقي ص ١٢ وانظر علي حرب نقد النص ص ٢٠٣

[4] - تيزيني ، طيب : النص القرآني ص ١٤٠ — ١٤١

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

القارىء والسامع بحيث يحاصره في سلفوية ماضوية فيفصل الواقع عن الإنسان ويصبح المثال بدل الواقع ، ويتغلب التأثير بالعاطفة على الفهم والعقل . ([1])

والحداثيون العرب يرفضون قداسة القرآن الكريم وتعاليه ، لأنه يفشل مخططهم في نزع القداسة عنه والتعامل معه كأي نص بشري قابل للنقد والطعن ، ليصلوا إلى هدفهم وهو تفريغ القرآن الكريم من محتواه .

وأفصحوا عن ذلك بقولهم : (إذا استمرينا في النظر إلى القرآن كنص ديني متعال أي يحتوي على الحقيقة التي تجعل حضور الله دائما فإننا عندئذ لا نستطيع أن نتجنب مشاكل التفكير الثيولوجي والبحث الثيولوجي .) ([2])

فهم لا يريدون أي بعد الهي للقرآن الكريم، بل يجب أن نتعامل معه كأي نص بشري

إن المسلمين عبر تاريخهم الطويل يرحبون بانتقادات الخصوم الذين لا يؤمنون بالقرآن الكريم ولا يدينون بالإسلام، والمؤلفات التي كتبت في الرد عليهم كثيرة جدا بل أن المسلمين يعرضون شبهات الخصوم أفضل من عرض الخصوم أنفسهم لها ويرد عليها بطريقة علمية منهجية . ([3])

لكن ما دام المسلم مسلما يعتقد أن كتاب الله مقدس ومنزه عن العيب والخطأ : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ فصلت: ٤٢ فلا بد له من الرد على هذه الافتراءات وبيان تهافتها وبطلانها لكن الحداثيين يريدون النقد بحسب المنهجية الغربية والتي لا تعتد بقائل النص بل لا تعتد بالنص أصلا إنما تعتد بقدرة القائل على التحريف والتقويل مع ضرورة استبعاد (أمور الغيب — الميتافيزيقيا -) لأن النقد الحداثي مرتبط أصلا بالفلسفات المادية والإلحادية وليس كما يزعم أصحابه ينطلق من الموضوعية والحياد فكل باحث مسلم ينطلق بفكره من إيمان واعتقاد فهو في

---

[1] - اركون ، محمد : الإسلام التاريخ والحداثة ص ٢٥ ترجمة هاشم صالح مجلة الوحدة الرباط عدد /١ سنة ١٩٨٩ م

[2] - عبدالهادي عبد الرحمن : سلطة النص ص / ٢٢

[3] - من أمثلة ذلك رد فضيلة الدكتور فضل حسن عباس على دعاوى المستشرقين في الموسوعة البريطانية في كتابه (قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية)

© Arabic Digital Library Yarmouk University

نظرهم فكر منغلق دوغمائي ماورائي ... إلى غير ذلك من النعوت التي تطال كل من يؤمن بقداسة القرآن الكريم ويتزهه عن العيب والخطأ .

فكتاب مالك بن نبي (الظاهرة القرآنية) كتاب سطحي جدا . ([1])

وكتاب موريس بوكاي (التواراة والإنجيل والقرآن العلم) كتاب تبجيل هزيل جدا .

وكذا كتابات روجيه جارودي. ([2])

وكتابات أنور الجندي وغيره تنعت بنفس النعوت . ([3])

وأجد أن الحداثيين العرب أولى بصفة الدوغمائية لأنهم لا يقبلون من الكتّاب والمفكرين إلا من كان على شاكلتهم في نقده وطعنه في القرآن الكريم، فكتابات الإسلاميين توصف بالظلامية والوعظية والدوغمائية ، أما ما يكتبونه هم فيوصف بالبحث العلمي الجاد ، والموضوعية الجريئة .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

---

[1] - انظر : اركون ، محمد : القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص /١٥

[2] - انظر :اركون ، محمد : الفكر الإسلامي قراءة علمية ص ٨٣

[3] - انظر : احمد الطعان ، العلمانيون والقرآن الكريم ص ٧٦٧ وما بعدها بتصرف

المبحث الثاني : دعوى الحداثيين العرب بـ (أنسنة النص القرآني)

الأنسنة في الفكر الحداثي الغربي

لا بد من الحديث ابتداء عن الأنسنة عند الغربيين وكيف نشأت هذه الفكرة .

فقد اهتم المفكرون الغربيون وكذا الفلاسفة ممن يطلق عليهم (أصحاب النزعة الانسانية) اهتموا بالانسان وآمنوا بأنه معيار كل شيء ، ويمكن اعتبار النهضة الدينية الحديثة التي قام بها البروتستانت بداية لفكرة الأهتمام بالانسان في العصر الحديث ، اذ ركزت على الانسان وعلى قدرته على فهم الكتاب المقدس ، وآمنت بقدراته العقلية الجبارة ، واهتمت الفلسفة الغربية بالانسان الغربي فقد جعل (سبينوزا – ١٦٣٤ – ١٦٥٧) الاله مساويا للطبيعة .

وكذلك الفيلسوف الألماني (نيتشه ١٧٦٨ – ١٨٥٧) والذي لا يقبل من الوحي الا ما تتطابق مع العقل والاله الحقيقي عنده الانسان والنظام والحرية .

أما (اوجست كونت ١٧٦٨ – ١٨٥٧) الذي قسم التاريخ الانساني الى ثلاث مراحل هي : المرحلة اللاهوتيه والميتافيزيقيه والمرحلة الوضعية والمرحلتان الأوليتان تجاوزهما العلم ، ويجب أن تزولا من الحياة ويجب أن تنفرد الفلسفة تالوضعية بنظره لأنها ايجابية وبناءة وتجعل الانسان الموجود الأعظم .

وتجرأ (لودفيج فيورباخ ١٨٠٤ – ١٨٧٢) ودعا الى ازالة اله المسيحية ، ويرى أن مهمته الأولى هي تأسيس الاله واعتبار الوجود الحقيقي للانسان فقط فالانسان – حسب رأيه – هو الاله الحقيقي والله ليس الا تجسيدا للطبيعة .

أما (نيتشه ١٨٤٤ – ١٩٠٠) فقد أعلن موت الاله – سبحانه وتعالى – من أجل أن يفسح المجال للانسان لأن الاعتقاد بالله عز وجل – في نظره – يحول دون تأكيد الانسان لذاته .

اذن فحركة الأنسنة الغربية امتدت من حركة الاصلاح الديني الى الفلسفة الغربية الحديثة ثم الى عصر الحداثة والتنوير ، وكلها تركز على مركزية الانسان واحلاله ليكون المشرع الخلقي والقيمي مكان الاله – سبحانه وتعالى – وتوهمت في الانسان القدرة المطلقة على ادارة شؤون الحياة بمعزل عن الدين والوحي .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الأنسنة عند الحداثيين العرب

قادت التبعية الفكرية الحداثيين العرب الى المطالبة بأنسنة التراث الاسلامي وبالتالي أنسنة القرآن الكريم ايمانا منهم أن القرآن الكريم جزء من التراث .

وتعالت أصواتهم مطالبة بالأنسنة واعتبار الانسان مركزا للكون ، واطلاق العنان له ولعقله ليبدع ويبتكر كل ما فيه خير للأمة والبشرية ، تماما كما فعل الانسان الغربي وبريق هذا الابداع يكمن في تجاوز الموروث كله .

ولم يصدر هذا الطلب من واحد أو أثنين لنقول انه قول شاذ ، بل صدر من مجموعة منهم فها هو حسن حنفي يتغنى بما فعله الغربيون من جعل الانسان محور كل شيء فيقول : (انه في عصر النهضة بدأ تأسيس الوعي الأوروبي على أسس جديدة بنقد الموروث حتى يمكن التحرر منه كمصدر للعلم وكقوة للسلوك ، والتحول الى العقل ووضع الانسان مركزا للكون) . ([1])

فالانسان عند الحداثيين العرب هو المركز ، وهو المصدر للقيم والسلوك ، والانسان أهم كائن في هذا العالم الطبيعي ومعيار الأشياء جميعا انه سيد قدره . ([2])

فالحداثيون العرب يؤمنون بالقدرة الخارقة للانسان بمعزل عن الوحي يقول جورج طرابيشي : (الانسان بما هو انسان وبقدراته وملكاته العقلية يستطيع أن ينجز بمفرده وبدون تدخل من عالم الغيب التحويلات المطلوب ادخالها على ملكوت الطبيعة والفضاء الاجتماعي). ([3])

اذن هم مجمعون على تجاوز الغيب والوحي ، وادعاء اعتماد العقل والعلم ، فهم يعتبرون الدين عائقا كبيرا أمام التقدم والرقي ، فالانسان — في نظرهم — بقدرته الخارقة وطبيعته

---

[1] - انظر : حنفي ، حسن : (موقفنا الحضاري) المستقبل العربي السنة ٨ ، عدد ٧٦ حزيران ١٩٨٥ ص ٨٣ — ٨٤

[2] - قسطنطين زريق : (المنهج العصري محتواه وهويته) التراث وتحديات العصر في الوطن العربي ، بيروت مركز الدراسات الوحدة العربية سنة ١٩٨٥ ص ٣٦٨

[3] - جورج طرابيشي : مفهوم التقدم — الوحده السنة الأولى العدد / ٢ تشرين٢ ،١٩٨٤ ص ٥٢

© Arabic Digital Library Yarmouk University

العاقلة وتجربته الزاخرة قادر على أن يسيّر أمور الحياة ، يقول محمد أركون : (كل مجتمع لا يعترف بالتعددية السياسية هو مجتمع تنقصه الأنسنة) . ([1])

ويبين هاشم صالح مراد أركون من الأنسنة بقوله : (يقصد أركون بها – أي الأنسنة ازدهار العقلانية وتراجع الظلامية والتعصب الديني ففي القرون الوسطى كان التركيز يتك على الله فقط وما كان يجوز الاهتمام بالانسان الا من خلال علاقته بالله أو عبادته له ، باختصار كنا نعيش في ظل المركزية اللاهوتية ثم انتقلنا بعد عصر النهضة في أوروبا الى التركيز على الانسان والاهتمام به كقيمة بحد ذاتها وهكذا انتقلنا الى المركزية الانسانية أو النزعة الانسانية . ([2])

ان ارتباط الانسان بالله عز وجل وجعل هدفه في الحياة هو عبادته وطاعته هي التي تعطيه المكانة الحقيقية في الكون قال تعالى :﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾لقمان: ٢٠

لا كما يفهم الحداثيون العرب من أن هذا الارتباط هو اهمال للانسان والغاء لعقله وقدراته فالانسان هو محور الكون بارتباطه بالله عز وجل وتحقيقه للاستخلاف الذي حمل أمانته قال تعالى ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾البقرة آية ٣٠

فموقف الاسلام من الانسان موقف ايجابي فهو يوجهه نحو العمل الايجابي من منطلق الاستخلاف والعبادة لله عز وجل وأعطي اجابات شافية عن كل اسئلته حتى لا يتخبط في ظلام الجهل واشبعت روحه بالعبادة ، وأمر بالتفكر في الكون ليشبع عقله ، ورخص له في التمتع بالطيبات ليشبع جسده ، وحذره من الاسراف والانجراف حتى لا ينحرف مع غرائزه ويضيع الأمانة التي حملها ، وفي هذا كله تكريم للانسان قَالَ تَعَالَى:﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ الإسراء: ٧٠

---

[1] - محمد اركون : من أجل الأنسنة في السياقات الاسلامية ص ١٦

[2] - محمد اركون ، نزعة الأنسنة في الفكر العربي ص ١٢

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ونقول للحداثيين العرب ان الأنسنة الغربية للدين أمر لا علاقة لنا به من قريب أو بعيد . فالدين الاسلامي ليس نتاجا بشريا لا من حيث المنشأ والتكوين ، ولا من حيث التغيير والتبديل ، بل هو حقيقة الهية روحا ونصا ، خارجة عن الفعل الانساني من حيث الانشاء والابداع ، وان تطابق الدين مع حقائق العقل الانساني لذا لا يجوز أنسنته أو عقلنته .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ الأنعام: ١٥٣

ففي زحمة السبل التي ابتدعها البشر جاء الاختلاف والتعارض فكان هذا الدين — سبيل الله — ضرورة ملحة لرفع الاختلاف والتعارض عند البشر ، فالدين ضرورة لوحدة البشرية لتنطلق من مفاهيم واضحة عن الكون والانسان والحياة نحو غايات مشتركة تتمثل في عبادة الله عز وجل تحقيقا لقوله تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ الذاريات: ٥٦

فوحدة السبل تكون بهدي رباني واضح المعالم في أهدافه وغاياته ، في مقدماته ونتائجه ، أما تشتت السبل فتعني أن يبتكر كل انسان — بحسب قدراته العقلية — غاية له في الحياة ، ويشرع لنفسه ما يشاء يحل ويحرم بناء على ميوله وأهدافه ورغباته ، فتتعدد السبل بتعدد الأهواء ، وتختلف الغايات باختلاف المصالح والميول والرغبات ، فلا ضابط ولا موجه .

هذا ما يريده الحداثيون العرب من دعوتهم الى أنسنة الدين وعقلنة عقائده وأحكامه ، متاهة وعبثية تقود الى المجهول ، والذين يدعون الى الأنسنة نقول لهم : ما دور الانسان تجاه الدين ؟ هل هو دور اكتشاف وانشاء أم دور تفاعل وتوظيف ؟

الحقيقة أنه دور تفاعل وتوظيف ، فالانسان المؤمن يوظف الدين من خلال تطبيقه في الحياة على شكل منهج ينظم به شؤون حياته في كل المجالات لينعكس هذا التطبيق على حياته بتوجيه طاقاته وقدراته نحو خدمة الأمة والانسانية على شكل بنيان حضاري متراكم من مجموع أفراد الأمة وعلى مر العصور كل جيل يقدم لبنة في البنيان الحضاري حتى يعلو البناء ويشمخ عاليا. ([1])

---

[1] - العادلي : حرب المطلحات ص ٣٨ ، ٨٩ ، ٩٩ بتصرف

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومن دعاة الأنسنة الدكتور نصر حامد أبو زيد وله مؤلفات عدة عن النص منها :
النص و السلطة ، الحقيقة ، وأخطرها : نقد الخطاب الديني يركز أبو زيد في كتبه وأبحاثه على المسار الانساني للقرآن الكريم منذ لحظة نزوله عن طريق ألوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم ونجده يفرق بين مرحلتين مهمتين للنص : مرحلة النص الالهية — قبل نزول الوحي ومرحلة النص — الانسانية — منذ لحظة وجوده على الأرض — وتلقي الرسول صلى الله عليه وسلم للوحي .

وأبو زيد يؤمن بأن القرآن الكريم نص الهي مقدس الا أنه يؤمن أن حالة النص — قبل الوحي — حالة ميتافيزيقية لا ندري عنها شيئا الا ما ذكره النص عنها وفهمنا له يكون من خلال الانسان المتغير والنسبي .

ويعتبر أن النص منذ قراءته الأولى من الرسول صلى الله عليه وسلم تحول من كونه (نصا الهيا) وصار فهما (نصا انسانيا) لأنه — بحسب رأيه تحول من التنزيل الى التأويل .

ويرى أن فهم الرسول عليه الصلاة والسلام للنص يمثل أولى مراحل حركة النص في تفاعله مع العقل البشري .

ويقول في هذا الصدد : (ان القرآن — محور حديثنا حتى الآن — نص ديني ثابت من حيث منطوقه لكنه من حيث يتعرض له العقل الانساني ويصبح (مفهوما) يفقد صفة الثبات انه يتحرك وتتعدد دلالته .

ان الثبات من صفات المطلق والمقدس أما الانساني فهو نسبي متغير والقرآن نص مقدس من ناحيته منطوقة لكنه يصبح مفهوما بالنسبي والمتغير أي من جهة الانسان ويتحول الى نص انساني (يتأنسن) .

ومن الضروري هنا أن نؤكد أن حالة النص الخام المقدس حالة ميتافيزيقية لا ندري عنها شيئا الا ما ذكره النص عنها وتفهمه بالضرورة من زاوية الانسان المتغير والنسبي .

النص منذ لحظة نزوله الأولى — أي مع قراءة النبي له لحظة الوحي — تحول من كونه (نصا الهيا) وصار فهما (نصا انسانيا) لأنه تحول من التنزيل الى التأويل .) ([1])

---

[1] - نصر حامد ابو زيد : نقد الخطاب الديني ، ط٣ مطبعة مدبولي ص ١٢٥ — ١٢٦

© Arabic Digital Library Yarmouk University

تعكس هذه الفقرة من كتاب أبي زيد — نقد الخطاب الديني — أمرا في غاية الأهمية وهو مفهوم أبي زيد للنص فهو يستخدم المفهوم المعاصر للنص أي التأويل ، و لم يلزم نفسه مشقة دراسة مصطلح النص عند علماء اللغة والتفسير ، وربطه بالنص القرآني لأخذ المعنى المراد .

فعند الرجوع الى كتب اللغة والتفسير نجد أن المراد بالنص غير ما يريده أبو زيد .

قال الفيروز أبادي في القاموس المحيط : (نص الشيء رفعه ونص الحديث الى فلان : رفعه اليه ونص كل شيء منتهاه .) ([1])

وقال صاحب لسان العرب :(النص : فعل الشيء نص الحديث ينصه نصا رفعه وكل ما اظهر فهو نص .) ([2])

وجاء في المعجم الوسيط : ونص على شيء نصا عينه وحدده والنص صيغة الكلام الأصلية التي وردت من المؤلف . ([3])

اذن فالمعنى اللغوي للنص هو : الرفع والابراز والاظهار وبلوغ المنتهى من المراد .

أما من حيث افادة النص للمعنى فقسمها علماء الأصول ([4])الى ثلاثة أقسام :

الأول : النص بالمعنى الأخص والذي لا يحتمل الا مدلولا واحدا افادة جازمة توفر الاطمئنان للمتلقي بأن هذا مراد المتكلم بشكل قاطع لا يحتمل معنى آخر ومن هنا جاءت قاعدة العلماء

(الاجتهاد في مورد النص) اذ ليس للجهد البشري أي دور في تحديد المعنى بسبب وضوح الدلالة فيه .

الثاني : الظاهر : وهو اللفظ الذي يحتمل أكثر من معنى غير أن احدهما هو المتبادر من اللفظ وفق قواعد الفهم اللغوي وهنا تأتي أهمية التأويل لتقريب المعنى الى ذهن المخاطب

---

[1] - الفيروز ادي ، محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط فصل النون

[2] - محمد بن مكرم بن منظور الافريقي ، لسان العرب ، باب نصص ، دار صادر ، بيروت ٧ / ٩٧

[3] - ابراهيم انيس وآخرون ، المعجم الوسيط مادة نص ، ص ٩٦٦

[4] - زيدان ، عبد الكريم ، الوجيز في اصول الفقه ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ط٣ ، ١٩٩٠ م ص ٣٤٠ وما بعدها ، وانظر محمد ابو زهرة ، اصول الفقه ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، سنة ١٩٥٨م ، ص١٣٩ وما بعدها

© Arabic Digital Library Yarmouk University

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ طه: ٥ فظاهر اللفظ يفيد المعنى الحسي للعرش والاستواء غير ان الأدلة تدعو الى العدول عن المعنى الظاهر الى المعنى المحتمل

الثالث : المجمل : وهو اللفظ الذي يحتمل أكثر من معنى وكلها معان متكافئة في ظهورها كقوله تعالى ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾ البقرة: ٢٢٨ فكلمة قروء تعني بحسب اللغة الطهر والحيض .

اذن فالنص بمعناه العام هو مراد الناص ودلالة النص لها مستويات عدة كما مر معنا وهذا ما لم يذكره الأستاذ أبو زيد اذ عمم في نقده للخطاب الديني من حيث دلالته ليشمل النص — بحسب رأيه ومنهجه- كل أنواع الدلالة ويضعه في سلة التأويل الانساني ، وأمر آخر قاده هذا الخلط الى استخدام كلمة النص كمرادف للقرآن الكريم كله كما نلحظ ذلك في كتبه .

وهو بهذه المنهجية يلغي الدلالة المحددة للآية القرآنية — النص — ويعتمد القول بأنسنته من خلال وضعه ابتداء في دائرة التأويل ، وهي فرضية غير صحيحة لأنها تنفي صفة الدلالة الثابتة عن القرآن الكريم ، وتضعه دائما وابتداء في دائرة التأويل مما يمهد لتأويلات وشطحات لا حصر لها .

وهو بذلك يلتقي مع منهج خطير لدى الحداثيين الغربيين في قراءة النص يقوم على عدم وجود معنى نهائي للنص .

وبيّنا في المبحث الأول من هذا البحث خطورة هذا الأمر في تمييع أحكام القرآن الكريم وعدم وضوح مراد الله عز وجل من كلامه .

اذن فالهدف هو الابتعاد بالنص القرآني عن دلالته الحقيقية وفتح المجال لأصحاب الأهواء والشبهات للانحراف بالفهم القرآني وجعله قابلا لكل فهم ومنفتحا على كل تأويل .

وقضية أخرى تعرض لها أبو زيد وهي تأكيده على انسانية الدلالة للنصوص القرآنية — رغم أنه يعترف ظاهريا أن القرآن كلام الله .

الا أنه يؤكد انسانيته كدلالة ومضمون ، وهذا يدخل نصوص القرآن الكريم — حتى قطعية الدلالة منها — في دائرة المتغير والنسبي لتعدد العقول والأفهام ، مما يجعل مراد الله في النص هلاميا وغير واضح ، ونسبي ، وهو يعني ربط النص القرآني بالواقع الثقافي للأمة ،

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مما يجعل فهم الآية القرآنية متفاوتا تبعا للواقع الثقافي السياسي لكل جيل من أجيال الأمة ، وذلك بسبب خضوع القرآن الكريم لمطرقة التأويل المتعسف تارة ، وللأفهام المتغيرة تارة أخرى .

فالدين ليس نتاجا بشريا لا من حيث المنشأ ولا من حيث التكوين ، بل هو حقيقة الهية روحا ونصا ، خارجة عن العقل الانساني فالدين رغم تعاطيه مع معطيات العقل لكنه ليس نتاجا عقليا .

فالنص القرآني عند أبي زيد نص تأويلي وتأويله كان منذ بداية تعامل المفسرين الأوائل معه ويستدل على ذلك بتسمية الامام الطبري لتفسيره (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) وابن عباس يرى أنه يعلم تأويل القرآن ، ويؤكد على أنه لا فرق بين التفسير والتأويل عند القدامى والتفرقة بين التفسير التأويل تفرقة اصطلاحية متأخرة . ([1])

وقوله ان القدامى لم يفرقوا بين التفسير والتأويل غير دقيق ، فالأمام الزركشي يعرف التأويل بأنه : صرف الآية الى معنى موافق لما قبلها تحتمله الآية ، غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط .

وقال كذلك:(قيل التفسير والتأويل واحد بحسب عرف الاستعمال والصحيح تغيرهما) . ([2])

وقال الأمدي : أما التأويل من حيث هو تأويل مع قطع النظر عن الصحة والبطلان هو حمل اللفظ على غير مدلوله الظاهر منه مع احتمال له وأما التأويل المقبول الصحيح فهو حمل اللفظ على غير مدلوله الظاهر منه مع احتمال له بدليل يعضده . ([3])

و لم يشر أبو زيد الى الضوابط التي وضعها العلماء للتأويل والتي تحمي المفسر من اتباع الهوى والوقوع في الضلال ، فضوابط التأويل تتفق مع مقاصد الشريعة ودلالات اللغة .

أما قوله : (ان النص القرآني قد تحول من التنزيل الى التأويل وبعد أن كان الهياً صار

---

[1] - نصر حامد ابو زيد : فلسفة التأويل ، دراسة في تأويل القرآن عند محي الدين بن عربي المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء ط /٥ ص/ ١٢

[2] - الزركشي : البرهان في علوم القرآن ٢/ ١٥٠ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار الفكر للنشر ط/٣ سنة ١٩٨٠م

[3] - الآمدي (علي بن محمد) : الاحكام في أصول الأحكام ٣/ ٥٩ تحقيق سيد الجبلي دار الكتاب العربي ، بيروت سنة /١٤٠٤

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

— بعد التنزيل — انسانياً فمعنى هذا أنه صار كغيره من النصوص البشرية وبالتالي يصبح نصاً تأويلياً بفصله عن مصدره وبفتحه على دلالات متعددة ، ولأن ربطه بمصدره الرباني يفضي الى طمس طبيعته واغلاقه على فهم محدد وثابت وهذا ما لا يريده الحداثيون كما يقول بارت : (عندما ننسب النص الى المؤلف فان هذا يعني أننا نفرض عليه أن يتوقف كما يعني انا نفرض عليه سلطة مدلول نهائي) .([1])

اذن فهذا هو الهدف — عدم تحديد المراد وفتح باب التأويل للأهواء والرغبات .

فالنص القرآني عند أبي زيد مفتوح على قراءات عديدة وأن هذه القراءات ما هي الا تأويلات للنص القرآني لا يمكن أن تزعم واحدة منها أنها تصل الى قصد قائله فهو يقول : (واذا كنا في مجال تحليل النصوص الأدبية — وهي نتاج عقل بشري - لا نزعم تطابق التفسير والنص مع قصد كاتبه فان الخطاب الديني لا يكتفي باهدار البعد التاريخي الذي يفصله عن زمان النص بل يزعم لنفسه قدرة الوصول الى القصد الالهي .) ([2])

وخطورة هذا الكلام أن القراء لكتاب الله والمفسرين والعلماء لم يصلوا الى مراد الله من كلامه وأن ما يطبقونه في حياتهم من أحكام وعقائد ليس هو المقصود .

ويؤكد على موقفه بأنه لا توجد قراءة بريئة . (٤[3])

فلكل قاريء أن يستنبط من النص المعنى الذي يريد .

ونجده يقول :(ان مجال التأويل يتسع لكل أقسام النص .) ([4])

وخطورة هذا الكلام أن حدود التأويل لا تقف عند حدود التشريعات والأحكام بل تتعداها للعقائد ، والتي لا ينبغي فهمها فهما حرفيا محددا ، ولا نظلمه بهذا الاستنتاج فقد صرح هو نفسه بذلك عندما قال :(ما زال الخطاب الديني يتمسك بوجود القرآن في اللوح المحفوظ اعتمادا على فهم حرفي للنص ، وما زال يتمسك بصورة الاله الملك بعرشه وكرسيه وصولجانه ومملكته وجنوده والملائكة ، وما زال يتمسك بالدرجة نفسها من

---

[1] - رولان بارت ، هسهسة اللغة ، ترجمة منذر عياشي ص / ٨١ مركز الانماء الحضاري حلب ط/١ سنة ١٩٩٩م

[2] - نصر حامد ابوزيد: نقد الخطاب الديني ص ١٣٠

[3] - نصر حامد ابوزيد : اشكالية القراءة وآليات التأويل ص / ٢٢٨ المركز الثقافي العربي الدار البيضاء ط/٥ سنة /١٩٩٩م

[4] - نصر حامد ابوزيد : مفهوم النص ص / ٢٣

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الحرفية بالشياطين والجن والسجلات التي تدون فيها الأعمال والأخطر من ذلك تمسكه بحرفية صور العقاب والثواب وعذاب القبر ونعيمه ومشاهد القيامة والسير على الصراط الى آخر ذلك كله من تصورات اسطورية) ([1])

فهذه كلها ليست عنده من الحقائق بل أولها وفهمها فهما مجازيا ، وتلاعب بدلالاتها لتوافق منهجه في التأويل ، هذا المنهج الذي يقود الى ازاحة الغيبيات ، واخضاع النص الديني لميزان العقل المادي .

فالتأويل عند أبي زيد هو التخلص من الحقائق الغيبية لكونها في رأيه تحجب حقائق العقل والمنطق العلمي السليم .

أخلص من هذا المطلب بجملة حقائق تتعلق بالأنسنة الحداثية العربية وهي حقائق خطيرة تعكس الانحراف الخطير — فكريا وعقديا — عند من يتبنى هذا الطرح وهذه الحقائق هي :

١- أن الأنسنة بشكل عام هي رفض المصدر الالهي للوحي والدين ، واعتبار الدين ظاهرة اجتماية انسانية تاريخية برزت ضمن ظروف ومعطيات معينة .

٢- تدعو الأنسنة — بشكل مباشر وغير مباشر — الى تمييع المقدسات ونفي المعجزات وتجاوز الميتافيزيقيا — الغيب — وتفسير حقائق الدين تفسيرا ماديا ، واعتباره خرافات وأساطير يرفضها العقل العلمي المتحضر .

٣- تسعى الحداثة الى أنسنة الطبيعة والكون ، أي تجريده من آية دلالات روحية أو كونية أو رمزية ، مع رفض الدلالات الغيبية كاشارات الربانية التي تؤكد معالم الهداية في الطبيعة ككتاب كوني منظور الى جانب الوحي المكتوب .

٤- تركز الأنسنة كذلك على مركزية الانسان واستقلالية العقل في تفسير الوجود ، وهذا يعني أن التفكير الانساني وكذلك السلوك مستقل عن الوحي قد يرقى الى مرتبته او بديلا عنه ، ويرى بعضهم أن مشكلة المسلمين اليوم تكمن في ايمانهم بأن الاله مركز الكون ومصدر التشريع . ([2])

---

[1] - نصر حامد ابوزيد : النص ، السلطه ، الحقيقة ص/ ١٣٥

[2] - محمد اركون ، نزعة الأنسنة في الفكر العربي ص/ ١٠

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٥- دعوى تحول القرآن الكريم من الالهي الى البشري (أنسنته) بعد نزول الوحي به دعوى خطيرة جدا ، فهي دعوى صريحة للقول ببشرية القرآن وتأويله وانفتاحه على كل معنى وبذلك يفرغ من مضمونه ومحتواه ، ويفتح المجال لكل صاحب هوى وزيغ ليقول في كلام الله ما يريد .

٦- هذه هي مرتكزات الأنسنة العربية ونرى كم هي مصادمة لكل ثوابت هذا الدين وعقائده ، ورأينا كيف تناوب الحداثيون العرب الأدوار كل يطرح مضمونا من مضامين الأنسنة ، وعند النظر اليها مجتمعة نجد هذا الهجوم الخطير جدا على حقائق الدين وثوابته ، وأن وراء الأكمة ما وراءها.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الثالث : دعوى الحداثيين العرب فرض قراءة تاريخية للنص القرآني

لا بد قبل البدء بهذا المطلب من تحديد مفهوم التاريخية وأصل نشأتها ، فالتاريخية من حيث اللغة : من التأريخ جاء في لسان العرب التأريخ: تعريف الوقت والتوريخ مثله . وأرّخ الكتاب وأرّخه ليوم كذا : وقّته والواو فيه لغة، وزعم يعقوب أن الواو بدل من الهمزة و (ورّخ) الكتاب بيوم كذا لغة من أرّخه . ([1])

والتاريخ عند توينبي: (هو العلم الذي يبحث في حياة الأمم والمجتمعات والعلاقات التي تقوم بينها) ([2])

مفهوم التاريخية عند الغربيين

التاريخية في المفهوم الغربي تقوم على أن العالم كله هو مجال فعل الانسان، والانسان الكائن الوحيد الواعي، لذا لا يمكن الحديث عن أي معرفة خارج نطاق الانسان ، فالانسان هو الكائن التاريخي الوحيد . ([3])

ويعرف روبير التاريخانية بانها (العقيدة التي تقول بأن كل شيء او كل حقيقة تتطور مع التاريخ وهي تهتم أيضا بدراسة الأشياء والأحداث وذلك من خلال ارتباطها بالظروف التاريخية .) ([4])

ويعتبر فيكو ١٦٦٨ — ١٧٤٤ — بنظر هاشم صالح — هو أول مفكر في الغرب يبلور مفهوم التاريخية أي ينص على أن البشر هم الذين يصنعون التاريخ وليس القوى الغيبية كما يتوهمون، وبالتالي فالتاريخ كله بشري من أقصاه الى أقصاه . ([5])

التاريخية عند الحداثيين العرب

---

[1]- بن منظور : لسان العرب ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٤/٣ / ٦٦

[2] - جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، ص ٢٢٧ ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، ط١

[3] - انظر عبد المنعم حفني ، المعجم الفلسفي ، ص ١٥ ، الدار الشرقية ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٠

[4]- احمد الطعان ، العلمانيون والنص القرآني ، ص ٢٩٣

[5] - انظر : هاشم صالح تعليقه على هوامش كتاب أركون : القرآن من التفسير الموروث الى تحليل الخطاب الديني ، ص ١١

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

التعريف والمفهوم:

التاريخية هي القول بأن الحقيقة تاريخية بمعنى أنها تتصف بالنسبية التاريخية أي أنها تتطور بتطور التاريخ . ([1])

وطرح الماركسيون العرب فكرة التاريخية وكانوا يقصدون بها قوانين التطور التاريخي أي حتمية المراحل التاريخية للتطور البشري . ([2])

وأول من طرح تاريخية القرآن الكريم محمد اركون اذ تقدم ببحث الى مؤتمر عقد في باريس سنة ١٩٧٤ قال في سياق ردوده على المناقشات التي اثارها بحثه (أريد لقراءتي هذه ان تطرح مشكلة لم تطرح عمليا قط بهذا الشكل من قبل الفكر الاسلامي ألا وهي تاريخية القرآن، وتاريخية ارتباطه بلحظة زمنية وتاريخية معينة . ([3])

والقراءة التاريخية للقرآن الكريم احدى طرق الحداثيين العرب لتفريغ القرآن الكريم من محتواه واقصائه عن دائرة الحكم والتشريع، وذلك من خلال وضع القرآن الكريم المنزل من الله تبارك وتعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بالوحي في صف التراث، وجعله جزءا منه، ومعلوم أن التراث يمكن ان يوصف بالتاريخ لأنه وقع داخل التاريخ، ومرتبط كحدث بزمان ومكان معينين، أما القرآن الكريم فهو من عند الله عز وجل، وخارج نطاق الزمان والمكان، وجاء ليكون منهج حياة للبشر والى قيام الساعة .

ويعني الحداثيون العرب بالقراءة التاريخية للقرآن الكريم : تفسير القرآن الكريم وفق معطيات التاريخ والواقع الذي كان سائدا وقت نزوله، فيربط النص القرآني بدلالته وأحكامه بالواقع والبيئة والعادات والتقاليد التي كانت سائدة ومن ثم قصر دلالة النص وتطبيقه على ذلك الواقع ومعطياته، وعدم تعديتها الى المراحل التاريخية اللاحقة وبذلك يفقد النص القرآني ديمومته واطلاقيته، ويصبح قاصرا على مكان وزمان معينين ويرتبط باشخاص ووقائع محددة مما يفقده الزاميته وصلاحيته لكل زمان ومكان .

---

[1] - عبد المنعم حفني ، المعجم الفلسفي ، الدار الشرقية ، القاهرة ، ط١، سنة ١٩٩٠ ، ص٣١١

[2] - انظر : عبدالله العروي : العرب والفكر التاريخي ، ص ٦٨ ، ط٢ ، المركز الثقافي العربي .

[3] - اركون ، الفكر الاسلامي قراءة علمية ، ص ٢١٢

© Arabic Digital Library Yarmouk University

دعوى الحداثيين العرب بـــ (تاريخية القرآن الكريم)

لم يقتصر الأمر على محمد اركون في الدعوة الى تاريخية القرآن الكريم بل دعا غيره من الحداثيين العرب الى ذلك بوضوح وصراحة يقول نصر حامد ابو زيد : (كل النصوص تستمد مرجعيتها من الثقافة التي تنتمي اليها). ([1])

ويوضح قصده من ذلك بوضوح أكثر فيقول :(ليست النصوص الدينية نصوصا مفارقة لبنية الثقافة التي تشكلت في اطارها بأي حال من الأحوال، والمصدر الالهي لتلك النصوص لا يلغي اطلاقا حقيقة كونها نصوصا لغوية بكل ما تعنيه اللغة من ارتباط بالزمان والمكان التاريخي والاجتماعي .) ([2])

ويقول في موضع آخر : (الواقع اذن هو الأصل ولا سبيل لاهداره من الواقع تكون النص ومن لغته وثقافته صيغت مفاهيمه ومن خلال حركته بفاعلية البشرتتحدد دلالته فالواقع أولا والواقع ثانيا والواقع أخيرا واهدار الواقع لحساب نص جامد ثابت المعنى والدلالة يحول كليهما الى اسطورة .) ([3])

هذه أقوال واضحة لا لبس فيها ولا غموض تصرح بأن القرآن الكريم باحكامه وتشريعاته ما هو الا ظاهرة تاريخية عابرة جاءت بسبب ظروف ومؤثرات معينة، وسوف تزول بزوال دواعي وجوده وباختلاف العصر والبيئة، اي أنه يعتبرها صدى لأوضاع اجتماعية تاريخية مخصوصة بظروفها وزالت بزوالها ولا يجوز تعديتها لكل العصور.

وفي موضع آخر صرح اركون بتاريخية القرآن الكريم بقوله :(القرآن تشكل تاريخيا كغيره من النصوص ويجب اخضاعه للنقد عن طريق توظيف كل المناهج الممكنة من أجل فرض قراءة تاريخية عليه). ([4])

وهذا يعني – في نظرهم – عدم صلاحية القرآن الكريم لكل زمان ومكان ويجب أن

---

[1] - نصر حامد ابو زيد ، النص ، السلطة ، الحقيقة ، ص ٨

[2] - نفس المرجع السابق ، ص ٩٢

[3] - نصر حامد ابو زيد ، الخطاب الديني ، ص ٦٨

[4] - محمد اركون ، الفكر الاسلامي قراءة علمية ، ص ٥١

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

نتجاوزه لأنه خاطب فئة من البشر ، ثم عفى عليه الزمن، فيجب أن نسيّر حياتنا بغير تعاليمه .

يقول طيب تيزيني : (جاء النص القرآني منجما وفق الأحداث والمناسبات البشرية الواقعية، واستجابة لها ليجيب عن مشكلات بشرية تنتمي الى زمن معين، وحقل جغرافي محدد، وبيئة اجتماعية بشرية تحمل وشمها وخصائصها، وترتب على ذلك أن النص القرآني يمثل خطابا نسبيا موجها للبشر، أو بتعبير أدق لبشر ينتمون الى شعب معين ، وزمن تاريخي معين، وحقل جغرافي معين) .([1])

ووصلت الجرأة حد التطاول على كلام الله تعالى بقوله :(المقولة القائلة بأن القرآن صالح لكل زمان ومكان هي هوس ميتافيزيقي ، ووهم كبير.) ([2])

ولم يقف الأمر عند واحد أو اثنين منهم فقد قال بتاريخية القرآن كثيرون . ([3])

---

[1] - طيب تيزيني ، النص القرآني ، ص ٣٨٠

[2] - المصدر السابق ، ص ١٥٢

[3] - انظر : سيد قمني (رب الزمان) ص ٢١٩ (الاسطورة والتراث) ص ٣٤٥ ، وصادق جلال العظم نقد الفكر الديني ، ص ٢٨ ، وحسن حنفي ، دراسات اسلامية ، ص ٥١ ، دار التنوير ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٢، وانظر : وخليل عبدالكريم ، مجتمع يثرب ، ص ٩ ، ١٠ والطاهر حداد ، امرأتنا في الشريعة والمجتمع ، ص ٢٢ ،الدار التونسية للنشر ، ١٩٧٢

© Arabic Digital Library Yarmouk University

علوم القرآن أساس محوري للتاريخية عند الحداثيين العرب

اتكأ الحداثيون العرب على الفهم الخاص لبعض مسائل علوم القرآن لتمرير أفكارهم واضفاء صفة الشرعية عليها ، يقول الطعان : (ابتكر المسلمون علوم القرآن من نسخ واسباب نزول وناسخ ومنسوخ .... لتعينهم على فهم القرآن الكريم، وابراز دوره في توجيه الحياة شعورا منهم وايمانا بأن القرآن الكريم هو وحده القادر على مواجهة كل متطلبات الحياة .

فابتكروا كل هذه العلوم لفهم القرآن الكريم من أجل الاعتقاد والعمل معا، فعلى الرغم من اعتقاد المسلمين بقداسة القرآن الكريم فان ذلك لم يمنعهم من توظيف هذه العلوم البشرية لفهمه وتطبيقه في واقع الحياة، لكنّ الحداثيين العربَ وجهوا هذه العلوم وجهة أخرى ووظفوها توظيفا مغايرا يقود في النهاية الى هدفهم وهو اثبات تاريخية القرآن الكريم .) ([1])

يقول نصر حامد ابو زيد :(من خلال علوم القرآن : اسباب النزول المكي والمدني والناسخ والمنسوخ وغيرها من علوم القرآن نكتشف ان القرآن نص لغوي نزل على مدى اكثر من عشرين عاما نزلت الآية او مجموعة من الآيات حسب الوقائع .) ([2])

ويقول حسن حنفي :(... ونشأت لذلك علوم باكملها هي علوم القرآن لبيان تاريخية النصوص نشأة وتطورا ... بل ان الاسلام ذاته الذي يجمع بين هذه النصوص المفرقة على مدى ثلاث وعشرين عاما فيما عرف باسم التنجيم انما هو حلقة خاصة في تطور الوحي العام منذ آدم حتى محمد صلى الله عليه وسلم .) ([3])

اذن هدف الحداثيين العرب هو اضفاء الصبغة الشرعية على قولهم بتاريخية القرآن الكريم من خلال توظيف علوم القرآن المختلفة لتحقيق هذا الغرض . ألم يقل حسن حنفي موظفا علوم القرآن لهذا الغرض : (ان ما عبّر عنه القدماء باسم اسباب النزول لهو في الحقيقة أسبقية الواقع على الفكر ومناداته له كما ان ما عبر عنه القدماء باسم الناسخ والمنسوخ

---

[1] - احمد ادريس الطعان ، العلمانيون والقرآن الكريم ، ص ٤٧٠

[2] - نصر حامد ابو زيد ، مجلة العربي عدد ٤٥٠ ، ١٩٩٦ ، ص ٦٩

[3] - حسن حنفي ، الوحي الواقع ،، دراسة في اسباب النزول بحث ضمن كتابه هموم الفكر والوطن ، ١/ ٧٣

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ليدل على ان الفكر يتجدد طبقا لقدرات الواقع وبناء على متطلباته) ([1])

إن ربط النص القرآني بالواقع ومتطلباته تجاهل للغيب والوحي، فالخطاب الحداثي يسعى جاهداً – من خلال ربط النص القرآني بالواقع – إلى استبعاد الوحي كمصدر للقرآن الكريم ، لذا قالوا ان لكل آية في القرآن الكريم سبب نزول، ونزلت استجابة لهذا السبب لتجيب عن مشكلات بشرية تنتمي الى زمن معين، وبيئة محددة .

وعمد الحداثيون العرب الى ابطال القاعدة الشهيرة :(العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) ويترتب على ذلك الغاء عالمية الرسالة المحمدية ، وقصرها على العرب وحدهم وعدم تعدية أحكام الشريعة لكل العصور وتجاهل الحداثيون العرب أن القرآن الكريم هو وحي الله الخاتم والخالد بأحكامه ومنهجه وهدايته للبشرية الى قيام الساعة فهو نور الله المحفوظ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ الحجر: ٩ والحفظ لا يكون بتذكر تاريخ النزول وسببه، بل بتطبيقه في واقع الحياة واحداثها ليكون القرآن بأحكامه وتشريعاته فاعلا ومؤثرا في حياة الأمة .

لكن الحداثيين العرب يريدون حفظ القرآن الكريم حفظا متحفيا تاريخيا لا علاقة له بالحياة، ولا تأثير، فابتدعوا تاريخية أحكام القرآن واتكأوا في دعواهم – الباطلة – على ان كل آيات القرآن لها أسباب نزول، وان هذه الاسباب – التاريخية – قد تجاوزها الواقع والتاريخ، وهي علة تشريع هذه الاحكام وهي الواقع الذي صنع النص القرآني او استدعاه ورفع الحداثيون العرب شعار – رفض اطلاق التشريع القرآني وخلود احكامه ، والقول بنسبيتها، يقول العشماوي : (فأحكام التشريع في القرآن ليست مطلقة و لم تكن مجرد تشريع مطلق) ([2])

وخطورة هذا الكلام تكمن في الغاء أثر القرآن الكريم في الحياة، فلم يعد القرآن الكريم مصدرا للتشريع، اذ زالت وتلاشت آيات التشريع بزوال أسبابها الموجبة لها .

يقول العشماوي عن القاعدة الشهيرة – العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب– (انه منهج فقهي وليس منهجا شرعيا ، أي انه منهج قال به الفقهاء و لم يرد لا في القرآن ولا في السنة النبوية، بل لم يقل به أحد من الصحابة والتابعين الأوائل .

---

[1] - حسن حنفي ، التراث والتجديد ، ص ١٣

[2] - العشماوي : معالم الاسلام ، ص ١٢٠ والاسلام السياسي ص ٤٤

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ونتيجة لذلك فان تفسير آيات القرآن الكريم يقوم على انتزاع الآية من السياق وفصلها عن اسباب النزول، واستعمالها تبعا للتركيب اللغوي وحده او وفقا للتكوين اللفظي دون سواه، ولقد حدث ذلك في فترات الظلام الحضاري والانحطاط العقلي . ([1])

اذن نحن أمام جملة اتهامات أولها أن منهج علماء الأمة فقهي غير شرعي وهي مغالطة غريبة لأن هذه القاعدة لم ترد في الكتاب والسنة ويضفي الشرعية على دعواه مع عدم وجود مستند لها من الكتاب ولا من السنة ولا حتى من أقوال العلماء وهل هذه هي الموضوعية .

ويعبر العشماوي عن هدفه بوضوح أكثر فيقول :(فبعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم انتهى التنزيل، ووقف الحديث الصحيح، فسكتت بذلك السلطة التشريعية التي آمن بها المؤمنون والتي كانت الأساس في قبولهم للتشريع والرضوخ لأحكامه) . ([2])

ويقول نصر حامد ابو زيد : (ان الحقائق الامبريقية (التجريبية) المعطاة عن النص تؤكد أنه نزل منجما على بضع وعشرين سنة، وتؤكد أن كل آية أو مجموعة من الآيات نزلت عند سبب خاص استوجب انزالها وان الآيات التي نزلت ابتداء قليلة جدا). ([3])

وفي نفس السياق والهدف يقول اركون :(ان الخطاب القرآني قد استطاع بهذه الطريقة — سبب النزول — خلع القدسية والتعالي على التاريخ البشري الأكثر مادية ودنيوية والأكثر عادية وشيوعا، وهذا لا ينبغي ان ينسينا تلك الآنية والاعتباطية الجذرية للأحداث .) ([4])

وهو بهذا القول يعتبر أن القول بأسباب النزول يعتبر نوعا من اختلاق القدسية والتعالي المزيف على الأحداث العادية والاعتباطية التي حدثت زمن النبي صلى الله عليه وسلم، ويرى أن أسباب النزول ما هي الا ذريعة لأثبات حكم معين او تحليله او تحريمه .

وهي جرأة نادرة في وصف أسباب النزول وكلام الله عز وجل بالاعتباطية، ويستهين بالسنة النبوية ويصفها بالتعالي المزيف على الأحداث العادية ....

---

[1] - معالم الاسلام ، ص ١٦٥ والخلافة الاسلامية ص ٤٩

[2] - اصول الشريعة ، ص ٦٥ وجوهر الاسلام ، ص ١٢٨

[3] - نصر حامد ابو زيد ، مفهوم النص ، ص ١١٩

[4] - محمد اركون ، الفكر الاسلامي قراءة علمية ، ص ٩٠

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ونرد على رفض الحداثيين العرب للقاعدة الجليلة — العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب بما يلي :

١- يجهل الحداثيون العرب او يتجاهلون أن علماء أسباب النزول أنفسهم هم الذين قرروا أن أسباب النزول هي : مناسبات لنزول الأحكام وليست علة في نزول الآيات وتشريع ما فيها من أحكام، فهي جزء من الوحي القرآني الذي نزل منجما .

يقول الامام السيوطي :(لقد عرف من عادة الصحابة والتابعين أن أحدهم اذا قال : نزلت هذه الآية في كذا فانه يريد بذلك أنها تتضمن هذا الحكم لا أن هذا كان السبب في نزولها، فالذي يتحرر في سبب النزول أنه ما نزلت الآية أيام وقوعه، فلقد نزلت آيات في اسباب ، واتفق الصحابة والتابعون على تعديتها الى غير أسبابها .) ([1])

ونقول للحداثيين العرب ان الآيات القرآنية التي رويت لها اسباب نزول — وجميع هذه الروايات آحاد — لا تتعدى عند السيوطي ٨٨٨ آية ، وعند الواحدي ٤٦٨ آية ، وبعض هذه الروايات في اسباب النزول لا يصح، وهذا رد على قولهم ان لكل آية سبب نزول .

وهنا نسأل الحداثيين العرب هل الآيات التي نزلت لأسباب؟ هل اختص بها الذين نزلت فيهم؟ أم شمل حكمها الصحابة والتابعين ومن بعدهم؟ خذ مثلا قوله تعالى ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ .....البقرة ٢٢٩ فقد نزلت في رجل عزم ان يطلق امرأته حتى اذا اقتربت نهاية عدتها راجعها ثم عاود الطلاق والمراجعة وذلك حتى يحبسها فلا تبين منه ولا يؤويها . ([2])

هل تشريع هذه الآية عام — لعموم الألفاظ التي تفهم في ضوء سبب النزول؟ أم انها خاصة بالرجل والمرأة اللذين نزلت فيهما ؟ وقوله تعالى :﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ هود: ١١٤

---

[1] - جلال الدين السيوطي ، الاتقان في علوم القرآن ، ١/ ٣٣ تحقيق د. محمد احمد القيسيه — مؤسسة النداء ، ط ١ ، سنة ٢٠٠٣ م ، ابو ظبي

[2] - الامام السيوطي ، اسباب النزول ص ٣٢ ، طبعة دار التحرير،القاهرة ١٣٨٢ ه

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

هل هي خاصة بذلك الرجل الذي قبّل امرأة ام ان حكمها عام ؟

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : ان رجلا أصاب من امرأة قبلة فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فأنزل الله تعالى وأقم الصلاة طرفي النهار .... الآية فقال الرجل : يا رسول الله ألّي هذا قال : لجميع أمتي كلهم . ([1])

وكذلك آية الظهار وحد السرقة وحد اللعان ..... هل يعقل ان تبقى هذه الآيات على اسبابها ولا تعمم كأحكام تشمل كل من يقترف هذا الذنب؟ وهل القول بأن هذه الآيات خاصة بمن نزلت فيهم ؟ وبأن أحكامها ليست عامة ولا مطلقة ؟ وبأن تشريعاتها قد انقضت بانقضاء وقائع وأشخاص وأسباب نزولها ؟ وهل ربط كل آية بحادثة معينة وتخصيصها بها هل هذا معقول ؟ وفيم؟ في كتاب أراده الله عز وجل ان يكون تشريعا خالدا لكل البشر والى قيام الساعة .

يقول محمد عماره : (ان القول بربط الاحكام التشريعية القرآنية باسباب نزولها وقصرها على من نزلت فيهم يعني (تاريخية المضمون) ونسخ (المفهوم) في هذه الآيات وبقاء اللفظ دون وظيفة اللهم الا التلاوة التعبدية الأمر الذي تتساوى فيه النصوص القرآنية عندئذ مع غيرها.) ([2])

ويضيف ... ان وقائع اسباب النزول ليست منشئة للآيات ولا هي العلة في تشريع الاحكام، وانما هي مناسبات النزول — تساعد مجرد مساعدة — على فهم الآيات فالسؤال عن الأهلة او الخمر او الروح ليس المنشأ للآيات ولا للاحكام الواردة فيها ، وانما هو مقارن للوحي بالآيات المعبرة عن سنن الله واحكامه في هذه الآيات وهذا عكس وخلاف التصورات والاحكام الانسانية التي ينشئها الواقع ويحدد لها المضامين وربط النص القرآني بسبب النزول وتعليق الأحكام التشريعية القرآنية بوقائع نزولها منهج (مادي — ماركسي) يجعل النص ثمرة الواقع وتابعا له ومعلولا به وجودا وعدما . ([3])

---

[1] - اخرجه البخاري كتاب مواقيت الصلاة — باب الصلاة كفارة ١/ ١٩٦ — ١٩٧ ومسلم كتاب التوبة باب قوله تعالى (ان الحسنات يذهبن السيئات) ٤/ ٢١١٥

[2] - محمد عمارة ، سقوط الغلو العلماني ، دارالشروق، ط١سنة ١٩٩٥ ص ٢٤٧

[3] - نفس المرجع والصفحة

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أضف الى ذلك أن القول بتاريخية احكام القرآن الكريم تعني حدوث فراغ في المرجعية الدينية للبشرية كلها، اذ لا رسالة بعد رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولا وحي بعد القرآن الكريم، واذا حدث هذا الفراغ المرجعي — ولن يحدث لأن الله تعهد بحفظ دينه — زالت حجة الله على العباد في الحساب والجزاء لأن صفة الخلود غير ملازمة لأحكام القرآن الكريم — حسب رايهم — وبذلك سيقولون ان أحكام القرآن الكريم نسخها التطور البشري وتجاوزها الواقع على حد زعمهم .

وساق الحداثيون العرب أمثلة عدة تدلل على قولهم بتاريخية الأحكام منها الارث والشهادة والتعدد ... الخ

. ففي موضوع الارث قالوا ان توريث المرأة في الاسلام ارتبط بظروف اجتماعية كانت تفضل الرجل على المرأة، اما في عصر المساواة واعطاء الحقوق الكاملة فيجب ان تتساوى المرأة في ميراثها مع الرجل، وقالوا ان الآية القرآنية : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ ..... النساء: ١١

تدل على محاباة الاسلام للرجل على حساب المرأة .

ومعلوم ان الاسلام لم يجعل هذا الحكم قاعدة عامة في الارث، اذ ليس في كل الحالات يأخذ الذكر ضعف الأنثى .

ففي مجال التقعيد للارث استخدم القرآن لفظا عاما هو لفظ النصيب لكل الذكور والاناث على السواء قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنۡهُ أَوۡ كَثُرَۚ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا ﴾ النساء: ٧

ومعيار التفاضل في أنصبة الميراث لا علاقة لها بالجنس — ذكورة او أنوثة — على غير ما يظن الكثيرون — وانما معايير هذا التفاوت هي :

١- درجة القرابة فكلما كان الوارث اقرب الى الموروث زاد نصيبه في الميراث .

٢- موقع الوارث في تسلسل الأجيال وهي حكمة الهية بالغة الأهمية في نظرة الاسلام للميراث، فكلما كان الوارث صغيرا من جيل يستقبل الحياة وأعباءها وامامه مسؤوليات الحياة من زواج وتعليم واولاد .. كان نصيبه من الميراث أكبر، فابن المتوفى يرث اكثر من

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أب المتوفى — وكلاهما ذكر- وبنت المتوفى ترث اكثر من امه — وكلاهما انثى — بل ان بنت المتوفى ترث اكثر من ابيه .

العامل الثالث في تفاوت أنصبة الميراث هو العبء المالي الذي يتحمله ويكلف به الوارث طبقاً للشريعة الاسلامية، فاذا تساوت درجة القرابة وموقع الجيل الوارث — مثل مركز الاولاد — اولاد المورث — مع تفاوت العبء المالي بين الولد الذكر — المكلف برعاية واعالة زوجة وأسرة واولاد — وبين البنت التي سيعولها هي واولادها زوج ذكر هنا يكون للذكر مثل حظ الانثيين وهو تقسيم عادل راعى المرأة وميزها احتياطا لاستضعافها .

هذه الحقائق التي يجهلها دعاة التاريخية أو يتجاهلونها تؤكد أن المرأة وفي حالات كثيره ترث مثل الرجل أو أكثر منه أو ترث ولا يرث الرجال في أكثر من ثلاثين حالة من حالات الميراث الاسلامي بينما هي ترث نصف ما يرث الذكر في أربع حالات فقط .

والمرأة ترث بطريقين : الطريق الأول بالفرض : وهو حصة محددة لا تزيد ولا تنقص فالمرأة وعلى سبيل المثال لا الحصر تستحق نصف تركة والدها ان لم يكن هناك أبناء غيرها .

وثلثي تركة والدها ان كن بنتين فقط ونصف تركة جدها لأبيها ان لم يكن هنالك احفادآخرون مثلها، وثلثي تركة جدها لأبيها ان كن حفيدتين فقط، وفي هذه الحالة قد يكون نصيبها اكبر بكثير من نصيب اي وارث آخر من التركة من الرجال ان كانوا من رجل واحد .

الطريق الثاني : بالتعصيب وفي هذه الحالة تأخذ المرأة نصف ما يأخذه من التركة فالبنت تأخذ نصف ما يأخذه اخوها، والزوج يرث نصف تركة زوجته ان لم يكن لها ولد، ويرث ربع تركة زوجته ان كان لها ولد، والزوجة ترث ربع تركة زوجها ان لم يكن له ولد وترث ثمن تركة زوجها ان كان له ولد

اذن فبنت المتوفى ترث اكثر من ابيه فلها النصف او الثلث وله السدس وام الشخص ترث مثل ابيه له السدس ولها السدس، وام الشخص ترث اكثر ان لم يكن له ولد اذ تأخذ الثلث . ([1])

---

[1] - انظر : الشلبي ، مصطفى ، احكام المواريث بين الفقه والقانون ، دار النهضة العربية — بيروت ، سنة ١٩٧٨ م ، ص١٤٢

وانظر : أحكام المواريث وتوزيع التركات في التشريع الاسلامي ، عدلي أمير خالد ، دار الجامعه للنشر والتوزيع ،

© Arabic Digital Library Yarmouk University

اما بالنسبة للشهادة فالأمر مرتبط بالخبرة في امور معينة ومرتبط بحياء المرأة في جرائم الزنا التي تحتاج الشهادة فيها الى تفصيل دقيق لاثبات الجريمة مما يتنافى مع حياء المرأة، علما بأن هنا أمورا تقبل فيها شهادة المرأة دون شهادة الرجل وهي تلك التي تهم المرأة في شؤونها الخاصة ..ونتذكر دائما قوله تعالى: ﴿ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴾البقرة: ١٤٠

يقول طه عبد الرحمن : (النص الخاتم يمتد زمنه الى ما بعد زمن نزوله حتى ان كل زمن يليه يكون زمنه،فيتعين أن نبحث في الآيات القرآنية لا عن علامات الماضي حتى نوقف صلاحيتها على هذه العلامات واقعين في تاريخية ماضوية وانما ان نبحث فيها على علامات الحاضر حتى نستمد منها معالم الاهتداء في الحياة الآتية صانعين لتاريخية مستقبلية، فلا بد للنص الخاتم ان يكون نصا راهنيا، وأن يكون راهنيته راهنية دائمة، أضف الى هذا أن القرآن اختص بقيم اخلاقية وروحية عليا والقيم لا ينال منها توالي الزمن كما ينال من الواقع بل من القيم ما تنال من الزمن ولا ينال منها ذلك لأن ارادة تطبيق هذه القيم تكون هي السبب في صنع التاريخ). ([1])

هل يدرك الحداثيون العرب هذا ام يخفونه لأغراض يريدونها .

يريد الحداثيون العرب للمسلم العادي ان ينتمي الى حزب شيوعي او ان يلبس عباءة الاستغراب الدخيل حتى يصبح عصريا حداثيا .

فهل مطلوب منه ان يتبرأ من دينه ويرمي به عرض الحائط ليعيش في صحراء التسكع الفكري يحتمي بخيمة الغرب المادي او الشرق الملحد من زمهرير واعاصير الافكار الغربية والشرقية .

ان المسلمين كل المسلمين يؤمنون بان القرآن الكريم كلام الله عز وجل وان احكامه وحقائقه مكتملة وجاءت لتلبي متطلبات البشر في كل عصر ومكان.

يقول العادلي : (غني عن الاشارة بان الذات الالهية ذات منزهة عن كل نقص حية عالمة مريدة بذاتها لامكان لأي تحول في ذاتها .

والدين منجز انجازاً تاماً حيث لا تحول في ذات حقائقه ولا ولادة لغايات مغايرة أخرى

الاسكندريه ط ١ سنة ٢٠٠٠ م ص ٥٢ وما بعدها

[1] - طه عبد الرحمن ، روح الحداثة ، ص ٢٠٤

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فالمستوى / المضموني والقيمي والنهائي مستقر وثابت وان امتاز بالحيوية الابداعية فهذه الابداعية التجددية ممتدة طوليا لا عرضياً . ومن خلال استقرار حركة الدين عبر التاريخ الانساني فاننا نلحظ وحدة الدين في حركة المعتقد ومقاصد النظام ولون الغاية منذ آدم عليه السلام وحتى النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم فلم يذكر القرآن لنا أن هناك اديانا متعددة للبشر ، انما هو دين واحد جوهره التصديق العملي بالحقائق التي تمثل سر الوجود ، والتسليم لها في مقام الامتثال والانتهاج العملي ، فوحدة الدين تعني وحدته الذاتية النوعية المستقرة على صعيد مضامينه وغاياته باعتباره منجز منذ لحظة ولادته ، فالثبات في الدين تدل عليه غاياته وحقائقه التي لا تقبل الانفصام والتعارض في ذاتها ومقاصدها .) ([1])

إن اسقاط المفاهيم الغربية على ديننا ما هو الا حالة مرضية فرضها المثقفون العرب على انفسهم تحت ضغط الشعور بالهزيمة الحضارية امام الغرب المتفوق ماديا فلجأوا الى تحقير — محاولة تخريب — ما عندهم من اجل اقناع انفسهم والآخرين بالبديل الغربي المتقدم .

والفكر عندما ينطلق بعيدا عن خصوصيته وهويته الحضارية فانه يصبوغ لأمته ومجتمعه ثقافة مشوهة مدمرة تابعة مهزومة ومنعزلة عن محيطها الثقافي ، ونسقها العقائدي والفكري، فاعتماد مضامين فكرية مستوردة ومغايرة ستحدث — بداهة — خللا وتناقضا سواء من حيث المفاهيم أو من حيث النتائج .

فالغرب حتى لو وصل الى القمر وتقدم ماديا لكنه مفلس في مجال القيم ولا مخرج له من حياته المادية الا باحكام القرآن التي توازن بين المادة والروح بطريقة تلبي كل متطلبات الانسان .

لكن هدف الحداثيين واضح وهو اقصاء القرآن الكريم عن الساحة الفكرية والتشريعية للأمة، وحصره في أمور وجدانية واخلاقية ضيقة لا صلة لها بتوجيه دفة الحياة، ولكن هيهات وقد تعهد الله بحفظه وبدوام نوره الى قيام الساعة .

بقي ان نقول : ان اي باحث منصف سيجد نفسه امام نتيجتين خطيرتين تجعلان من النص الالهي المقدس — القرآن الكريم — كتابا مجرد اثر من اثار الثقافة العربية التي عرفتها

---

[1] - حرب المصطلحات ، ص ٤٦ وما بعدها بتصرف

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مكة المكرمة والمدينة المنورة في فترة بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم وان هذا الأثر مات بموت صاحب الرسالة وانتهى دوره كتشريع ومنهج حياة، وليس له ان يقتحم حياتنا نحن ابناء القرن الحادي والعشرين، لأنه قد استنفد أغراضه مع انتهاء المدة التي عاشها الرسول صلى الله عليه وسلم !!!

هل ادرك الحداثيون العرب هذه النتيجة الخطيرة؟ لا بل هل قصدوها؟ معظم كتاباتهم تؤكد ذلك ودون مواربة، لان من يتصدى لدراسة النص القرآني المقدس ويطرح مثل هذا الطرح – تاريخية النص – لا شك انه يقصد ذلك ويريده .

ويترتب على ذلك نتيجتان خطيرتان الأولى :

تعطيل النص القرآني عن العمل اذ ان نزول القرآن كان متلازما مع تكليف الرسول صلى الله عليه وسلم بالنهوض بمهمة البيان والتبليغ للناس كافة، وآيات التبين منها المكية ومنها المدنية ليدل على ان التكليف بالبيان استمر بدءا منذ الوحي في مكة وحتى انتهاء فترة النبوة بالتحاق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى في المدينة وهذه الآيات هي :

١- قال تعالى: ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ النحل: ٤٤ مكية

٢- قوله تعالى ﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ النحل: ٦٤ مكية

٣- قوله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ابراهيم: ٤ مكية

٤- قوله تعالى ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ المائدة: ١٩ مدنية

٥- قوله تعالى ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾ المائدة: ١٥ مدنية

وجاء وصف الرسول صلى الله عليه وسلم بانه (المبين) في آيات كثيرة من القرآن الكريم وهذه الآيات كلها تؤكد تكليف الرسول صلى الله عليه وسلم بالقرآن الكريم للناس كافة وهذا يؤكد انه عليه الصلاة والسلام لم يترل لأهل مكة او المدينة او للعرب فقط بل للناس كافة وتحدثنا عن هذا في عالمية الرسالة .

وهذا يؤكد امتداد مهمته صلى الله عليه وسلم خارج نطاق المكان والزمان اللذين ارسل فيهما عليه الصلاة والسلام .

امام هذه الحقيقة هل يريد الحداثيون القول بان النص القرآني اصبح في متحف التاريخ وتجاوزته العصور والاجيال وقد استنفد اغراضه وانه لم يعد سوى موروث يدرس لمزيد من حب الاستطلاع على سّير الأمم وتاريخها ؟ والناس بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم خارج نطاق الرسالة والبيان لذا فهم غير محاسبين على اعمالهم !!!

ان التاريخية تعطيل للنص القرآني المقدس الخالد باحكامه وتشريعه الى قيام الساعة .

النتيجة الثانية : تعطيل كل انواع البيان التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله او فعله او تقريره .

إن القول بتاريخية القرآن الكريم تؤول بداهة الى القول بتاريخية هذا الدين وبالتالي تاريخية كل ما صدر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ومعلوم دور السنة النبوية في بيان ما أجمل وأبهم من القرآن الكريم وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم لأمته في حجة الوداع :

ايها الناس اسمعوا قولي فاني لا ادري لعلي لا القاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف ابدا ان دماءكم واموالكم حرام عليكم الى ان تلقوا ربكم .

انها فترة تستغرق الزمن كله والحياة كلها وتؤكد وصية الرسول عليه الصلاة والسلام للأمة الى قيام الساعة .

وكذلك حديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن علامات الساعة، وعن الفتن في قابل الأيام، وعن الفساد في آخر الزمن كقوله عليه الصلاة والسلام :(صنفان من اهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مميلات

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وان ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذ) ([1])

في هذا الحديث وصف حال، واصدار حكم على صنفين من الناس لم يرهما الرسول صلى الله عليه وسلم يأتون بعده (لم يعاصروه) ومع ذلك وصف حالهم واصدر الحكم الذي ينطبق عليهم يوم القيامة فهل مثل هذه الأحاديث النبوية تحمل طابع الفترة التي عاشها الرسول صلى الله عليه وسلم أم أنها تتعدى كل الأزمان الى قيام الساعة ؟

وهكذا نجد أن دعوى التاريخية دعوى متهافته يرفضها العقل السليم .

ان قيمة عالمية القرآن الكريم من القضايا المهمة التي يتحتم علينا تبيينها وذكر وجه الصواب فيها بالبراهين العقلية، والحجج النقلية، والأدلة الناصعة للرد على أولئك النفر الذي يقول بتاريخية القرآن الكريم وينكرون بالتالي عالميته وخلود أحكامه .

ونحن المسلمين نؤمن ايماناً جازماً منذ بعث الله هذا الكتاب الى يومنا هذا والى قيام الساعة أن القرآن الكريم هو كتاب الله الذي خاطب به البشرية كلها الى يوم القيامة بلا تقيد بزمان او مكان دون مكان او جنس دون جنس او طبقة دون طبقة خاطبهم جميعا بما يسعدهم في دنياهم واخراهم خاطبهم بالعقائد التي تليق بعظمة الله عز وجل والعبادات التي ترفع من شأن الانسان، والاخلاق التي تسمو به وبسلوكه مما يشكل باحكامه وتشريعاته بديلا حضاريا يتضمن اكرم حضارة عالمية انسانية ترتقي بالبشرية وتقودها الى بر الأمان.

وتضافرت أدلة نقلية وعقلية تؤكد عالمية القرآن الكريم منها :

الأدلة النقلية : أن عالمية القرآن الكريم مؤكدة من خلال الكتاب والسنة اما من القرآن الكريم فقوله تعالى ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ يوسف: ١٠٤ وقوله تعالى ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ص: ٨٧ وقوله تعالى ﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ القلم: ٥٢ وقوله تعالى ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ التكوير: ٢٧

---

[1] - مسلم : حديث رقم ١٣٨٨

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ولو امعنا النظر في هذه الآيات القرآنية نجد أنها جاءت في صورة الحصر والجملة بهذه الصورة الحصرية تنفي عن القرآن الكريم كل صفة تنافي عالميته وتجعل هذه العالمية منصوصا عليها .

وصيغة العالمين وهي جمع وتعريفها ب (ال) التعريف تدل في العربية على الاستغراق كما ذكروا ان من صيغ العموم الجمع المعرف ب (ال) ولفظة عالم - مفرد عالمين فيها دلالة صريحة على العموم فان معناه كل ما يعلم به وجود الصانع من كل ما في الكون، فاذا جمع بالواو والنون كما هنا يكون خاصا بالعقلاء من الانس والجن اجمعين فتدل هذه اللفظة (العالمين) على ان القرآن جاء للعقلاء من الانس والجن جميعا بلا تقييد بزمان ومكان او طبقة او جنس وهذا ما اكده الرازي بقوله : لفظ (العالمين) يتناول جميع المخلوقات فدلت الآية على انه رسول للخلق عامة الى يوم القيامة . ([1])

وبداهة فعموم رسالته عليه السلام انما تتحقق بعالمية كتابه الذي ارسل الى الناس كافة وهو يشكل رسالته التي يبلغها للناس عامة .

وهناك آيات كثيرة تدل على عموم الرسالة وعالمية القرآن الكريم كقوله تعالى ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ الفرقان: ١ وقوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ الزمر: ٢٧ فكلها آيات تؤكد عموم الرسالة وعالمية القرآن من غير تقييد بزمان دون زمان او مكان دون مكان وتؤكد ان العقلاء المكلفين بدءا من البعثة المحمدية الى قيام الساعة تجعلهم محلا مناطا لنزول القرآن الكريم والانذار به .

وفي قوله تعالى ﴿ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ الأنبياء: ١٧ يقول ابن عاشور : (صيغت بأبلغ نظم اذ اشتملت هذه الآية على وجازة الفاظها على مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ومدح مرسله تعالى ومدح رسالته بأن كانت مظهر رحمة الله للناس كافة وبأنها رحمة الله تعالى بخلقه فهي تشتمل على أربعة وعشرين حرفا بدون حرف العطف الذي عطفت به، ذكر فيها الرسول ومرسله تعالى

---

[1] - تفسير الرازي ٤ / ٢٥

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والمرسل اليهم وخصوصية الحصر وتنكير (رحمة)(للتعظيم) اذ لا مقتضي لايثار التذكير في هذا المقام غير ارادة التعظيم والا لقيل : الا لنرحم العالمين أو الا أنك الرحمة للعالمين، وليس التنكير للافراد قطعا لظهور ان المراد جنس الرحمة ([1])

ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم : (والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي او نصراني يموت و لم يؤمن بالذي ارسلت به الا كان من اصحاب النار .) ([2])

يقول حسين مروه : (إن الدين الجديد – الاسلام – ظهر حاملاً لا بمضمونه الاجتماعي والايماني وحسب بل كذلك بكثير من أشكاله الدينية والعقائد الايمانية صفته التاريخية أي كونه جاء تطويراً لما كان يتحرك في أحشاء المجتمع الجاهلي من اتجاهات ، اجتماعياً ودينياً وفكرياً نحو تغيرات تاريخية .)) ([3])

هذا تحليل تاريخي من منظور المادية التاريخية لعصر ظهور الاسلام والقرآن ، فهو يدعي أن القرآن بما حمل الى الناس من تشريع وتنظيم ومعارف ورؤية كونية يعكس حركة اجتماعية جديدة أرادت تغيير الواقع الجاهلي ، وهو بذلك يستبعد الوحي كمصدر للقرآن الكريم .

وهنا لا بد من التأكيد على قضية مهمة وهي ان القرآن الكريم كان مستقلا عن السياق التاريخي الاجتماعي والحضاري لا من حيث الشكل ولا من حيث المضمون بعيدا كل البعد عن حركة التطور للمجتمع الجاهلي وتعبير عن ووهمي طبقي كما يدعي الماديون . صحيح أن القرآن عكس في سور كثيرة واقع العصر الجاهلي عقائديا واجتماعيا واخلاقيا وأورد أقوال المعارضين له من يهود ونصارى ومشركين ورد عليهم وحاجهم وبين أنه كانت تنزل آياته على أسباب ودواع ، وأنه بذلك كان متصلا بواقع العصر الذي نزل فيه اتصالاً وثيقاً .

الا أن احكامه وتشريعاته لم تكن صادرة عن أي مؤثر من مؤثرات ذلك العصر ، فلم يكن

---

[1] - ابن عاشور ١٦/١٦٥

[2] - انظر : صحيح مسلم ، كتاب الايمان

[3] - انظر : حسين مروة ، النزعات المادية في الفلسفة العربية الاسلامية ١/ ١٥٧

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يعبر عن أي موقف من المواقف السياسية او الدينية او الثورية، فالقرآن الكريم وان كان مستقلا عن السياق التاريخي لعصره لكنه لم يكن منفصلا عن ذلك العصر بل جاء وحيا من السماء لعلاج انحراف البشر في عقائدهم وتصوراتهم . ([1])

والذين يقولون بتاريخية القرآن الكريم نقول لهم ان القرآن الكريم متحرر من قيود الزمان والمكان من حيث التكوين والنشوء لأنه كلام الله الأزلي ، وهو غير مرتبط بزمان أو مكان بخلاف التراث لأنه جهد بشري في اطار الزمان والمكان ، فلا يمكن معرفة أي مادة تراثية الا بارتباطها بالزمان والمكان والحدث والاشخاص .

والحقائق الدينية التي جاء بها القرآن الكريم مطلقة وغير محددة بحدود الزمان والمكان لأنها من الله العليم الخبير، فهي لا ترتبط بعمر الانسان ولا بزمان او مكان معينين وهي ممتدة من الدنيا الى الآخرة، مثال ذلك حقيقة التوحيد هل يمكن ان تكون تاريخية ؟ اي مرتبطة بزمان ومكان؟ ام أنها تمتد وجودا وأثرا لتشمل الدنيا والآخرة غير مرتبطة بزمان ومكان . فحقائق الدين التي جاء بها القرآن الكريم غير مقترنة بالدنيا بكل عمرها وتاريخها القصير، بل هي خالدة والخلود متحرر من قيود الزمان والمكان البشريين .

اضف الى ذلك ان الدين كامل من حيث مضمونه واهدافه وغاياته.

والصيرورة التاريخية التي يقول بها الماديون — هي من خصائص المتحول — رقيا او انحطاطا — حيث تتداخل عوامل لا حصر لها في انضاجه لمستوى معين او انحداره لمستوى آخر تبعا لتأثرها بظروف وعوامل معينة .

وهذا قد ينطبق على التراث لأنه مرتبط بابداع البشر صعودا او انتكاسا وهذا التقلب هو من سمات البشر حسب تفاعلهم الحضاري، اما بالنسبة للدين فالمصدر هو الله عز وجل وهو منزه عن النقص لا مكان لأي تحول او تقلب فيه، كيف لا وهو من عند الله عز وجل :" اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا" والدين منذ آدم عليه السلام والى قيام الساعة واحد لا يتبدل ولا يتغير، فالوحدانية لا تتغير ولا تتبدل انما تطورت الشرائع حتى اكتملت بالاسلام والقرآن الكريم — كلام الله مقدس عن العيب، خال من النقص ، وهو بذلك ممتنع عن النقد أو التقويم .

---

[1] - انظر : جدلية العقل والنقل ، ص ١٧٢ وما بعدها بتصرف

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الرابع : اخضاع القرآن الكريم للنقد العبثي

القرآن الكريم كلام الله تعالى وهو بهذه الصفة مقدس ومنزه عن النقد ، وسالم من كل شائبة ، فقدسيته مستمدة من مصدره الرباني ، لهذا فهو ممتنع عن كل أنواع النقد والتقويم البشري ، باعتباره حقا محضا لا سبيل للباطل اليه اطلاقا ، لذا فهو يمثل المرجعية التشريعية الأولى للمسلمين في تنظيم شؤون حياتهم الدينية والدنيوية قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ الإسراء: ٩ هذه القداسة وهذه المصدرية الربانية تعني التسليم والانقياد للقرآن الكريم باعتبار قداسته ومصدريته وتشريعاته ، فلا يجوز للمسلم أن يستنكف عن التسليم والانقياد لكلام الله وأن يعمل عقله ورأيه فيه قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ النساء: ٦٥ وهذا التسليم والانقياد لكلام الله عز وجل جاء لعدة اعتبارات أهمها :

١- مصدره : وهو الله تعالى الكامل المقدس والمنزه والذي لا مصلحة له بايثار فرد أو فئة أو تجربة أنسانية على أخرى انطلاقا من الاهداف الضيقة ، أو المصالح الآنية أو المنافع الذاتية — تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا — بل الدين هنا للانسانية كافة قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ النساء: ١٧٤

٢- من تكامله وشموليته في تناول قضايا الانسان والمجتمع والحياة من خلال خطوطه الثابتة والمتحركة التي تتعاطى والتجارب الانسانية على تنوعها القيمي والتشريعي قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ النحل: ٨٩

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وهذا الشمول والتكامل من أهم دعائم البقاء والخلود لهذا الدين كيف لا وهي متمدة من كلام الله عز وجل .

ولن يستطيع أي منهج البقاء والتجذر في الحياة لو اعترى النقص والجمود أي جانب من جوانبه المتصلة بالحياة ، لذا فالتكامل مهم لبقاء أي منهج يريد أن ينظم شؤون الحياة .

٣- من واقعيته في التعاطي مع الوجود الانساني التي تؤهله لمقام المرجعية

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ ﴾ الحج: ٧٨ فلا بد وأن يمتاز الدين باليسر والسماحة في تعاطيه مع الانسان والمجتمع والحياة ، لأن العسر والشدة يقودان الى النفور والاعراض والبحث عن بدائل أخرى ، فواقعية هذا الدين تكمن في مطابقته للتكوين الخلقي للانسان بشقيه المادي والروحي ، وليس هناك من هو أعلم بالانسان من خالقه

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ الملك: ١٤

٤- ومن هدفه العظيم المتمثل باخراج الناس من الظلمات الى النور ، مما يؤهله ليكون هاديا ومرجعا لحركة الحياة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ ابراهيم: ١

هذه حقائق مختصرة ومستقرة في وجدان كل مسلم تجاه القرآن الكريم ، مشبعة بالقداسة والتسليم والاذعان لكل أوامره وتعاليمه ، والخروج على هذه التعاليم الربانية يعني نفي القداسة عن القرآن الكريم وعدم الاذعان لتشريعه ومصدريته وعدم الايمان بقدرته على أن يكون منهج حياة للبشرية كلها .

وخرج علينا في العصر الحديث من وصل به العبث والجرأة أن يوجه سهام نقده وعبثه لكلام الله عز وجل غير عابيء بقدسيته ومصدريته يقول طه حسين : (لا شك أن الباحث الناقد والفكر الجريء لا يفرق في نقده بين القرآن وبين أي كتاب آخر .) ([1]) ويقول نصر حامد أبوزيد : (منذ نزل القرآن في كلمات عربية أصبح بشريا يجوز الطعن فيه وعليه وتجوز مناقشته ويجوز فيه ما يجوز على الكلام البشري من خطأ وصواب). ([1])

[1] - انور الجندي : طه حسين حياته وفكره ص ١٤٤

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وكانت صور نقدهم وعبثيتهم في كتاب الله عز وجل تتمثل في اعتراضهم على أحكامه ، وادعاء التناقض فيها ، ومخالفة القرآن الكريم لقواعد اللغة ..... الى غير ذلك من طعون سبقهم بها المستشرقون ، سنرى تهافتها وعدم مراعاتها لأبسط مناهج البحث العلمي .

الاعتراض على بعض أحكام القرآن الكريم :

ينكر نصر حامد أبو زيد وجود الشياطين ويجعل وجودها وجودا وهميا ، وادعى أن القرآن الكريم ساير العرب فيما اعتقدوه من وجودها ، وكذلك السحر والحسد والجن ، وهو بذلك ينكر الكثير من آيات القرآن الكريم ، ووصل به الأمر الى السخرية من القرآن الكريم فيقول :(وقد حول النص الشياطين إلى قوة معوقة جعل السحر أحد أدواتها) ([1]) ويريد بذلك النقد العبثي لكلام الله أن يثبت مسايرة القرآن الكريم لأحوال العرب في ذلك الوقت ، والتي كانت تؤمن بالجن والشياطين والسحر والشعوذة ، وكأنه يريد من الناس التخلص من هذه الأمور لأنها — بنظره — معوقه لقوى العقل والابداع [2].

وينكر أبو زيد وجود الجن في مواضع عدة من كتبه ، ينكرها كمخلوقات لها وجودها الحقيقي ، وينكر اثبات القرآن لها في آيات واضحة من كتاب الله عز وجل .

وينسب أبو زيد للقرآن الكريم تطوير صورة الجن تبعا لتطور معطيات الثقافة العربية في ذلك الوقت فيقول : (ان سورة الناس مكية والنص — أي القرآن الكريم — طوره الى ما يشبه الناس من انقسامهم الى مؤمنين وكافرين كما في سورة الجن .) ([3])

ونسي أبو زيد أن سورة الجن مكية وهي قريبة في ترتيب النزول من سورة الناس .

سوء الأدب مع الله عز وجل :

---

[1] - شاهين ، عبد الصبور ، قصة أبي زيد والخسار العلمانية في جامعة القاهرة ص ٨٦

[2] - نصر حامد ابو زيد : نقد الخطاب الديني ص ٢٠٦

[3] - المرجع السابق نفس الصفحة

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وصل الالحاد عند كثير من الحداثيين العرب الى درجة اساءة الأدب مع الله عز وجل يقول حسن حنفي : (ليس واجب الوجود كائنا شخصا يحس ويشعر ويسمع ويرى ويتكلم ويريد بل هو المثل الانساني الأعلى ، وغاية الانسان القصوى .) ([1])

ويقول ايضاً : (في اللحظة التي يقل فيها وعي الانسان بوجوده يغترب في العالم ، فأنه يشخص وجوده في وجود آخر ، متجاوزاً به عن وجوده المأساوي في وجود آخر أرحب عن طريق الخيال تعويضا عن وجوده الهش المتأزم ، وجلبا للطمأنينة والسلام حتى يعيش في وفاق مع نفسه ، وفي وئام مع العالم من خلال الوجود الزائف ، وانها لمهمة الانسان ومسؤوليته ان شاء أن يسترد وجوده بعد أن أعاره لغيره في لحظة ضعف وهوان .) ([2])

ويقصد حنفي أن الارتباط بالله عز وجل طاعة وعبادة ما هو الا حالة نفسية مأزومة تدل على القلق والخوف ، ولا يسترد الانسان وجوده ، ولا يشعر باستقلاليته الا اذا تخلى عن طاعة وعبادة الله عز وجل ، أو أنكر وجوده سبحانه .

ويسقط حنفي هنا فلسفة الاغتراب عند فيورباخ وملخصها : أن الانسان عندما يفقد وعيه بنفسه يغترب عنها فيعطي الكمال لآخر ، وعندما يسترد وعيه وشعوره بحقيقته وبنفسه لا يجد نفسه مضطرا الى الوعي الزائف وهو تأليه الآخر . ([3])

وعندما وضع حنفي كتابه من (العقيدة الى الثورة) قال في أوله : (واذا كان القدماء قد وضعوا عقائدهم بناءا على سؤال الأمراء والسلاطين ، أو بعد رؤية صالحة لنبي أو ولي ، أو بعد استخارة الله فاننا وضعنا من (العقيدة الى الثورة) دون سؤال من أحد أو رؤية أو استخارة ، وكما يستعين القدماء بالله فاننا نستعين بقدرة الانسان على الفهم .) ([4])

---

[1] - حسن حنفي : من العقيدة الى الثورة ١/ ٤٦٨

[2] - المرجع السابق ٢/ ١٠٧

[3] - منى الشافعي : التيار العلماني الحديث وموقفه من تفسير القرآن الكريم ، جامعة الأزهر القاهرة سنة ٢٠٠٥ م ص ٤٦٧

[4] - حسن حنفي : من العقيدة الى الثورة : ص ٤٤

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وليحكم القاريء على حنفي الذي يرفض حتى الثناء على الله تعالى ، ويأبى اثبات الحمد له سبحانه ، كل هذه الكتابات تعطي صفة واضحة ومعبرة عن أصحابها ، اؤلئك الذين وضعوا أنفسهم حماة ومجددين للدين ، وقادة لفكر الأمة !!!!

ولا يتوقف مسلسل النقد العبثي للقرآن الكريم عند هذا الحد فها هو أحدهم يقول صادق جلال العظم : (هل يفترض في المسلم في هذا العصر أن يعتقد بوجود كائنات مثل الجن والملائكة وابليس وهاروت وماروت ويأجوج ومأجوج وجودا حقيقيا غير مرئي أحيانا باعتبارها كلها في القرآن .) ([1])

ويقول خليل احمد خليل : (ليس من العدل التعامل التحريدي مع القرآن فهو من الوجهة التاريخية يخاطب مجتمعا زراعيا رعويا عربيا محددا ، وهو من الناحية النصوصية يحتمل تصورين : التصور الاخلاقي الايماني القائل بالشمول لكل زمان ومكان والتصور التاريخي النقدي القائل بمحدودية توجهه الى ذهنية اجتماعية معينة فبين التعيين والاطلاق تكمن مشكلة الفكر الاعتقادي في عصرنا .) ([2])

ويستمر هذا الكاتب ببيان عبثيته فيفسر مقولته السابقة بعبثية أكثر فيقول : ((يحدد القرآن أحكام الحلال والحرام ولكنه لا يقدم لهما تفسيرا آخر سوى الأمر الديني فهل يمكننا أن نجد وراء هذا الأمر الديني علة اجتماعية أو سببا اقتصاديا أو دافعا ثقافيا ؟ هنا نطرح ايضا مسألة الترابط الجدلي بين العادات الدينية وبين حاملها الثقافي ومتعلقاته الاجتماعية فالحياة الخاصة بالأرض والمواشي في المجتمع الزراعي الرعوي يمكن اعتبارها سببا للتحريم ولظهور حق ملكية الغير .

ويعلل الحلال والحرام على طريقته العبثية فيقول : فوراء الأحكام القرآنية هناك تاريخ اجتماعي للعلاقات الجنسية عند العرب ، وهذه العلاقات متعددة المناحي والمضامين

---

[1] - صادق جلال العظم : نقد الفكر الديني ص ٢٦

[2] - خليل احمد خليل : جدلية القرآن ص ١٣٨

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والأشكال ، وأخيرا ثمة دوافع نفسانية وثقافية وراء ظاهرة التحريم والتحليل ، منها مفهوم الدناسة ومفهوم القداسة باعتبارهما من مكونات الأخلاق الاجتماعية لدى عرب ما قبل القرآن ، فما هو المغزى التاريخي لظاهرة التحليل والتحريم ؟ هل هو مغزى اقتصادي طبقي ثقافي ؟ أم هو مغزى ديني منزل لا جدال فيه ولا سجال .) ([1])

واضح من هذه النصوص طبيعة المنطلق الفكري لأصحابها ، فصاحب مثل هذا المنطلق المادي الجدلي لا يؤمن بالقرآن الكريم ولا بالدين فكيف نناقشه في موضوع القداسة والمصدرية والاجلال والتعظيم لكلام الله ؟ ونحن بذلك كمن يخاطب من فقد كل أدوات السمع والاصغاء .

وبمثل هذا الكلام يدعو نصر حامد أبو زيد الى تجاوز الوحي اذا ما أرادت الأمة الاجتهاد والنهوض فيقول : (ليس من المقبول أن يقف الاجتهاد عند حدود الوحي ، والا انهارت دعوى الصلاحية لكل زمان ومكان من أساسها ، واتسعت الفجوة بين الواقع المتحرك المتطور وبين النصوص التي يتمسك بها الخطاب الديني بحرفيتها .)([2])

انها عبثية وحرب على القرآن الكريم ودعوى صريحة لتجاوزه وتخطيه وهنا نتساءل : لو تجاوزنا الوحي فأي اجتهاد هذا الذي يمكن أن يوصف بأنه اسلامي أو ديني اذا كان بمنأى عن الوحي الالهي ؟ اذا اجتهدنا بمعزل عن الوحي المقدس المعصوم فأننا سنطلق العنان للعبث والهوى ، ولن يكون اجتهادا مبنيا على أسس وضوابط علمية ، بل عبثية ما بعدها عبثية ، ومن يصف مثل هذا العبث اجتهادا فأنه مزور مزيف .

ومن أغرب أنواع العبث في كلام الله عز وجل أن يفرد أحدهم مؤلفا كبيرا مليئا بالعبثية فيقول : (ان الله وأبليس والجن والملائكة والملأ الأعلى كلها مسميات غير حقيقة وغير مرئية .

وما قصة ابليس الا عبارة عن أسطورة ليس لها وجود حقيقي ، ونخرج علينا بالأحكام التالية :

---

[1] - المرجع السابق ص ١٦٢

[2] - نصر حامد ابو زيد : نقد الخطاب الديني ص ٧٢

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١- ان مخالفة ابليس للأمر الالهي بالسجود لآدم تنسجم مع المشيئة الالهية ومع واجبه نحو ربه .

٢- لو سجد ابليس لآدم لخرج عن حقيقة التوحيد وعصى ربه .

٣- ان الدعوى القائلة بأنه كان على ابليس أن يسجد لآدم دعوى فاسدة وعقد مقارنة بعد ذلك بين ابراهيم عليه السلام وابليس). ([1])

فهل بعد هذه الأقوال من تعليق ؟ انها أقوال تبين طبيعة المرجعية الفكرية التي ينطلق منها هؤلاء الحداثيون .

أما النقد العبثي لأحكام القرآن الكريم فحدّث ولا حرج ، فقد خاض الحداثيون العرب فيها بدون ضوابط ولا منهجية ، فأعترضوا على نظام الارث ، وعلى علاقة الرجل بالمرأة ، ومكانة المرأة في الاسلام ، وعلى الحدود والعقوبات ، وعلى الحجاب واللباس الشرعي وعلى عدة المرأة .....الخ .

فلم يتركوا أمراً من أمور التشريع في القرآن الا وأعملوا فيه معاول الهدم والنقد ، وقدموا عقولهم القاصرة على كلام الله عز وجل بطريقة تفتقر الى العلمية والمنهجية .

وها هو فؤاد زكريا يربط الحجاب في الاسلام بالوضع الاجتماعي في الجزيرة العربية ، وبالعقد الجنسية عند العرب فيقول : (لم يكن الحجاب تشريعا عاما للنساء وانما كان مرتبطا في أصله بظروف خاصة هي الرغبة في التمييز بين الحرة والجارية فالحجاب كان ضروريا للحرائر حتى يتميزن عن الجواري ، ذلك أن الوضع الاجتماعي للجواري كان يستلزم أن تكون الجارية مكشوفة لترغيب الناس في شرائها .) ([2])

فالحجاب في نظره قضية تكريس للطبقية الاجتماعية ليس الا .

والأخطر من ذلك أن ينظر الى الحجاب في الاسلام على أنه تعبير عن عقد جنسية فيقول :

---

[1] - صادق جلال العظم : نقد الفكر الديني ، دار الطليعة ، بيروت ص ٥٩

[2] - فؤاد زكريا : الصحوة الاسلامية في ميزان العقل ، دار التنوير للطباعة والنشر ط١ سنة ١٩٨٥ م ص ٢٤

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(ان الاهتمام الزائد بالجنس ، وهو الوجه الآخر لنفس العملة أعني الحرمان وربما الشبق ، ان أي محلل نفساني قادر على أن يكشف الكثير من العقد وراء هذا التصور المبالغ فيه لدور الجنس في حياة الانسان). ([1])

يقول عبد الرزاق قسوم رداً عليه في هذا المجال : (كيف نعلل وجود الحجاب في الملل الأخرى كالمسيحية واليهودية ؟ بل حتى في الملل الوضعية كالبوذية وغيرها ، والحال أن الحجاب ما يزال معمولا به حتى عصرنا هذا لدى أعضاء السلك الديني في هذه الملل والنحل .

فاذا كان الحجاب قضية شكلية ظرفية فلماذا ظهرت في كل الملل الأخرى ؟ ولماذا تتمسك الأسر العريقة في المجتمعات الغربية حتى اليوم بنوع من الحجاب يتمثل في غطاء الرأس وارتداء اللباس المحتشم ؟) . ([2])

ان هذه العبثية تدل على بعد عن المنطق والمنهجية العلمية ، وهي نوع من الأحكام المسبقة والمتعسفة ، والتي تنطلق من فكر قبلي محكوم باطار أيديولوجي مادي ، ويتمثل باعتبار الاسلام بأحكامه وتشريعاته ظاهرة اجتماعية عابرة ، وليس وحياً من السماء .

أما عبثية هشام جعيط فتبلغ مبلغا عظيما في الاسفاف فيقول : (كيف يقبل العقل الناقد العذاب الأبدي فضلا عن كونه جسديا بالنسبة لغير المؤمنين ؟ وكيف للنزعة الانسانية الكونية لعصرنا ان تسمح بذلك ؟اين يكمن الحل للتناقض بين الحرية ومسؤولية الانسان التي يتضمنها مفهوم الحساب ، وبين قدر الله وظلمه أو يكاد التي يترجم عنها القضاء والقدر ؟ هذا الاله ذاته الشخصي المتعالي أي لعبة يلعب ؟ لماذا كان متخفيا ؟ أو ما كان يتكشف مرة واحدة بوضوح للانسان). ([3])

---

[1] - المرجع السابق نفس الصفحة

[2] - عبد الرزاق قسوم : مدارس الفكر العربي الاسلامي المعاصر ، دار عالم الكتب للطباعة والنشر ، الرياض ، ط١ سنة ١٩٩٧ م ص ١٦٣

[3] - انظر هشام جعيط : الشخصية العربية الاسلامية والمصير العربي ، ، بيروت ، دار الطليعة ١٩٨٤ م ط١ ص ١٢٤

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إن مثل هذه العبارات تقشعر لها الأبدان ، وتجرح مشاعر الايمان لدى كل مسلم ، انها عبارات تعادي المنطق ، وتعج بالالحاد والزندقة ، انه رفض لكل قيمة دينية ، وهنا أتساءل هل هذه هي الحداثة ؟؟ .

من يقرأ كتب هشام جعيط المترجمة خاصة كتابه هذا يجد بذاءة عجيبة فهو يتهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالكذب . ([1])

ويعيد فكرة الحلول في الفلسفة ويقول بأن الله يتكلم من خلال الرسول صلى الله عليه وسلم .

نحن هنا لا نتحدث عن عبثية ولا حداثة ولا عقلنة بل نتحدث عن كفر بواح وكلام لا يستحق حتى مجرد الرد ، فهو نمط لما يخرج به علينا دعاة الحداثة من تخط لكل حدود العقل والمنطق وتجاوز لكل معاني القداسة . ([2])

واشترك مع هشام جعيط في العبثية المحضة محمد أركون عندما دعا الى تطوير العقيدة مدعيا أن وجود مسلمات عقائد راسخة يقينية لا تقبل الشك — في قلوب المؤمنين — قائمة على تصديق أصدق القائلين — سبحانه وتعالى — ثم رسوله الأمين صلى الله عليه وسلم تعبير (ارثوذكسية اسلامية) بل ويعدها — هذه العقيدة — العقبة الكبرى في وجه تقدم الفكر العربي حيث يقول :

(وهنا نصطدم بأكبر عقبة في وجه تقدم الدراسات الاسلامية والفكر العربي ألا وهي : التسليم للعقائد ورفض تاريخية تلك العقائد أي رفض ارتباطها بجميع العوامل المحركة للمجتمع ككل من اجتماعية وثقافية واقتصادية وسياسية) . ([3])

إن ادعاء أركون بأن العقائد مرتبطة بتطور المجتمع أمر مرفوض عقلاً ونقلاً ، فالمصدر الذي تؤخذ منه مسائل التوحيد وأصول الدين هو الوحي ، وقد بين الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم أصول التوحيد كاملة .

ومر معنا كيف جمع الاسلام بين مصادر المعرفة بطريقة تكاملية ، جمع بين الحواس والعقل

---

[1] - نفس المرجع السابق ص ١٢٥

[2] - نفس المرجع السابق ص ١٣٠

[3] - محمد اركون : الفكر الاسلامي قراءة علمية ص ١٥

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والوحي واعتقاد أهل السنة قائم على أن الأدلة العقلية الصريحة توافق ما جاءت به الرسل ، وأن صريح المعقول لا يناقض صحيح المنقول . ([1])

يقول ابن تيمية رحمه الله : (فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم باحسان أنه لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن برأيه ولا ذوقه ولا معقوله ولا قياسه ولا وَجده فانه ثبت عنهم بالبراهين القطعيات والآيات البينات أن الرسول جاء بالهدى ودين الحق وأن القرآن يهدي للتي هي أقوم). ([2])

وقول أركون ان التسليم للعقائد الموروثة وعدم الشك فيها هو استسلام للعقلية الاسطورية ونبذ للعقلية العلمية ، هذا القول يتنافى مع أبسط معاني العقيدة الصحيحه التي يشترط فيها اليقين المنافي للشك .

يذكر طه عبد الرحمن جملة مسلمات استوردها الحداثيون العرب من الحداثة الغربية وآمنوا بها وبضرورة تطبيقها على ديننا وتراثنا ومن هذه المسلمات :

- أن العقل يعقل كل شيء
- أن ا لانسان يسود الطبيعة
- أن كل شيء يقبل النقد

وأبطل هذه المسلمات الثلاث وما يهمنا في هذا المطلب المسلمة الثالثة : وهي (أن كل شيء يقبل النقد) .

وأكد فساد هذه المسلمة التي بنيت على افتراضين كلاهما باطل ، أحدهما : أن النقد هو الطريق الوحيد الذي يوصّل الى الحق في كل شيء والصواب أن طرق المعرفة لا تنحصر في النقد فنقيضه — وهو الخبر — هو واحد من هذه الطرق فالمعرفة عن طريق الخبر أيقن من المعرفة عن طريق النقد

نظراً لأن المعرفة النقدية معرضة للمساءلة والمراجعة ، وربما تكون في بعض حالاتها نسبية ، فما يراه شخص لا يراه آخر لاختلاف العقول والمشارب الفكرية ، في حين أن المعرفة الخبرية قد تكون حقيقة ناصعة لا شك فيها .

---

[1] - انظر ابن تيمية : درء تعارض العقل مع النقل ١/ ٢٣١

[2] - ابن تيمية : مجموع الفتاوى ١٣ / ٢٨

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الافتراض الثاني : أن كل الأشياء ظواهر بحيث يمكن اجراء النقد عليها والصواب أن من الأشياء ما ليس بظواهر كالقيم الروحية والمثل العليا فهذه لا ينفع في معرفتها التشكيك فيها وأنما الذي ينفع فيها الثقة بها والعمل على وفقها . ([1])

ولجأ الحداثيون العرب لتحقيق هذا الهدف — نقد كل شيء بما فيه القرآن الكريم — الى البدء بنقد علوم القرآن اذ يعتقد الحداثيون العرب أن علوم القرآن تمثل حجر عثرة أمام الفهم الحداثي للقرآن الكريم يقول نصر حامد أبو زيد : (ان كل الخطابات تتساوى من حيث هي خطابات وليس من حق واحد منها أن يزعم امتلاكه للحقيقة لأنه حين يفعل ذلك يحكم على نفسه على أنه خطاب زائف) . ([2])

وكانت جرأة أركون أوضح اذ قال : (نحن نهدف من خلال هذه الدراسة الى زحزحة مفهوم الوحي وتجاوزه اقصد زحزحة وتجاوز التصور الساذج والتقليدي الذي قدمته الأنظمة اللاهوتيه عنه) .([3])

اذن لقد اوضح أركون عن هدفه الحقيقي من كل هذه المؤلفات والمقالات والدراسات وهو زحزحة مفهوم الوحي وتجاوزه ، فهو يسعى إلى زعزعة قداسة القرآن ، والولوج إلى دائرة اللامفكر فيه .

يبين طه عبد الرحمن أن من الأخطاء التي وقع فيها الحداثيون العرب هو تعميمهم الشك على كل شيء حتى القرآن الكريم ، زاعمين أن الرغبة في كشف المجهول والاطلاع على حق النص القرآني تدعوهم الى الابتداء بالشك ، بحجة أنه المنهج الموصل الى الاكتشاف ، لكنهم لا يكادون يفرغون من تزيلاتهم المختلفة حتى يرفعوا هذا الشك الى رتبة قانون شامل ويقرره الارتياب في أصل النص القرآني وقدسيته وصلاحيته ، ولما نقلوا من غيرهم آلية التشكيك على علّاتها كان لا بد أن يقضي تعميمها إلى أن تضطرب تحليلاتهم ، وتلبّس أحكامهم ، وتتعثر نتائجهم .

---

[1] - انظر : طه عبد الرحمن : روح الحداثة ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب ط١ ص ٤٣ وما بعدها بتصرف

[2] - نصر حامد أبو زيد : النص السلطة الحقيقية ص ٨

[3] - محمد اركون : القرآن من التفسير الموروث الى تحليل الخطاب الديني ص ٧٦

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والحق أنهم لو تغلغلوا في تأمل هذه الآلية واستعلوا بنظرهم فيها لتبينوا أنها على خلاف ما يزعم الآخر الذي قلدوه — لا توصل الى الحقيقة في كل شيء — وأنما تقتصر فائدتها في مجال واحد بعينه هو مجال القيم فلا يتبع في الوصول إلى الحقيقة بشأنها إلا سلوك طريق يضاد طريق الشك ، وغني عن البيان أنه هو طريق الإيمان واليقين إذ كلما زاد الايمان بالقيمة زاد انكشافها للمؤمن بها وكلما نقص ايمانه بها نقص انكشافها حتى يضمحل عند تمام الارتياب فيها . ([1])

وأختم هذا المطلب بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم :(لتتبعن سنن الذين من قبلكم حتى لو دخلوا جحر ضبّ لاتبعتموهم ، قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟) ([2])

---

[1] - روح الحداثة ، ١٩٢

[2] - رواه البخاري كتاب أحاديث الأنبياء باب ما ذكر عن بني اسرائيل حديث رقم ٣١٩٧ ، ومسلم في كتابه علم باب اتباع سنن اليهود والنصارى حديث رقم ٤٨٢٢

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الخامس :

دعوى الحداثيين العرب بـــ (الإعجاز النسبي للقرآن الكريم)

المبحث الأول :

دعوى الحداثيين العرب بـــ (التشكل التاريخي للقرآن الكريم)

المبحث الثاني :

دعوى الحداثيين العرب بـــ (عدم تفرد القرآن الكريم بالإعجاز المطلق)

المبحث الثالث :

دعوى الحداثيين العرب بـــ (أسطورة النص القرآني وتعاليه)

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الأول

دعوى الحداثيين العرب بـــ (التشكل التاريخي للقرآن الكريم)

يؤمن الحداثيون العرب أن القرآن الكريم جاء لفترة معينة من الزمن، ولفئة معينة من البشر، وهو ما عبروا عنه بتاريخية أحكام القرآن الكريم كما سيمر معنا في مبحث لاحق([1])، ولا يجوز تعدية أحكام القرآن الكريم لكل العصور والأزمان .

وهذا القول بنسبية إعجاز القرآن الكريم وتشريعاته يفرغ القرآن الكريم من محتواه ويجعله — حسب مرادهم — فاقدا لمضمونه وغايته، حيث أراده الله عز وجل منهج حياة لكل زمان ومكان ولكل البشر والى قيام الساعة .

وحتى يحقق الحداثيون العرب أهدافهم بعدم تعدية أحكام القرآن الكريم وتشريعاته إلى ما بعد عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ادعوا أن القرآن الكريم معاصر لنفسه، وأن تشريعاته تشكلت في بيئة وظروف محددة، وجاءت لتحكمها وحدها وتلبي مطالبها، ولا يجوز — حسب وجهة نظرهم – تعدية هذه الأحكام لجيل الحضارة والمدنية جيل القرن الحادي والعشرين .

يقول نصر حامد أبو زيد :(..... ومن الواقع تكون النص، من لغته وثقافته صيغت مفاهيمه ومن خلال حركته بفاعلية البشر تتحدد دلالاته، فالواقع أولا والواقع ثانيا والواقع أخيرا) . ([2])

ويريد أن يفرغ القرآن الكريم من مضمونه فيقول : (ففي مرحلة تشكيل النص في الثقافة تكون الثقافة فاعلا والنص منفعلا) . ([3])

---

[1] - انظر : مبحث التاريخية صفحة ١٧٢

[2] - نصر حامد ابوزيد : نقد الخطاب الديني ص ٩٩

[3] - نصر حامد ابوزيد : مفهوم النص ص ٢٠٠

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الرد على هذه الدعوى

يمكن الرد على هذه الدعوى بما يلي : لو سلمنا للحداثيين العرب أن القرآن الكريم من صياغة الواقع، وأنه تشكل تاريخيا في بيئة العرب، وحسب نمط حياتهم البدوية — كما تدّعون — فيجب حينئذ أن يشابه القرآن الكريم منتجات الثقافة العربية من شعر ونثر وخطابة .....الخ، الموجودة في عصر التنزيل، فقد نزل القرآن الكريم أول ما نزل على أمة العرب، وهم مطبوعون على الفصاحة والبلاغة وحب العربية ويتنافسون فيما بينهم في شتى صنوف الفصاحة والبيان، وكانوا يقيمون المنتديات الأدبية للتفاخر والتفاضل بفصيح النظم، وبليغ النثر، فكانت القبيلة تفتخر بما تمدح به من الشعر وتتوارى بما تذم به من الشعر .

والعرب في مكة وفي الجزيرة العربية — أهل الفصاحة والبيان — يعرفون الرسول صلى الله عليه وسلم، ، فلم يخطر ببال منصف منهم أن يقول :(إن هذا القرآن كلام محمد، وذلك لأنه يرى من الفروق الواضحة بين لغة القرآن ولغة الرسول صلى الله عليه وسلم، و لم يجرؤ واحد منهم على معارضته لإدراكه أن هذا الأسلوب القرآني علا على أي أسلوب علواً خارقاً للعادة خارجاً عن قدرة البشر) . ([1])

لو كان القرآن الكريم من صياغة الواقع فيجب عليه أن يقف عند حدود ومعارف عصره، ولا يتجاوز ذلك العصر إلى الماضي والمستقبل، والقراءة اليسيرة للقرآن الكريم تقود إلى أنه تجاوز علوم عصره بما جاءهم من الحق المطلق في قضايا التشريع والبيان والتاريخ، ودقائق العلوم الكونية مما لم يكتشف إلا القليل القليل منه حديثا .

والقرآن الكريم هو كتاب الإصلاح والهداية، إذ أصلح ما أفسده الفلاسفة والجاهليون الوثنيون ، وصحح ما حرّفه أهل الأديان في دياناتهم ، وقدم للبشرية عقيدة صافية راشدة توجه طاقات الفرد نحو العمل والايجابية، عقيدة تنزه الله عز وجل عن أي نقص، وتصفه بما هو أهلٌ له من الكمال والسمو، في الوقت الذي ضلّ أصحاب الديانات الأخرى فعبدوا بعلاً وشبّهوا الله تعالى بالإنسان، ونعتوه بالتعب والغضب ... وغيره من الأوصاف

---

[1] - انظر : مناهل العرفان للزرقاني ٢ /٢٧٣ وما بعدها بتصرف

© Arabic Digital Library Yarmouk University

التي لا تليق، وضلّ غيرهم بعد عيسى عليه السلام فذهبوا إلى عقيدة التثليث، وحرّفوا وبدّلوا، وخلعوا على رجال كهنوتهم ما هو حقٌ لله عز وجل .

ثم إذا كان القرآن الكريم من صياغة الواقع فكيف ينقلب القرآن الكريم على الواقع الذي صاغه وشكّله ؟ لا بل إنك تجد آيات كثيرة من القرآن الكريم تنعي على المشركين رضاهم بالواقع وما ألفوا عليه آباءهم وأجدادهم، وهل القرآن الكريم إلا كتاب تغيير لواقع جاهلي تعفنت فيه كل مجالات الحياة ؟.

إن القرآن الكريم بما فيه من عقيدة وتشريع، أثّر في واقع العرب وقلَبَ حياتهم رأساً على عقب، وبثّ فيهم روح الإيمان والشعور بالمسؤولية والأمانة والتكليف، مما دفعهم لحمل هذا الدين، وبلورة واقع ومجتمع متكيف مع مراد الله عز وجل، والتخلي عن موروثات الآباء والأجداد .

فالقرآن الكريم ملك القلوب والعقول مما جعل الأعداء يخشون سلطانه وتأثيره في النفوس أكثر من خوفهم من تأثير الجيوش ، فيه أحيا الله موات هذه الأمة، فتحولت من أمة ميتة إلى أمة حية، أيقظت كل عناصر الخير والصلاح في البشرية وذلك يوم استجابت لنداء الله ورسوله صلى الله عليه وسلم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ الأنفال: ٢٤

إن كل منصف وكل عاقل – مسلما كان أم غير مسلم — يدرك أثر القرآن الكريم في أمة العرب بشكل خاص، وفي البشرية بشكل عام، إذ أحدث انقلابا في كل مجالات الحياة، امتد أثرها إلى خارج الجزيرة العربية، وما زال أثره في النفوس، وسيبقى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ومن جهة أخرى نسأل الحداثيين العرب وخاصة (نصر حامد أبو زيد) الذي يقرر أكثر من مرة أن الواقع هو الأصل ، ومنه تكون النص ، ومن خلال حركته بفاعلية البشر تتجدد دلالته .

وهنا نسأله ما هذا الواقع الذي يملك كل هذه القوة والمشروعية ليأتي بالقرآن الكريم كمنهج وتشريع ؟. وما هي قدرات هذا الواقع ليكون له الدور الرئيس في تشكيل النص

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ودلالاته ؟ وهل لهذا الواقع قوانين حاكمة منضبطة تصدر مثل هذه المنهجية الدقيقة ؟ أم أنها مدرسة الحتمية التاريخية التي ينادي بها الماديون ؟

يقول العادلي : (وهنا يجب البحث عن العوامل الداخلة في إنتاج الواقع، والمكونة لمضمونه، والفاعلة في تشكيله، وبالنتيجة سنعود لبحث ودراسة وتحقيق عناصر الكون والإنسان وما يحيط بهما ويتعاطى وإياهما باعتبارها عناصر صنع الواقع في جوانبه الحية الثابتة والمتحركة .

وهنا فكافة العوامل الداخلة في تكوين هذه العناصر الصانعة بدورها للواقع بما فيها النص ستكون هي الفاعلة والعاملة والمنتجة للواقع ذاته لا أن يكون الواقع هو المنتج له) ([1])

وعليه كيف لنا ترجمة مقولة أبي زيد (من الواقع تكون النص ومن لغته وثقافته صيغت مفاهيمه) دون أن نخرج بنتيجة وهي أن الواقع هو المناخ المشكّل والمحدد لمضامين وأنظمة وغايات النص ذاته، وكأن النص هنا قالب أجوف والواقع هو الأساس في توضيح دلالاته، وتحديد مفاهيمه، ورسم أهدافه وإذا كان هذا هو حال النص فما هي قيمته يا ترى ؟ وأي دور له في حركة الإنسان والتاريخ ؟ فهذا الوجود الباهت يساوي عدمه ما دمنا قد جردناه من أبسط مقوماته — كنص — ألا وهي الدلالة) .([2])

ويتساءل : أي واقع ذاك الذي صاغ للنص القرآني مفاهيمه ؟ أليس النص والواقع في الكثير من مشهدهما وجوانبهما كانا متعارضين ؟ أليس النص كان مشروع انقلاب جذري على ذلك الواقع بكل ما للانقلاب من معنى ؟ أليس الواقع بأغلب مفاهيمه ورموزه هو الذي حارب النص بكل شراسة وتمنع ؟ ثم أليست حركة التاريخ هنا هي صورة عن حركة الصراع تلك بين النص والواقع كمبادىء وأفكار وتجارب ورموز ؟ فكيف لنا القول بعدها بأن الواقع هو الذي صاغ للنص مفاهيمه ؟ ([3])

وهذه الأسئلة من العادلي أسئلة منطقية ومشروعة نريد عليها إجابة من الحداثيين العرب ومن أبي زيد على وجه التحديد، لأنه قلب المعادلة رأسا على عقب، فالقرآن الكريم

---

[1] - العادلي : حرب المصطلحات ص ١٥٦

[2] - المرجع السابق ص ١٥٧

[3] - نفس المرجع والصفحة

© Arabic Digital Library Yarmouk University

كتاب هداية — جاء ليغير أوضاعا جاهلية، وليكون منهج حياة لكل البشر، فكيف يخضع لصياغة الواقع سواء في تشكله، أو دلالة آياته على الأحكام والتشريعات .

فرسالة القرآن الأساسية مغايرة لذلك الواقع — الخارق للعادة — عند الحداثيين، والقادر على تحديد دلالة القرآن الكريم !!!

ألم يصف القرآن الكريم ذلك الواقع بالضلال والفساد في قوله تعالى :﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ الجمعة: ٢ هذا الضلال المتمثل في الشرك والإلحاد والظلم والعبثية والانحطاط العقدي لدرجة عبادة حجارة صماء .

لقد جاء القرآن لنقض هذا الواقع، والثورة عليه، وخاض الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام أشد حالات الصراع، وقدموا في سبيل ترويض وتغيير ذلك الواقع أقسى التضحيات حتى دان الواقع له بما يوافق قيمه وأهدافه طائعا منقادا . وما غزوة بدر وأحد وفتح مكة وغيرها إلا أكبر دليل على التناقض الصارخ بين الواقع الجاهلي وبين ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم

إن قول أبي زيد : الواقع أولا والواقع ثانيا والواقع أخيرا يهدف إلى تفريغ القرآن الكريم من مضمونه، وتحييده عن دفة الحياة ليصبح فاقدا للدلالة، وليفسح المجال أمام الواقع ليحدد دلالته ومفاهيمه !!!

إن القرآن الكريم — وفق هذا الفهم والتصور الحداثي— زائد عن حاجة البشرية، لأن الواقع مهيمن عليه، مشكّل له، محدد لدلالاته ومضامينه، فلا حاجة للنص القرآني إذن طالما أن الأصل – الواقع – موجود وحاضر بقوة في حركة الحياة !!!

إن هذه الفرضية المتهافتة تعني وجود تعايش وتناغم بين الواقع والنص ، لأنهما نتاج منظومة مفاهيمية وثقافية واحدة، ألا وهي الحتمية التاريخية، لكن الحال خلاف ذلك، فان الواقع كان رافضاً ومحارباً لهذا النص .

وما ورد في القرآن الكريم عن الوليد بن المغيرة يشكل أكبر دليل على ذلك الصراع العنيف بين الرسالة الجديدة والواقع الجاهلي قال تعالى رداً على اتهام الوليد بن المغيرة

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

القرآن الكريم بالسحر ﴿ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ ﴾ المدثر: ١٨ ــ ٢٥

وأخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس : أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن فكأنه رقّ له ، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال : يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً ليعطوكه ، فانك أتيت محمداً لتتعرض لما قبله ، قال : لقد علمت قريش أني من أكثرها مالاً ، قال : فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك منكر له وأنك كاره له ،فقال : وماذا أقول فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني ، لا برجزه ولا بقصيده مني ، ولا بأشعار الجن ، والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا ، والله إن لقوله لحلاوةً ، وان عليه لطلاوةً ، وانه لمثمر أعلاه، مشرق أسفله ، وانه ليعلو وما يعلى عليه ، وانه ليحطم ما تحته، قال لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه ، قال : فدعني أفكر ، فلما فكر قال : هذا سحر يؤثر يأثره عن غيره ، فنزلت :" ذرني ومن خلقت وحيدا. ([1])

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِيٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ يونس: ١٥

إن الأنبياء والرسل من آدم عليه السلام إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم جاءوا لتغيير واقع البشرية ونقله من الشرك إلى الإيمان، ومن الظلام إلى النور، فهم ثورة على واقع مشرك ، فمهمتهم الأولى ربط البشر بعقيدة التوحيد، والتمكين لرسالة السماء على أرض الواقع، ولو أخذنا رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ودعوته وجهاده ، وسألنا : هل صنع الواقع النص أم صنع النص الواقع وغيّره من وضع إلى وضع ؟ لقد دخل النص

[1] - انظر : اسباب النزول : الإمام السيوطي دراسة وتحقيق حامد أحمد الطاهر ، دار الفجر للتراث – القاهرة ط ١ سنة ٢٠٠٢ م ص ٤٣٩

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

القرآني والواقع في صراع مرير كانت النتيجة التي يعرفها الحداثيون العرب اندحار الواقع وتغييره من خلال انتشار أنوار الهداية الربانية في جزيرة العرب وغيرها..

إن الصحابة رضي الله عنهم الذين تخرجوا من مدرسة النبوة حملوا هذا الدين وشكّلوا واقع الأمة في الجزيرة العربية وخارجها بما يتفق مع القرآن الكريم وبما يشكّل أمة الخيرية التي أرادها الله عز وجل .

اطلاقية الدين لا تاريخيته

بقيت قضية يجب على الحداثيين العرب إدراكها وعدم تجاهلها وهي أن هذا الدين متحرر من قيود الزمان والمكان، من حيث النشوء والتكوين، بخلاف التراث باعتباره جهدا ونتاجاً بشرياً ، حيث أنه مرتبط بالزمان والمكان المحددين ، لذا لا نشير إلى أي مادة تراثية إلا والتحديد الزماني والتعيين المكاني جزء من وجودهما التكويني .

أما الدين فهو حقيقة إلهية روحاً ونصاً، وخارجة عن العقل الإنساني من حيث الإنشاء والإبداع، وان تطابق — الدين — مع حقائق ومتطلبات الخلق والعقل الإنساني إلا أنه ليس نتاجاً عقلياً أو إقراراً ذوقياً أو طرحاً مشاعرياً، بل هو إرادة الله في خلقه، ليس للبشر أي دور فيها من حيث التأثير، أو التغيير، أما من حيث الاستكشاف والتوظيف فهنا يكمن مجال الإبداع البشري في تطبيق الدين في واقع الحياة، والارتقاء به إلى درجات عليا من الخيرية .

والحقائق الدينية كحقيقة التوحيد لا ترتبط في دلالاتها وتطبيقها بالزمان والمكان . فهل توحيد الله عز وجل أمر له عمر زمني ينقضي بانقضائه ؟ أم أنه يمتد وجودا وأثرا إلى ما لا نهاية ليشمل كل حدود الزمان والمكان .

إذن فحقائق الدين من عقيدة وعبادة وتشريع لا تخضع لحدود الزمان والمكان، وغير مقترنة بهما، بل هي قرينة الخلود، لأن الدين بحقائقه منجز انجازا تاما بمضمونه وأهدافه وغاياته

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ المائدة: ٣

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وهناك قضية أخرى لا تقل عن هذه أهمية وهي أن الحداثيين العرب يخلطون في أحكامهم بين الفكر والدين على اعتبار أنهما شيء واحد، وهذا غير صحيح ، فالدين حقيقة إلهية بالكامل تختلف اختلافاً جوهرياً عن الفكر، من حيث المصدر والقداسة وثبات الحقيقة، أما الفكر فمصدره الإنسان، إذ هو ثمرة فهم الإنسان ووعيه لحقائق الدين والحياة ، وهذا الفهم متفاوت من إنسان لآخر، لذا يمكن نقد الفكر الإسلامي في بعض جوانبه وجزئياته لأنه اجتهاد بشري بني على فهم لحقائق الدين الإسلامي، قد يقترب هذا الفهم من الدين وقد يبتعد . إذن فالفكر الإسلامي ما هو إلا فهم وقراءة بشرية للإسلام ، وليس هو الإسلام ذاته، لذا فقد يوصف الفكر بالأصالة أو السطحية أو العمق أو الانغلاق أو الانفتاح، فما دام قراءة بشرية وفهما بشريا فالتفاوت فيه أمر متوقع، لأنه انعكاس لشخص القارئ أو المفكر وطبيعة وعيه للحقائق الدينية .

وفي هذا الخصوص يقول العادلي : (إن كل قراءة فكرية لا تعكس الحقائق والثوابت المقطوع فيها، المجمع عليها والمفروغ منها على صعيد القرآن والسنة اليقينية فهي لا تعدو أن تكون قراءة إنسانية تقترب أو تبتعد عن الدين وان سميت قراءة دينية أو فكرا دينيا، ومثل هذا الفصل بين الدين والفكر سيحرر الدين من تبعات الرؤى والاجتهادات المتنوعة التي ألصقت به طيلة عهود التاريخ الديني والتي يحسبها الناس دينا، وهي في حقيقتها قراءات فكرية إنسانية للدين، ودونك مذاهب التجسيم والجبر والتعطيل .. الخ وكلها شاهدة على اجتهادات فكرية وتطبيقية لأصحابها ألحقت زورا بالدين، في حين أن الجمع أو الخلط بين الدين والفكر يعني في عمقه إذابة الفواصل الحقيقية بين الاثنين من خلال إسقاط حركة الفكر الإنساني المتغير على الدين الإلهي الثابت، وهنا تكمن مشكلة إدخال غير المعصوم في نسيج المعصوم، ويوحد بين حقيقة الوحي المقدسة وبين الإدراك الإنساني المتحرك ويقدم للأجيال على أنه الدين الكامل) .([1])

وهناك محذور مهم حذر منه العادلي وهو أن هذا الفصل بين الدين والفكر يجب أن يكون فصلاً واعياً ودقيقاً بحيث لا نجرد الحقيقة الدينية من مضمونها، ونضعها في قالب نظري

---

[1] انظر العادلي : حرب المصطلحات ص ٨٠ وما بعدها بتصرف

© Arabic Digital Library Yarmouk University

غير قابل للتطبيق ، أو أن يحكم على الدين على أنه إقرار للواقع الإنساني التاريخي ، وهذا يخرج الدين عن كونه رسالة سماوية جاءت ليكون لها أثر في حياة الناس . ([1])

وهذا كلام دقيق ليت الحداثيين العرب يدركونه لتصحيح مصطلحاتهم ومفاهيمهم عن القرآن الكريم ، والاسلام العظيم .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

[1] - نفس المرجع والصفحة

المبحث الثاني

دعوى الحداثيين العرب بـــ (عدم تفرد القرآن الكريم بالاعجاز المطلق)

يعتبر محمد اركون صاحب مصطلح (ولوج دائرة اللامفكر فيه والمسكوت عنه) وخلخلة القناعات، وزحزحة المعتقدات، واختراق الممنوعات، ولا بد من الخروج من الأصولية العقائدية الدوغمائية، ومن الإطار اللاهوتي للفكر الإسلامي، والتحرر من ثنائيات الإيمان والضلال، والعقل والإيمان بالغيب ، ويشاركه الكثير من الحداثيين العرب في الدعوة إلى إعادة النظر في كل المسلمات التراثية، والعقائد الدينية التي يتلقاها المسلم منذ الطفولة، وتجنب الإجابات الجاهزة ، ويعتبرون الثبات على المنهج الأصولي الدوغمائي هو مصيبة الأمة ، وهذا كله لن يكون إلا بتطبيق منهجية النقد التاريخي للتراث الإسلامي كله بما فيه القرآن الكريم والسنة النبوية .([1])

والسبيل إلى ذلك هو بالتخلص من سلطة النصوص المغلقة، والتحرر من قال الله وقال الرسول ..... ([2])

وعبارات كثيرة تدعو إلى التمرد على القرآن الكريم، والخروج على تعاليمه وزحزحة ثوابته العقدية والتعبدية ، وعدم الوقوف أمام أوامره ونواهيه، لأنها بنظر الخطاب الحداثي من الثوابت الجامدة التي تحول بين الإنسان والإبداع .

ويرفض الحداثيون العرب إضفاء صفة القداسة على القرآن الكريم، لأن هذه القداسة — حسب وجهة نظرهم — تحاصر العقل وتمنعه من الانطلاق .

ويحلم الخطاب العلماني بزحزحة الأنظمة الكبرى المتمثلة في الأديان من دائرة التقديس والغيب باتجاه الركائز والدعامات التي لا يزال العلم الحديث يواصل اكتشافها، ويأمل أن نصل ذات يوم إلى المستوى الذي بلغه أبو العلاء المعري حين قال :

ولا تحسب مقال الرسل حقا ولكن قول زور سطروه

وكان الناس في عيش رغيد فجاءوا بالمحال فكدروه . ([1])

---

[1] - انظر محمد اركون : تاريخية الفكر الإسلامي ص ٢٤ ، ٢٥ ، ١٣١ وانظر :القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص ١٦٤ ، ٤٣وانظر : علي حرب : نقد النص ص ٧٢ ، ١٤٣ ونصر حامد ابو زيد الخطاب والتأويل ص ١١٦ .

[2] - انظر حسن حنفي : دراسات إسلامية ص ٥١ وسيد القمني : الفاشيون والوطن ص ٩ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وهذا قمة ما يسعى له الخطاب الحداثي العربي، زحزحة الثوابت، ونزع القداسة عن القرآن الكريم وأحكامه .

ولجأ الحداثيون العرب لتحقيق هذا الهدف إلى جملة خطوات من أهمها :

١- تأويل النص القرآني :

يعول الخطاب الحداثي على التأويل في قراءته للقرآن الكريم، لأن التأويل يمكن الولوج فيه بسهولة إلى الغايات التي يبحث عنها هذا الخطاب .

والتأويل في نظر الحداثيين العرب طريق ممهد للتزوير والتحريف والتخريب، يقول علي حرب

: (مع أن مبرر كل مفكر جدير بلقبه أن يمارس التفكير بطريقة مغايرة للذين سبقوه إذا لم يشأ أن يكون مجرد شارح مبسط، أو تابع مقلد، أو حارس مدافع عن العقيدة والحقيقة، والتفكير بصورة مغايرة يعني أن نبدل وننسخ ونحرّف ونحوّر أو نزحزح ونقلب، أو ننقب ونكشف، أو نحفر ونفكك، أو نرمم ونطعّم، أو نفسر ونؤول، فهذه وجوه للتفكير وللقراءة في النصوص لا أزعم أني أقوم بحصرها واستقصائها .) ([2])

ويعتبر أركون أن شغله الشاغل تأويل النص الذي قدسه تراكم الزمن ومرور القرون . ([3]) وهذا اهام لا لبس فيه ولا غموض، فالقرآن الكريم — بنظرهم — ليس مقدسا لذاته ولكونه كلام الله عز وجل، بل جاءت قداسته بفعل التاريخ والزمن .

ويعتبر أبو زيد أن النص القرآني نص تأويلي، وتأويله كان منذ بداية تعامل المفسرين الأوائل معه، وأن أولئك الذين يقومون بتفسيره إنما يؤوّلونه مع أنهم يفرقون بين التفسير والتأويل وهذه التفرقة في نظره تعلي من شأن التفسير وتغضي من قيمة التأويل، على أساس موضوعية الأول ، وذاتية الثاني ، الموضوعية في الحالة الأولى موضوعية تاريخية ،

---

[1] - انظر : علي حرب : نقد المقدس ص ١٩٠ ، ٢١٨ .

[2] - علي حرب : نقد النص ص ١٣٣

[3] - انظر : محمد اركون : قضايا في نقد العقل الديني ص ٢١

© Arabic Digital Library Yarmouk University

تفترض إمكانية أن يتجاوز المفسر إطار واقعه التاريخي وهموم عصره، وأن يتبنى موقف المعاصرين للنص، ويفهم النص كما فهموه في إطار معطيات اللغة التاريخية عصر نزوله .

ويعتبر أن تفسير الصحابة لا يخرج عن كونه تأويلا، ويضرب ابن عباس رضي الله عنه مثالا لذلك، ويساوي بين التفسير والتأويل، وأن التفرقة بينهما إنما هي اصطلاحية متأخرة، ويستدل على أن الطبري سمى تفسيره (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) وابن عباس يرى أنه يعلم تأويل القرآن . ([1])

وقد فرق العلماء بين التفسير والتأويل قال الإمام الزركشي : (وقال أبو القاسم بن صهيب النيسابوري والبغوي وغيرهم : التأويل صرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها وما بعدها، تحتمله الآية غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط .) ([2])

وهذا يدل على أن العلماء القدامى يفرقون بين التفسير والتأويل لأن في التأويل صرفا للآية عن طريق الاستنباط .

وقال الزركشي أيضا : (قيل التفسير والتأويل واحد بحسب عرف الاستعمال والصحيح تغايرهما، وبيّن حدود التفسير والتأويل عندهم فقال : قيل التأويل كشف ما انغلق من المعنى ولهذا قال البجلي : التفسير يتعلق بالرواية والتأويل يتعلق بالدراية وقال أبو النضر القشيري : ويعتبر في التفسير الاتباع والسماع، وإنما الاستنباط فيما يتعلق بالتأويل .) ([3])

فالتفسير يتعلق بالظاهر، أما التأويل ففيما هو خفي، قال الآمدي : (أما التأويل من حيث هو تأويل مع قطع النظر عن الصحة والبطلان هو حمل اللفظ على غير مدلوله الظاهر منه، مع احتمال له، وأما التأويل المقبول الصحيح فهو حمل اللفظ على غير مدلوله الظاهر منه مع احتمال له بدليل يعضده .) ([4])

---

[1] - انظر : نصر حامد ابو زيد : فلسفة التأويل – دراسة في تأويل القرآن عند محي الدين بن عربي ،مركز الثقافي العربي الدار البيضاء ، ط ٥ ، ص ١١ – ١٣

[2] - الزركشي : البرهان في علوم القرآن ٢/ ١٥٠ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار الفكر للنشر والطباعة والتوزيع ط ٣ سنة ١٩٨٠ م

[3] - نفس المرجع السابق ٣/ ١٤٩ – ١٥٠

[4] - الآمدي (علي بن محمد) : الإحكام في أصول الأحكام ٣/ ٥٩ تحقيق شيد الجميلي ، دار الكتاب العربي – بيروت ، سنة ١٤٠٤ ه

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وأكد محمد اديب الصالح أنه إذا كان التأويل هو صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى محتمل هذا الصرف لا يقوم على القطع بل يسير في ساحة الظن . ([1])

وقال الجرجاني : (التأويل في الأصل : الترجيح، وفي الشرع صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله إذا كان المحتمل الذي يراه موافقا للكتاب والسنة مثل قوله تعالى : ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ ﴾ الروم: ١٩ ان أراد به إخراج الطير من البيضة كان تفسيرا وان أراد به إخراج المؤمن من الكافر أو العالم من الجاهل كان تأويلا .) ([2])

إذن الضابط في اعتماد التأويل هو موافقته للكتاب والسنة، لا التأويل العبثي الذي يهدف إلى نزع القداسة عن القرآن الكريم وتفريغه من مضمونه وتأويله من خلال ليّ عنق الآية لتخالف مراد الله عز وجل منها .

ومر معنا من خلال القراءة الهرمينوطيقية للنص القرآني أن الحداثيين العرب لا يؤمنون بفهم محدد للنص القرآني، وأنه يجب أن يكون منفتحا على كل فهم وكل قراءة، وهذا فتح لباب التأويل العبثي على مصراعيه .

ويدعو الحداثيون العرب – تقليدا لفلاسفة الغرب – إلى عدم إعطاء (قصد المؤلف) أي أهمية في النص، ولا أهمية للنص نفسه، وتصبح قراءة القارئ هي الحضور الوحيد ([3])

٢- محاولة الحداثيين العرب تمييع التفرد القرآني :

يريد الخطاب الحداثي العربي أن يطمس المصطلح القرآني - بقداسته وتفرده – وسط ركام هائل من المصطلحات الجديدة التبشيرية والحداثية والفلسفية، وذلك لكي يشتت خصوصية القرآن الكريم، ويدمجه في إطار وضعي مادي بشري ، فيوصف القرآن بأنه نص، أو خطاب أو النص المقدس، أو الكتاب المقدس . ([4])

---

[1] - محمد اديب صالح : تفسير النصوص في الفقه الإسلامي ١/ ٣٣٦ ، المكتب الإسلامي – بيروت ط١ سنة ١٩٨٤ م

[2] - الجرجاني : التعريفات ص ٧٣

[3] عبد العزيز حمودة : المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك ، عالم المعرفة – الكويت سنة ١٩٩٨ ص ٥٨ – ٥٩

[4] - انظر : نصرحامد ابو زيد : مفهوم النص في مواطن كثيرة ،انظر محمد أركون تاريخية الفكر ص ٧٦ والقرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص ٩٨ ، ١٣٣ ، ١٤٩

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويصنف الحداثيون العرب القرآن أحيانا تحت مصطلح الخطاب النبوي، ويقصدون به دمج القرآن الكريم بالسنة النبوية، لزحزحة تفرد القرآن الكريم، وأحيانا دمجه بالكتب المقدسة الأخرى كالتوراة والإنجيل للغرض ذاته . ([1])

والهدف معروف وهو خلط القرآن الكريم مع أنماط محرفة ومزوّرة ومهجورة ، وهدف آخر وهو تبرير عملية نقد القرآن الكريم تحت مسمّى الموضوعية والبحث العلمي، فالنقد لكل الكتب المقدسة ، والخلط والتحريف كما أنه ظهر في التوراة والإنجيل ، فلماذا لا نضع القرآن الكريم تحت مطرقة النقد لنكتشف ما فيه من خلط وتحريف كما في التوراة والإنجيل !!!.

قالها أركون بصراحة ووضوح فهو يريد أن يبرهن على إمكانية الخروج من أسر السياج الدوغمائي المغلق وذلك عن طريق إجراء زحزحات منهجية وابستمولوجية على الفكر الديني التوحيدي . ([2])

ويدمج الحداثيون العرب القرآن الكريم بمصطلحات بشرية تقبل النقد والتحوير، فيسمون القرآن الكريم اللوغوس القرآني . ([3])

ويوصف القرآن الكريم بأنه رواية أو مجموعة روايات أو حكايات أو ملاحم دراماتيكية .

([4]) أما عن جمع القرآن الكريم ومراحله فيسمون المصحف الذي تم جمعه (بالمدونة القرآنية) أو (المدونة الرسمية) أوالنص الرسمي القانوني، وتسمى الآية أو السورة (وحدات) (نصيه) . أو(منظومة لغوية) .

ويعلل هاشم صالح سبب استخدام أركون لهذه المصطلحات الألسنية في وصف القرآن الكريم بدلا من الأسماء والأوصاف التي يعرفها المسلمون فيقول : ((نلاحظ أن أركون يستخدم مصطلحات ألسنية محضة للتحدث عن القرآن، فهو يقول المنطوقة أو العبارة

---

[1] - انظر : علي حرب : نقد النص ص ٢٠١ ونصر حامد أبو زيد الخطاب والتاويل ص ١٢٣

[2] - محمد اركون : القرآن من التفسير الموروث الى نقد الخطاب الديني ص ٨٠

[3] - علي حرب : نقد النص ص ٦٦

[4] - انظر هاشم صالح وهوامشه على القرآن من التفسير الموروث إلى نقد الخطاب الديني ص ٦

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

اللغوية بدلا من الآية القرآنية ، ويقول المدونة النصية بدلا من القرآن ، وسبب ذلك أنه يريد تحييد الشحنات اللاهوتية التي سرعان ما تستحوذ على وعينا عندما نتحدث عن القرآن ، فالقداسة اللاهوتية أو الهيبة اللاهوتية العظمى التي تحيط بالقرآن منذ قرون تمنعنا من أن نراه كما هو ، أي كنص لغوي مؤلف من كلمات وحروف وتركيبات لغوية ونحوية وبلاغية .....الخ

بمعنى آخر إن المادة اللغوية للقرآن اختفت تماما أو غابت عن أنظارنا بسبب الهيبة العظمى التي تحيط به ، وميزة القراءة الألسنية للقرآن هي أنها تحيّد الهيبة ولو للحظة من أجل فهم التركيبة النصية أو اللغوية للقرآن ، وتزداد هذه الهيبة في ما يخص سورة الفاتحة لأنها مستخدمة يوميا في الشعائر والطقوس أي في الصلاة أساسا وبالتالي فان نزع الهيبة عنها ورؤيتها في ماديتها اللغوية أمر بالغ الصعوبة) ([1])

لقد أفصح هاشم صالح كغيره من الحداثيين عن الهدف الحقيقي الذي يريده وعبر عنه بنزع الهيبة عن القرآن والحقيقة أنه نزع القداسة عن القرآن الكريم .

والمسلمون عبر تاريخهم الطويل درسوا القرآن الكريم من جميع الجوانب اللغوية نحوا وبلاغة وبيانا ونظما لا بل إن هناك مؤلفات تفسيرية انفردت لبيان وجوه البلاغة والبيان في القرآن الكريم ، وبعضها اهتم بالجانب الكلامي الفلسفي فيه وبعضها بالجانب الفقهي الأصولي ، ولم تمنع هيبة القرآن الكريم وقداسته من هذه الدراسات لأنها تبحث عن مراد الله عز وجل وتدخل في إطار التدبر لآيات الله والتفكر فيها .([2])

---

[1] - انظر : ترجمة هاشم صالح على كتاب اركون : القرآن من التفسير الموروث إلى نقد الخطاب الديني ص ١١٩

[2] - انظر : احمد الطعان : العلمانيون والقرآن الكريم ص ٧٧٨ وما بعدها بتصرف

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

هدف الحداثيين الرئيس :

لو تساءلنا ببراءة ماذا يريد الحداثيون العرب من كل هذا الصخب والضجيج المثار حول القرآن الكريم وأحكامه .

إن النتائج التي أعلنها بعضهم تعطي إجابة شافية عن هذا التساؤل ، فالإسلام — في نظرهم — ما هو إلا امتداد للأساطير القديمة البابلية والأشورية والسومرية والفرعونية ، وما هو إلا امتداد للوثنيات السابقة كعبادة الإله بعل اله القمر ، لذا جاءت العبادة العروبية عبادة قمرية ، وتحتفظ إلى اليوم بقدسية القمر ، فالشهور قمرية والتاريخ قمري ، والصيام قمري ، والزمن العربي كله قمري .

واحتفظ الإسلام ببعض الشعائر والطقوس الموروثة عن الجاهلية كالحج والاعتقاد بالجن ، وتقديس الحجر الأسود ، وعذاب القبر ، والختان وبعض التصورات الأسطورية ، بغية بناء ايديولوجيا جديدة . ([1])

ويدعو إلى تحرير الناس من العقلية الشعائرية ، فالإسلام يمكن له أن يحقق مهمته الروحية دون تأدية الطقوس والشعائر التعبدية . ([2])

فليس من الضروري أن يحتشد الناس في جماعات في مسجد لإقامة الصلاة ، لأن الصلاة مسألة شخصية في الإسلام كما في الديانات الأخرى .

وحتى نحقق ذلك لا بد من أن نخرج من الدائرة العقائدية والمعيارية للإسلام الأرثوذكسي ([3]) وإعادة تحديد الإسلام بصفة عملية اجتماعية تاريخية من جملة عمليات وسيرورات أخرى ، ويجب إعادة تفسير التراث في سياقه الاجتماعي والثقافي طبقا لحاجات العصر ([4]) وهذا يحتاج إلى طرح الأسئلة عن التراث وجرأة في الإجابة عليها ، مع الحذر من تأثير الإجابات الجاهزة . ([1])

---

[1] - انظر : سيد قمني : رب الزمان ص ١٦٨ ومحمد اركون : القرآن من التفسير الموروث الى نقد الخطاب الديني ص ١٠٨ وتاريخية الفكر الإسلامي ص ١٣١ وطيب تيزيني :النص أمام إشكالية البنية والقراءة ص ١١٣ وغيرهم .

[2] - انظر : محمد اركون : قضايا في نقد العقل الديني ص ٣٦

[3] - محمد اركون : تاريخية الفكر الإسلامي ص ٢١٧

[4] - ر حامد ابو زيد : مفهوم النص ص ١٦

© Arabic Digital Library Yarmouk University

إذن فمآل الإسلام أمام هذا الطرح الحداثي هو إسلام بلا مضمون ، وقرآن تنتزع منه صفة القداسة ، واطلاقية الأحكام ، فلا مضمون ، ولا ثبات له ، بل يمكن أن يؤوّل ويفتح على أي فهم ، وعلى أي قراءة .

والخطاب الحداثي مسكون بهاجس التغيير بدعوى تجديد آليات الفكر الإسلامي وربطه بفتوحات الحداثة الفكرية ، عن طريق الاستفادة من المناهج الجديدة يقول محمد أركون : (ينبغي علينا إعادة تشكيل علم الربوبية ، وعلم ثيولوجيا الوحي ، وعلم ثيولوجيا التاريخ ، وثيولوجيا الأخلاق ، وفلسفة القانون ... الخ ولكي ننجز كل هذا العمل بشكل مرض نحتاج أولا إلى تشكيل علم لسانيات حديث للغة العربية ، وتشكيل نظرية متماسكة للتأويل ، وتشكيل علم سيميائيات الخطاب الديني) ([2])

إذن هو صاحب برنامج ضخم يريد إعادة التفكير في الإسلام ومن جميع جوانبه ، وهنا نتساءل : هل ننتظر تشكل كل هذه العلوم والنظريات من أجل إعادة التفكير في الإسلام ؟ ولماذا ؟ هل الإسلام والتفكير فيه يحتاج لكل هذا الركام من المعارف والمنهجيات التحليلية ؟ ثم ما هو الأساس المنطقي الذي يمكنه إقناعنا — في حالة تشكل هذه العلوم — بأن ما نتوصل إليه عن طريقها هو الحقيقة النهائية ؟ وما الذي يستفيده الإسلام والفكر الإسلامي من ذلك ؟ وما الهدف النهائي لكل ذلك ؟ .

إن الروح النقدية بجميع مستوياتها تسيطر بشكل خطير على صيرورة الخطاب الحداثي بشكل عام ، والأركوني بشكل خاص ، غايته نسف أساسيات العقل الإسلامي وكل ما أنتجه من تراث فكري .

فالمطالبة بإعادة تشكيل مناهج النظر والقراءة بالكيفية التي تتلاءم ومنتجات الفكر الأوروبي المعاصر، إضافة إلى كونها تعّبر عن نوع من الهزيمة الفكرية والاستلاب الثقافي ، فإنها تساهم في تأكيد الصورة الثبوتية والمنغلقة للإسلام وتراثه من حيث أنه يحتاج إلى أدوات خارجية ومفصولة عنه حتى يمكن التفكير فيه بطريقة علمية ، أي أنه لا يملك أدواته

---

[1] - المرجع السابق ص ١٧

[2] - محمد اركون : الإسلام والاخلاق السياسية ص١٨٥

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الخاصة المنتجة ذاتيا انطلاقا من تفاعل عناصره الداخلية بالشكل الذي يفجر القوى الكامنة فيه ويبرزها . ([1])

وهناك هدف آخر يسعى الخطاب الحداثي – الأركوني - إلى الوصول إليه وهو تغليب العقل على النقل فيقول : (إن الفكر العربي الإسلامي لا يمكنه الانفتاح على العقلانية الحديثة بشكل فعلي ودائم وناجح إلا بتفكيك مفهوم الدوغمائية ، ومفهوم الأرثوذكسية الخاصين بتراثه هو بالذات ، وما دام المؤمن سجين نظام الإيمان وما دام الإيمان الأرثوذكسي سجين المقولات الميثولوجية القروسطية ، وغير قادر على فتح كوة أو ثغرة على الخارج ، أي على العقلانية العلمية والفكر التاريخي فسوف يراوح مكانه .

وهكذا فان هذه الممايزة بين شكلين من أشكال المعرفة التي يتقاطع فيها الأسطوري بالعقلاني بطريقة تنافسية يسوغ أي انزياح نقدي في اتجاه تحطيم أحد الشكلين لصالح الآخر ، وما دام أن العقلانية تبقى هي الخيار الوحيد أمام الفكر الإسلامي لتحقيق انطلاقته ، فلا بديل سوى تحطيم أساسيات المعرفة الأسطورية داخل بنيته .) ([2]).

إن العقلانية التي يريدها الحداثيون العرب هي عقلانية الغرب التي لا تؤمن إلا بالمحسوس ، ولا تقف عند حدود الغيب ، ولا ترتضي به مرجعا لأنه – حسب نظرهم – يقبع في زاوية الأسطورة والماورائيّات التي لا يؤمن بها العلم والعقل .

فالهدف تمييع التفرد القرآني ، والتحرر من سلطته ، والتخلص من الثوابت التي بنيت في ظلاله ، انه باختصار سعي حثيث لتدمير النظام المعرفي الإسلامي بحجة الدوغمائية والوثوقية الأخلاقية .

وهناك نقطة في غاية الخطورة وهي أن الحداثيين العرب عندما يتحدثون عن القراءة النقدية للتراث فإنهم لا يخفون اعتبار القرآن الكريم جزءا من التراث ، وبالتالي فهو يخضع تلقائيا لهذا النقد ، وصرح أركون بذلك عندما قال : (إن الدراسة العلمية للمقدس لا تعني

---

[1] - محمد بوراس ، : محمد اركون ومشروعه النقدي مجلة البيان العدد ١٧٩ رجب سنة ١٤٢٣ ه سبتمبر سنة ٢٠٠٢ ص ١٠٤ وما بعدها .

[2] - محمد اركون ، مجلة البيان العدد السابق .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الانتقاص منه أو المسّ به ، وإنما تعني فهما أفضل لكل تجلياته وتحولاته ، وتحذيرا لبعض الفئات أو بعض الأشخاص من التلاعب به لمصالح شخصية أو سلطويّة). ([1])

فهو لا يخفي نزعته التشكيكية في دراسته هذه ، بل انه يقول في نفس السياق (ويمكن أن أقول بأن المقدس الذي نعيش عليه أو معه اليوم لا علاقة له بالمقدس الذي كان للعرب في الكعبة قبل الإسلام ولا حتى بالمقدس الذي كان سائدا أيام النبي). ([2])

إذن فهو يشكك في عملية جمع القرآن الكريم فهو لم يترك بابا إلا وولجه ليشكك ويزحزح القناعات ، ليصل إلى هدفه وهو ولوج دائرة اللامفكر فيه داخل التراث .

ألم يصرح أحدهم بكل هذه الأهداف السابقة بقوله :(النقد الإيديولوجي هو وسليتنا للتخلص من فكر العصور الوسطى لكي نودع نهائيا المطلقات جميعا ، ونكف عن الاعتقاد أن النموذج الإنساني وراءنا لا أمامنا) . ([3])

من أجل ذلك لا بد أولا من انزياح الأنظمة الكبرى المتمثلة في الأديان من دائرة التقديس والغيب ، باتجاه الركائز والدعامات التي لا زال العلم الحديث يواصل اكتشافها. ([4])

وانزياح المقدس وتمييعه لا يكون إلا باختراق المحرمات ، وانتهاك الممنوعات السائدة ، والتمرد على الرقابة الاجتماعية ، واختراق أسوار اللامفكر فيه ، وندخل إلى المناطق المحرمة ، ونسعى إلى خلخلة الاعتقادات وزعزعة اليقينيات ، ومراجعة كل المسلمات التراثية ، وطرد التاريخ التقليدي من منظومتنا الثقافية لأنه بناء عتيق تهاوت منه جوانب كثيرة ، فوجب كنس الأنقاض قبل الشروع في البناء . ([5])

ونقول للحداثيين العرب : رويدكم كل هذه الترهات بشأن القرآن الكريم والإسلام فهل تعتقدون أنكم بهذا المسخ والتشويه والعبث ستنهضون بالأمة ، إنكم واهمون فالقرآن لم

---

[1] - نفس المرجع

[2] - انظر : مجلة مواقف العدد ٦٠ ص ٢٠

[3] - عبد الله العروي : الايدولوجيا العربية المعاصرة ص ١٦

[4] - محمد اركون : تاريخية الفكر الإسلامي ص ٢٦

[5] - انظر عبد الله العروي : مجمل تاريخ الغرب ص ٢٥ وانظر نصر حامد أبو زيد : الخطاب والتأويل ص ٢٨٨ وانظر : علي حرب : نقد النص ص ٧٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يقف يوما عائقا أمام تقدم الإنسان ورقيه ، لا بل هو في حقيقته دعوة إصلاحية شاملة ، أنظروا ماذا فعل الإسلام بالإنسان العربي وكيف حوله من وضع إلى وضع ، إن الذي يحتاج إلى التغيير والإصلاح هي العقول التي أشربت المادية الجدلية حتى الثمالة ، ونفت الغيب والوحي من قاموسها ، وعبدت ماركس ولينين بدل عبادتها لله عز وجل .

إن هذا التلاعب والعبث لن ينطلي حتى على السذج من الناس ، إن أي مسلم لا يمكنه أن يقبل هذا المسخ والتشويه لدينه ولكتاب ربه عز وجل ، فالإسلام لا يقبل العبث ولا ينصت للعابثين الذين يجترّون الأفكار من مدارس الشرق والغرب ، فهو واضح لا لبس فيه ولا غموض ، أعطى العقل مساحة واسعة ودعاه إلى انطلاقة راشدة منضبطة ليتفكر في هذا الكون ويصل إلى الجواب الشافي عن الكون والإنسان والحياة ، فالله عز وجل خلق العقل وزوده بما يؤهله لسلوك الطريق الذي يفضي إلى الحق إن هو تجرد من الأهواء والأغراض الشخصية ، وان هو وقف عند حدوده والتزم بضوابطه ، أما إذا غامر باتجاه عالم الغيب فستكون نهايته الفشل الذريع ، والتاريخ الفلسفي القديم ومحاولاته أكبر تجربة تدل على ذلك .

وحتى مغامرة العقل الفلسفي الغربي الحديث انتهت إلى الشك والعدمية ، ولم تقدم للبشرية أكثر من ذلك ، رغم محاولاتها التي امتدت لمئات القرون لأن المقدمات الخاطئة ستقود حتما إلى نتائج خاطئة .

٣- دعوى نسبية أحكام القرآن الكريم عند الحداثيين العرب

يسعى الحداثيون العرب إلى زعزعة قداسة القرآن الكريم وتفرده ، بطرح شعارات براقة لكنها خطيرة ومدمرة من مثل : (لا أحد يمتلك الحقيقة المطلقة) ... (الحق أمر نسبي)وظاهر هذه الشعارات يحمل صفة العلم والموضوعية ، لكن الحقيقة أن الهدف وراءها واضح وهو التخلص من كل التزام جاء به القرآن الكريم ، وجعل أمور العقائد والتشريعات فوضى لا ضابط لها ، إذ لا حقيقة ثابتة — في نظرهم — يحتكم الناس إليها ، فأنت ترى الحق هنا وغيرك يراه هناك ، ولا يجوز أن يعيب أحد على أحد ، فكلاكما على صواب ، فتمرر بهذه الشعارات كل أنواع الكفر والضلالات ،علّها تكون الحقيقة

© Arabic Digital Library Yarmouk University

المنشودة ، ومن أقوال الحداثيين العرب والتي تقع ضمن خطابهم وخططهم الكبير تفريغ الدين من محتواه قول علي حرب :(لا أحد يمتلك الحقيقة المطلقة .) ([1])

وقول الجابري : (يجب أن يكون واضحا في غاية الوضوح أن المطلق مطلق ، ولكن الفهم البشري والتفسير البشري لأي جانب من جوانب المطلق هو فهم نسبي .) ([2])

ويقول طيب تيزيني مبينا حتمية الصدام والتعارض بين الفلسفة التي تؤمن بتعددية المواقف ونسبية الحقيقة ، وبين الدين كحقيقة مطلقة : (يبنى الدين على حقيقة مطلقة كلية هي الوحي ، ولما كانت الفلسفة تضع في اعتبارها تعددية المواقف والآراء ونسبية الحقيقة — أي كونها موزعة من حيث الاحتمال المفتوح بين الناس جميعا — فان التصادم بينهما قائم لا محالة .) ([3])

ويقول في موضع آخر : (ما بعد الحداثة هو عالم صيرورة كاملة ، كل الأمور فيه متغيرة ، ولذا لا يمكن أن يوجد هدف أو غاية، وقد حلت ما بعد الحداثة مشكلة غياب الهدف والغاية والمعنى بقبول التبعثر باعتباره نهائيا طبيعيا ، وتعبيرا عن التعددية والنسبية والانفتاح والدائم .) ([4])

ويقول هاشم صالح مترجم كتب أركون : (كل مجتمع لا يعترف بالتعددية العقائدية والسياسية هو مجتمع تنقصه الأنسنة إلى حد كبير لماذا ؟ لأن الاختلاف والتنوع في الرأي والفكر شرط من شروط تحرر الذهن من التحجر والانغلاق .) ([5]) أقوال واضحة وصريحة لا تحتاج الى ايضاح .

---

[1] - كتابه نقد الحقيقة على حرب : نقد النص ص ١٠٨ وانظر ص ٢

[2] - محمد عابد الجابري : تجديد النهضة باكتشاف الذات ونقدها ص ٨٣

[3] - طيب تيزيني : آفاق فلسفية عربية معاصرة ص ١٦٧

[4] - المرجع السابق ص ٣٢٢

[5] -محمد اركون : معارك من أجل الأنسنة هامش ص ١٦ تعليق هاشم صالح

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أين بدأت فكرة نسبية الحقيقة ؟

أول من قال بها هم السوفسطائيون — وعلى رأسهم الفيلسوف بروتاغوراس، وظهر السوفسطائيون في اليونان بين القرنين الرابع والخامس قبل الميلاد ، حيث كانت اليونان تموج بمجموعة من الأفكار والمذاهب المتباينة المتنوعة ، ولجأوا إلى هذا القول في تأييد الآراء المتناقضة إما شكا في الجميع أو للتخلص من جهد طلب الحقيقة ، يقول علي سامي النشّار : (نسبية كل شيء قال بها بروتاغوراس السوفسطائي حين أراد أن ينقد أصول المعرفة (إن الإنسان هو مقياس وجود ما يوجد منها ومقياس وجود ما لا يوجد) ثم أخذ بهذا الشكّاك بعده فطبقوها على الحد كما طبقوها على نواحي العلم كله فلم تعد حقيقة من حقائق العلم ثابتة أو مستقرة ، بل كل شيء — كما يقول هرقليطس — في تغير مستمر .) ([1])

وعبر بروتاغوراس زعيم السوفسطائيين عن فكرهم بقوله : (ان الانسان معيار أو مقياس الأشياء جميعا) وفي هذه العبارة القصيرة تكمن الثورة الفكرية للسوفسطائيين في مختلف ميادين الفكر انها تعني بالنسبة لنظرية المعرفة أن الإنسان الفرد هو مقياس أو معيار الوجود فان قال عن شيء انه موجود فهو موجود بالنسبة له ، وان قال عن شيء انه غير موجود فهو غير موجود بالنسبة له أيضا ، فالمعرفة هنا نسبية أي تختلف من شخص إلى آخر بحسب ما يقع في خبرة الانسان الفرد الحسية ، فما أراه بحواسي فقط يكون هو الموجود بالنسبة لي وما تراه أنت بحواسك يكون هو الموجود بالنسبة لك وهكذا).([2])

وممن قال بالنسبية أصحاب المذهب البراجماتي في الفلسفة لأنها تناسب مذهبهم النفعي المتلون ، يقول مصطفى النشار : (ليس من شك لدى أحد الآن أن بروتا غوراس هو الجد الأول للبراجماتيين المعاصرين ، سواء على المستوى الفلسفي ، وعلى المستوى الحياتي ، إذ لا يمكن فهم أقوال هؤلاء البراجماتيين معزولة عن أراء جدهم الأكبر فحينما يقول وليم جيمس : إن الحقيقي ليس سوى النافع والموافق المطلوب في سبيل تفكيرنا تماما ،

---

[1] - علي سامي النشار : مناهج البحث عند مفكري الاسلام ص ١٩١

[2] - مصطفى النشار : مدخل لقراءة الفكر الفلسفي اليوناني ص ٠٧ — ٧١

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كما أن الصواب ليس سوى الموافق النافع المطلوب في سبيل مسلكنا وان المطلق ليس صحيحا على أي نحو).([1])

فالمذهب الفلسفي البرجماتي يرى أن صحة الأفكار تتوقف على نتائجها ويجعل الحقيقة نسبية غير ثابتة ، وتتغير تبعا لظروف وأحوال الأفراد والمجتمعات .

رد علماء المسلمين

رد ابن حزم على الفلاسفة القائلين بتعدد الحقيقة في عصره بقوله : (ويقال وبالله التوفيق لمن قال هي حق عند من هي عنده حق ، وهي باطل عند من هي عنده باطل ، إن الشيء لا يكون باعتقاد من اعتقد أنه حق ، كما أنه لا يبطل باعتقاد من أعتقد أنه باطل ، وإنما يكون الشيء حقا بكونه موجودا ثابتا سواء اعتقد أنه حق أو اعتقد أنه باطل ، ولو كان غير هذا لكان معدوما موجودا في حال واحد في ذاته ، وهذا عين المحال ، وإذا أقروا بأن الأشياء حق عند من هي عنده حق فمن جملة تلك الأشياء التي تعتقد أنها حق عند من يعتقد أن الأشياء حق بطلان قول من قال إن الحقائق باطلة ، وهم قد أقروا أن الأشياء حق عند من هي عنده حق وبطلان قولهم من جملة تلك الأشياء فقد أقروا بأن بطلان قولهم حق !! مع أن هذه الأقوال لا سبيل إلى أن يعتقدها ذو عقل البتة ، إذ حسه يشهد بخلافها وإنما يمكن أن يلجأ إليها بعض المتنطعين على سبيل الشغب وبالله تعالى التوفيق .) ([2])

ورد عليهم ابن الجوزي قائلا : قال النوبختي : (قد زعمت فرقة من المتجاهلين أنه ليس للأشياء حقيقة واحدة في نفسها ، بل حقيقتها عند كل قوم على حسب ما يعتقد فيها ، فان العسل يجده صاحب المرة الصفراء مرا ، ويجده غيره حلوا ، قالوا وكذلك العالم هو قديم عند من اعتقد قدمه ، محدث عند من اعتقد حدوثه ،واللون جسم عند من اعتقده جسما ، وعرض عند من اعتقده عرضا . وهؤلاء من جنس السوفسطائية فيقال لهم : أقولكم صحيح ؟ فسيقولون هو صحيح عندنا باطل عند خصمنا قلنا : دعواكم صحة

---

[1] - مصطفى النشار : فلاسفة أيقظوا العالم ص ٧٧

[2] - ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ١/ ٤٤ – ٤٥

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قولكم مردودة وإقراركم بأن مذهبكم عند خصمكم باطل شاهد عليكم ! ومن شهد على قوله بالبطلان من وجه كفى خصمه بتبين فساد مذهبه) . ([1])

وقال ابن تيمية : (حكي عن بعض السوفسطائية أنه جعل جميع العقائد هي المؤثرة في الاعتقادات و لم يجعل للأشياء حقائق ثابتة في نفسها يوافقها الاعتقاد تارة ويخالفها أخرى ، بل جعل الحق في كل شيء ما اعتقده المعتقد وجعل الحقائق تابعة للعقائد ، وهذا القول على إطلاقه وعمومه لا يقوله عاقل سليم العقل) . ([2])

ونتساءل : ما المقصود بنسبية الحقيقة ؟ إذا كانت تعني أن الإنسان بعقله ومداركه قاصر عن إدراك كل الحقائق إدراكاً شاملاً ، نقول إن هذا التساؤل بني على مقدمات قاصرة وناقصة ، فالعقل والحواس لا تعتبر لوحدها أدوات كافية للوصول إلى الحقيقة ، فلا بد من تضافر مصادر المعرفة في الإسلام ، العقل والحواس والوحي للوصول إلى الحقائق ، وقد تكلمت عن هذا الموضوع في مبحث سابق ، لكن مشكلة الكثير من الحداثيين تكمن في المنطلق الفكري المادي الذي يحكم فكرهم ومنطلقهم للحكم على الأشياء .

فمصادر المعرفة في الإسلام تعتمد على النص الموحى ، ومعنى هذا النص ، والدقة في فهمه وتدبره ، وقد وضع العلماء مناهج دقيقة لتوثيق النصوص ومناهج دقيقة لفهمها واستنباط الأحكام منها ، وما يتوصل إليه عن طريق هذه المناهج حقائق لا شك فيها ، ولا ننكر أنه قد يحدث خطأ في الفهم والاستنباط ، وهذه مسألة عالجها العلماء بإثبات الخطأ في الفهم أو التحريف والتأويل غير المنضبط .

أما اطلاق العموميات ، والقول بأن حقائق الدين نسبية ، يدركها كل إنسان حسب فهمه ومداركه ، فقول تعوزه الدقة ، ولا يسنده الدليل ،

بقيت قضية مهمة وهي أن من يقول بنسبية الحقيقة الدينية إما أن يكون مسلماً أو غير مسلم ، أما غير المسلم فنقيم عليه الحجة الدالة على وجود الله عز وجل ؛ وصدق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فإذا آمن لزمه الإيمان بكل ما جاء من عند الله ، وان الإسلام بكل تشريعاته ومجالاته هو الدين الحق الذي لا يقبل الله غيره .

---

[1] - ابن الجوزي : تلبيس ابليس ص ٤١

[2] - ابن تيمية : الفتاوى ١٩ / ١٣٥

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أما المسلم فنسأله هل تقصد بمثل هذه الشعارات نسبية الحقيقة (الحقيقة لا يمتلكها أحد) ... هل تقصد بهذه المضامين الفكرية أن الحق قد يكون في الإسلام ، وقد يكون في غيره من الأديان المحرفة والباطلة ؟ فان كان جوابه : نعم فهذا إنكار لقوله تعالى ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ آل عمران: ٨٥ وقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ التوبة: ٣٣، وغيرها من الآيات الدالة على أن الحق المطلق في هذا الدين ، فإذا أنكر كل هذه الآيات التي تبين أين هو الحق فنقول له هذا شأنك ، وأنت حكمت على نفسك بإنكار تفرد هذا الدين بالحق كل الحق ، فيجب عليك أن تراجع إسلامك وعلاقتك بالله عز وجل .

لا أظن أن مسلماً يؤمن بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم يقول بذلك ، أو يرضى أن يكون في صف من يقول ذلك ، ولعل ما يريده الحداثيون العرب من خلال كل السياقات التي مرت هو إسلام عصري مرن جداً، مساير لروح العصر، يسمي الإلحاد إيماناً ، والإيمان دوغمائيةً وتزمتاً ، فالإلحاد قد يحمل في ثناياه صفة الحقيقة والصحة ، لأن الحقيقة نسبية ، وليست حكراً على أحد، ولا يملكها أحد ، وهكذا يصلون إلى مرادهم وهو التخلص من المفاهيم السائدة بأن الإسلام هو الدين الحق ، أو الحقيقة المطلقة ،أو هو النسخة الأخيرة المقبولة عند الله عز وجل فلا يوجد إسلام حقيقي نموذجي ، إنما الإسلام ما وافق الكتاب والسنة ، فلكل واحد تصوره المختلف عن الإسلام وطريقته الخاصة في أدائه وممارسته ، فلأنه لا يوجد معيار صحيح لمعرفة ما هو الإسلام الصحيح فان مفهوم الإسلام يجب أن يبقي منفتحا مستعصيا على الإغلاق لكي يقبل الخضوع للتغيير المستمر الذي يفرضه التاريخ ، فالإسلام لا يكتمل أبداً ، بل ينبغي إعادة تحديده وتعريفه داخل كل سياق اجتماعي ثقافي ، وفي كل مرحلة تاريخية معينة . ([1])

إن الحداثيين العرب ومن يقلدون يريدون اقتلاع مضامين الأمة من جذورها ومصادرة وجودها من خلال مصادرة قيمها وتمييع ثوابتها.

---

[1] - نصر حامد ابو زيد ، مفهوم النص ص ٧٢ ، ٧٤ وانظر النص القرآني أمام اشكالية البنية والقراءة ص ١١٣

© Arabic Digital Library Yarmouk University

المبحث الثالث

دعوى الحداثيين العرب باسطورة النص القرآني وتعاليه

يسعى الحداثيون العرب ضمن خطتهم وكتاباتهم المتكررة إلى اتهام القرآن الكريم بالمجاز والأسطورة .

فمحمد أركون يعتبر القرآن الكريم نصا أسطوريا قابلا للدراسة والأخذ والرد ، ويدّعي أن القرآن الكريم عبارة عن مجازات عالية لا يمكن أن يراد بها الحقيقة فيقول : (إن القرآن الكريم كما الأناجيل ليس إلا مجازات عالية ، تتكلم عن الوضع البشري ، إن هذه المجازات لا يمكن أن تكون قانونا واضحا) . ([1])

ويقول في موضع آخر : (إن المعطيات الخارقة للطبيعة والحكايات الأسطورية القرآنية سوف تتلقى بصفتها تعابير أدبية أي تعابير محورة عن مطامح ورؤى وعواطف حقيقية يمكن فقط للتحليل التاريخي السوسيولوجي أن يعيها ويكشفها). ([2])

وقبل أركون تحدث طه حسين وبوضوح وصراحة عن الأسطورة في القرآن الكريم في كتابه (في الشعر الجاهلي) عندما قال : (للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل ، وللقرآن أن يحدثنا عنهما كذلك ، ولكن ورود هذين الأسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي ، فضلا عن إثبات هذه القضية التي تحدثنا بهجرة إسماعيل بن إبراهيم إلى مكة) . ([3])

وهذا تكذيب صريح لقوله تعالى في سورة مريم حكاية عنه عليه الصلاة والسلام ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا

---

[1] - محمد اركون : تاريخية الفكر الإسلامي ص ٢٩٩

[2] - محمد اركون : الفكر الإسلامي قراءة علمية ص ١٩١

[3] - طه حسين : في الشعر الجاهلي ص ٢٦

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ إبراهيم: ٣٥ - ٣٧

وقال في الصفحة نفسها : ونحن مضطرون إلى أن نرى في هذه القضية — يريد قضية الهجرة — نوعا من الحيلة لإثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة ، وبين الإسلام واليهودية والقرآن والتوراة من جهة أخرى . !!!!

فهو يصرح أن القرآن الكريم اختلق هذه الصلة بين إسماعيل والعرب ، ليحتال على جلب اليهود وتأليفهم !!! ولينسب العرب إلى أصل ماجد زورا وبهتانا لأسباب سياسية أو دينية ، وفي هذا طعن في القرآن الكريم .

ويضيف بعد ذلك : (وقد كانت قريش مستعدة كل الاستعداد لقبول مثل هذه الأسطورة — الهجرة — في القرن السابع الميلادي — إلى أن قال : فليس ما يمنع قريشا من أن تقبل هذه الأسطورة التي تفيد أن الكعبة من تأسيس إسماعيل وإبراهيم عليهما السلام) .([1])

وهو تكذيب صريح لقوله تعالى ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾ البقرة: ١٢٧ ولقوله تعالى ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ البقرة: ١٢٥

إذن هو يتهم القرآن الكريم بالتدليس والاحتيال لأسباب دينية وسياسية ، من أجلها اختلق هذه القصص والأخبار وهي في حقيقتها ليست إلا اسطورة . ([2])

إذن فدعوى الأسطورة ليست جديدة ، فقد قال بها طه حسين قبل الحداثيين العرب لكن الحداثيين العرب كرروها في كتبهم ، خاصة محمد أركون ، فنحن أمام دعوى صريحة وجريئة بأن في القرآن الكريم مجازات عالية وأسطورة .

---

[1] - نفس المرجع السابق ص ٢٧، ٢٨

[2] - محمد رشيد رضا ، الإلحاد في الجامعة المصرية ، مجلة المنار العدد ٢٠

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تفنيد دعوى المجاز والاسطورة في القرآن الكريم :

مع القناعة بأن المجاز الذي يعنيه اركون وغيره من الحداثيين العرب يختلف عن المجاز قسيم الحقيقة الذي تعرض له العلماء ما بين مثبت وناف ، إلا انني سأبين معنى الحقيقة والمجاز لغة واصطلاحا ، لنعرف بعدها أن ما اراده الحداثيون بدعوى المجاز في القرآن الكريم مختلف تماما عن المجاز قسيم الحقيقة .

تعريف الحقيقة في اللغة :

الحقيقة في اللغة مأخوذة من حق يحق وحقيقة يقال : حق الشيء إذا وجب وثبت ومنه قوله تعالى :﴿ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ﴾ غافر: ٦

وحققت الأمر وأحققته أحقه إذا تيقنته أو جعلته ثابتا لازما ، وحقيق الشيء منتهاه وأصله المشتمل عليه قال ابن فارس ([1])" حق " الحاء والقاف أصل واحد وهو يدل على إحكام الشيء وصحته ، فالحق نقيض الباطل ، ثم يرجع كل فرع إليه بجودة الاستخراج ، وحسن التلفيق ، ويقال حق الشيء وجب ([2])

ومن مجموع هذه المعاني لكلمة الحقيقة يتبين أنها تطلق ويراد بها أحد المعاني الآتية :

الوجوب والثبوت واللزوم والوقوع .

تعريف الحقيقة في الاصطلاح :

للعلماء أقوال عدة من أهمها : اللفظ المستعمل فيما وقع له .

ومنها : أنها اللفظ المستعمل فيما وضع له أولا – ومنها أنها كل لفظ يقع على موضوعه ([3]) وهي متقاربة من حيث المعنى وان اختلفت ألفاظها .

وقسم العلماء الحقيقة إلى ثلاثة أقسام هي :

الحقيقة اللغوية الوضعية : وهي اللفظ المستعمل فيما وضع له أولا في اللغة كالأسد المستعمل في الحيوان الشجاع المعروف .

---

[1] - ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ٢/ ١٥

[2] - المصباح المنير ، ١/ ١٤٣

[3] - الآمدي ، الإحكام في أصول الأحكام ١ /٢٦

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الحقيقة العرفية : وهي اللفظ المستعمل فيما وضع له بعرف الاستعمال اللغوي ، وهي ضربان ، عرفية عامة وهي أن يكون الاسم قد وضع لمعنى عام ثم يخصص بعرف استعمال أهل اللغة ببعض مسمياته ، كاختصاص لفظ الدابة بذوات الأربع عرفا ، وان كان في أصل اللغة لكل ما دبّ .

ومنه أن يكون الاسم في أصل اللغة بمعنى ، ثم يشتهر في عرف استعمالهم بالمجاز الخارج عن الموضوع اللغوي بحيث انه لا يفهم من اللفظ عند إطلاقه غيره كاسم الغائط ، فانه وان كان في أصل اللغة للموضع المطمئن من الأرض غير أنه اشتهر في عرفهم بالخارج المستقذر من الإنسان ، حتى انه لا يفهم من ذلك اللفظ عند إطلاقه غيره .

الحقيقة الشرعية : وهي اللفظ المستعمل فيما وضع له في أصل الشرع كاسم الصلاة والزكاة والحج ونحوها . ([1])

تعريف المجاز لغة :

المجاز لغة : مأخوذة من جاز يجوز جوزا وجوازا ، يقال جاز المكان إذا سار فيه وأجازه أي قطعه ، يقال جاز البحر إذا سلكه وسار فيه حتى قطعه وتعداه ويقال : أجاز الشيء : أي أنفذه ، ومنه إجازة العقد إذا جعل جائزا نافذا ماضيا على الصحة ،وجاوزت الشيء وتجاوزته تعديته وتجاوزت عن الشيء : عفوت عنه وصفحت ([2])

تعريف المجاز في الاصطلاح :

للعلماء عدة تعاريف للمجاز كلها تدل على عكس الحقيقة منها : أنه اللفظ المستعمل في غير ما وضع له

ومنها : كل اسم أفاد معنى على غير ما وضع له . ([3])

وقسم العلماء المجاز الى أربعة أقسام هي :

---

[1] - المرجع السابق ١ /٢٧

[2] - القاموس المحيط ٢ /١٧٠ وانظر مختار الصحاح ٣ /٨٧٠

[3] - انظر : التمهيد لأبي الخطاب ١ / ٧٧

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مجاز الافراد : وهو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له لعلاقة مع قربته صارمة عن قصد المعنى الأصلي كاطلاق الأسد على الرجل الشجاع .

مجاز التركيب : وهو استعمال كلام مفيد في معنى كلام آخر لعلاقة بينهما دون نظر الى المفردات ومن ذلك جميه الأمثال المعروفة عند العرب .

المجاز العقلي : وهو ما كان التجوز فيه في الاسناد خاصة لا في لفظ المسند اليه ولا المسند كقولك (أنبت الربيع البقل) فالربيع وانبات البقل كلاهما مستعمل في حقيقته والتجوز انما هو اسناد الانبات الى الربيع مع أنه لله عز وجل .

مجاز النقص والزيادة : فمداره على وجود زيادة أو نقص يغيران الاعراب ويمثلون للنقص بقوله تعالى :" واسأل القرية" والمراد أهل القرية .

ويمثلون للزيادة بقوله تعالى :" ليس كمثله شيء " ويقولون ان الكاف زائدة والمراد ليس مثله شيء . ([1])

اذن المجاز الذي اختلف فيه العلماء ما بين مانع ومجيز يختلف عما يقول به الحداثيون العرب أما عن دعوى الأسطورة في القرآن الكريم فلا أريد أن أقف طويلاً عند هذه الدعوى لأنها تحمل تهافتها في ثناياها ، فهذا الكتاب المعجز المنزل من الله عز وجل الذي (لا ريب فيه) لا يمكن أن يكون أسطورة كما يدعي الحداثيون العرب وغيرهم .

فالأسطورة بالمعنى الحقيقي كانت موجودة عند اليونان وعند العرب الجاهليين ، وكانت تتمثل في قصص وملاحم ومعتقدات وثنية ، وتفسير أحداث الحياة وظواهر الطبيعة على ضوء هذه المعتقدات .

هذا التراث من الأساطير والخرافات المتصل بطوالع النجوم ، وأفلاك البروج كان بمثابة تجارة للكهنة القدامى في الحضارات المصرية والآشورية والبابلية القديمة .

وعندما جاء الإسلام حطم هذا التراث الأسطوري كله ، وقضي عليه وذلك حين قدم صحاح الأخبار والصور والعقائد فيما يتعلق بمختلف شؤون الغيب ، وأجاب عن كل الأسئلة التي جاءت بها هذه الأساطير والخرافات ، ومن الأمور المهمة التي ناقشتها العقيدة الإسلامية وبينت أصول المعرفة فيها :

---

[1] - الجرجاني ، التعريفات ، ص ٢١٥ وانظر : إرشاد الفحول ص ٢٣ — ٢

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

علم الغيب : فقد أعطى الإسلام تصوراً واضحاً وكاملاً لعالم الغيب ، أو ما يسمونه عالم الميتافيزيقيا ، فكشف عن حقائق عالم الجنّ والملائكة ، ورسالات الأنبياء والوحي وخلق السماوات والأرض، وأوضح علاقة الإنسان بها ، ودعا الإنسان إلى أن يعبد خالق هذه الكواكب ، وأن لا يسجد للشمس ولا للقمر ، وأنه سبحانه وتعالى رب كل مظاهر الكون ، ودعاه إلى ترك عبادة الأوثان والأصنام والصور ، وعلمه أن كل هذه الآلهة المزعومة لا تملك ضرا ولا نفعا ، وكشف الله سبحانه وتعالى عن سنن الخلق ، وتصريف الرياح ، وإنشاء السحب وسوقها إلى حيث يأمرها بأن تمطر فتمطر .

ووقف الإسلام على الأساطير التي تتحدث عن الشياطين والأرواح الشريرة التي تقتل البشر، فنبذها ودعا إلى التداوي من الأمراض ، وقضى بذلك على فعل الكهنة من ادعاء الشفاء ، وطرد الأرواح الشريرة ، ودحض ما يسمونه طوالع النجوم ، وقراءة الأبراج التي تبين مستقبل الإنسان ومصيره ، وأنها ترهات لا تقدم ولا تؤخر أمام قدر الله عز وجل ، وأن الغيب لا يعلمه إلا الله عز وجل ...

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ ﴾ الأعراف: ١٨٨

ودعا الإسلام إلى اعتماد العقل في الوصول إلى حقائق الأشياء ، وأن ينظر الإنسان إلى خلق السماوات والأرض ، وكيف بدأ الله الخلق ، ودعا المسلمين إلى بناء منهج علمي تجريبي يحرر العقل من الأساطير والخرافات ، ويدعوه إلى النظر والتفكر في ملكوت الله ليصل إلى دقة صنع الله عز وجل في الكون قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ الذاريات: ٢١ - ٢٢ وبذلك قضى الإسلام بالعلم والحقائق على ركام الأساطير والخرافات ، وأعطى العقل مساحة واسعة للنظر والتفكر والتدبر ودعاه إلى العمل والايجابية ، والى تجنيد كل طاقاته وقدراته لخدمة بني البشر ، فلا عبثية في هذا الدين ، و الجيل القرآني الأول الذي تخرج من مدرسة النبوة ، والذي غيّر أمة العرب من وضع إلى وضع أكبر دليل على ذلك .

فأين الخرافة وأين الأسطورة في كتاب سماوي أعظم سماته هو التغيير وتفجير الطاقات نحو بنيان حضاري شهدت به البشرية كلها .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

إن الاسطورة بالمصطلح الغربي أو المصطلح اللاتيني (MYTH) تحمل سمة البطلان والكذب ومناقضة الحقيقة والواقع ، والجنوح إلى الخيال واللاواقع ... الخ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل السادس

وجوه الاعجاز عند الحداثيين العرب
محمد عابد الجابري أنموذجاً

المبحث الأول : موقفه من آيات التحدي

المبحث الثاني : موقفه من اللفظ والمعنى

المبحث الثالث : موقفه من اعجاز القرآن الكريم لغير العرب

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تمهيد : عرضت في الفصول السابقة لمواقف الحداثيين العرب من النص القرآني حيث قالوا بتاريخيته ، وأنه تشكل في الواقع ، ودعوا الى قراءته حسب مناهج النقد الغربية كنظريات (الأركولوجية — الحفرية -) و (البنيوية — الدلالة -) و (التفكيكية — التشريحية -) و (الهرمينوطيقية — التأويلية -) وغيرها من النظريات التي وضعت أصلاً في اوروبا للتعامل مع العهدين القديم والجديد ، لكنهم أحجموا عن بيان موقفهم الصريح من اعجاز القرآن الكريم لاسباب براغماتية — نفعية- ليتمكنوا من نشر أفكارهم بين الناس عامة ، والمثقفين والمستنيرين خاصة، والمتأمل في كتاباتهم يدرك أنهم منكرون للاعجاز القرآني ، لانهم جعلوا القرآن الكريم نصاً أدبياً يوضع على مشرحة الدراسة النقدية كغيره من النصوص وعاملوه معاملة الأدباء للنصوص الأدبية والمسرحية .

ومن هنا ارتأيت أن أخصص هذا الفصل للحديث عن موقف الدكتور محمد عابد الجابري من اعجاز القرآن الكريم ، وهو معروف بنقده للعقل العربي خاصةً في كتابه المطوّل (نقد العقل العربي بأجزائه الأربعة) وكتابه (مدخل الى القرآن الكريم) حيث أفرد في هذا الكتاب فصلاً كاملاً للحديث عن الأحرف السبعة والمعجزات بيّن فيه موقفه بشكل صريح من قضايا كثيرة تتعلق بالاعجاز مثل حديثه عن التحدي وعن القول بالصرفة ، ومعنى القرآن ونظمه .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الأول : موقف الجابري من آيات التحدي

أورد الجابري في الفصل السابع من كتابه مدخل الى القرآن الكريم جملة أسئلة تتعلق بموقفه من الاعجاز وابتدأ كلامه ببيان موقفه من التحدي فقال : (إن هذه المعجزة تتمثل في كونه تحدى خصوم الدعوة المحمدية من قريش – الذين قالوا إنه ليس من عند الله وان محمداً افتراه من عنده أو أعانه عليه قوم آخرون – أقول تحداهم أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا عن ذلك . لقد اكتسى هذا التحدي طابع التعجيز فوصف القرآن بأنه معجز ، وبما أنه خص به محمد صلى الله عليه وسلم فهو معجزة له وبما أن الدعوة المحمدية كانت موجهة في البداية الى المشركين بمكة بنص القرآن نفسه (ولتنذر أم القرى ومن حولها) الأنعام آية ٩٢ فان هذا الاعجاز بقي قائماً ما دام المخاطبون به هم العرب وحدهم ، ولكن عندما اتسعت رقعة الاسلام وأصبحت تضم أقواماً من غير العرب صار من الضروري طرح قضية الاعجاز بالصورة التي يمكن أن يواجه بها غير العرب ، ومن هنا وسّع علماء الاسلام مضمون الاعجاز القرآني ليشمل معانيه ، وهكذا أصبح المسلمون ينظرون الى القرآن على انه معجز ليس بلفظه فقط بل بمعانيه أيضا) . ([1])

هذا الكلام يحمل في مضامينه، طعناً في عموم الرسالة الاسلامية التي يصفها بالرسالة لمحمدية ويحصرها في أمة العرب ، ويصرح أن التحدي كان للعرب وحدهم ، وأن القرآن الكريم معجز بلفظه لا بمعانيه .

أما بالنسبة للتحدي فبعد أن أنكر المشركون – عناداً وتكبراً – أن القرآن الكريم كلام الله أراد سبحانه أن يبين كذبهم وعجزهم وبطلان اداعائهم ، فكان التحدي ابتداء بقوله تعالى :﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ ﴾ الطور: ٣٤ ثم تحداهم بالقرآن كله قَالَ تَعَالَى:﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ الإسراء: ٨٨

---

[1] - الجابري ، محمد عابد ، مدخل الى القرآن الكريم ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت لبنان ط١ ، ٢٠٠٦ م ، ص ١٨٢

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ثم كان التحدي بعشر سور كالقرآن الكريم قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ هود: ١٣ - ١٤

ثم كان التحدي بسورة واحدة قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ يونس آية ٣٨

ثم ختمت آيات التحدي بآية سورة البقرة قال تَعَالَىٰ:﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ البقرة: ٢٣ – ٢٤

في هاتين الآيتين الكريمتين ثمة قضايا مهمة نرد بها على الدكتور الجابري في قوله ان التحدي كان مقصورا على العرب وحدهم :

الأولى : أن سورة البقرة مدنية وهذا هو التحدي الأخير لمشركي العرب وغيرهم الى قيام الساعة

الثانية : أن الآيات السابقة – المكية – خوطب بها العرب لأنهم هم المتحدون فيها ، أما هذه الآية فقد خوطب بها الناس جميعا يدل على ذلك سياق الآية الكريمة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ البقرة: ٢١

الثالثة : أن آيات التحدي السابقة مختلفة من حيث الأسلوب عن آيتي البقرة ، وبيان ذلك أن الآيات السابقة – المكية – جاءت تطالب بالمثلية فليأتوا بحديث مثله ، بعشر سور مثله مفتريات ، فأتوا بسورة مثله ، أما آية البقرة فجاء الأسلوب فأتوا بسورة من مثله ، فكلمة (من) لم تذكر إلا في هذه المرحلة .

وذلك لأن المخاطبين في الآيات المكية هم العرب أهل البيان والفصاحة فطولبوا بالبيان وجاءت الآيات خالية من (من) .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أما آية البقرة فالمخاطبون هم الناس كلهم عربهم وعجمهم ، فجاءت الآية مشتملة على هذا الحرف الدال على التبعيض ، ومعنى هذا أن المرحلة الأخيرة كان التحدي فيها للناس جميعا ولا يعقل أن يتحدى الناس بالبيان وحده وإنما هو تحدي عام عموم المخاطبين . ([1])

وقوله تعالى :" وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا ..." نفي الريب عن المنزل عليه بنفيه عن المنزل ، والتعبير عن اعتقادهم في حقه بالريب للإيذان بأن أقصى ما يمكن صدوره عنهم هو الارتياب في شأنه ، أو للتنبيه على أن كلامهم في شأن القرآن هو بمنزلة الريب الضعيف لكمال وضوح الدلالة على أن القرآن من عند الله تعالى .

وعبر بقوله :" وإن كنتم في ريب " ولم يقل وإن كنتم ارتبتم فيما نزلنا للإشارة إلى أن ذات القرآن لا يتطرق اليها ريب فهم لا يرتابون في استقامة معانيه ، وصحة أحكامه ، بل في نفي كونه وحيا منزلا من عند الله عز وجل . ([2])

يقول الباقلاني :(ودلّ النقل المتواتر الذي يقع به العلم الضروري أن العرب لم يأتوا بمثل القرآن ولو بسورة واحدة ، والذي يدل على ذلك أن فترة التحدي استمرت في العهدين المكي والمدني ، وجعل الله عز وجل التحدي دلالة على صدق نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلو كانوا يقدرون على تكذيبه لفعلوا ، ومعلوم أنهم لو عارضوه بما تحداهم به لكان فيه توهين أمره ، وتكذيب دعواه الرسالة ، وكان من صدّق وآمن به سيرجع على أعقابه ، فلما لم يفعلوا شيئا من ذلك مع طول المدة ، وكان أمره يعلو شيئا فشيئا ، وهم على عجزهم على أنهم لا يقدرون على معارضته ، ويؤيد ذلك أنهم ناصبوه الحرب وقطعوا الأرحام ، فكيف يلجأون للحرب والعداوة ، والمعارضة قريبة سهلة ميسورة ، وفيها كفاية لدحض حجته وإبطال أمره ، فهذا مما يمتنع وقوعه في العادات ولا يجوز اتفاقه من العقلاء). ([3])

---

[1] - انظر : فضل حسن عباس : إعجاز القرآن الكريم ، دار الفرقان للنشر والتوزيع – عمان – ط٣ سنة ١٩٩٩ م ص

[2] - انظر : تفسير أبي السعود ١ / ١٠١

[3] - اعجاز القرآن للباقلاني ص ٢٠ - ٢٢

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومعلوم أن لو ظهرت المعارضة لاشتهر أمرها كما اشتهر أمر القرآن ، لكان من مصلحة الأعداء – وهم كثر – نقل هذه المعارضة والافتخار بها ، ولكن لم يحدث شيء من ذلك وهذا تأكيد على العجز عجز البشر عن معارضة القرآن الكريم ، وأن القرآن كلام الله عز وجل .

والعرب يعلمون أن معارضة القرآن بنظم سورة مثله أبلغ في تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم ، وأسرع في تفريق أتباعه ، لكنهم عجزوا عن ذلك مع أنهم مصاقع الخطباء ، وأساطين البلاغة في تلك الفترة الطويلة ، فسلكوا سبيلا آخر وهو بذل النفوس والمقارعة بالسيوف ، والخروج من الأوطان ، وانفاق الأموال بالحرب الضارية ، فعدولهم عن معارضة القرآن وقعودهم عن ذلك مع بلوغهم وطرهم لو فعلوا وعدولهم الى ما هو أشق منه من بذل النفس والمال ، لهو دليل على عجزهم وضعف حيلتهم ، فسلوكهم كل مسلك وعر أريقت فيه المهج ،وقطعت بسببه الأرحام، وذهبت الأموال ، فلو كان التحدي في وسعهم ما تكلفوا هذه الأمور الخطيرة .

أضف الى ذلك أن الدكتور الجابري تجاهل آيات كثيرة في القرآن الكريم تؤكد عالميته وأنه جاء للبشر كلهم ، فاذا لاحظنا موقع القرآن الكريم بكونه آخر رسالات الله الى الناس الى يوم القيامة ، وخاتم الكتب الالهية علمنا أن هذا القرآن نزل ليخاطب جميع البشر وفي كل الأزمنة والى قيام الساعة وعالمية القرآن مؤيدة بعشرات الأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية كقوله تعالى ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ يوسف: ١٠٤ وقوله تعالى ﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ القلم: ٥٢ وقوله تعالى ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ص: ٨٧ ويلاحظ في هذه الآيات القرآنية انها جاءت في صورة الحصر والجملة بهذه الصورة الحصرية تؤكد عالمية القرآن حيث انه قد نص عليها بشكل واضح .

وصيغة العالمين وهي جمع وتعريفها (بأل) التعريف تدل في العربية على الاستغراق .

وهناك آيات أخرى تصرح بعالمية القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ الفرقان: ١

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ الأنبياء آية ١٠٧ ونلاحظ أن هذه الآيات كلها مكية .

هذا ما يتعلق بالجزء الأول من كلام الجابري في شأن الخطاب الموجه الى مشركي العرب . أما ما يتعلق بالاعجاز باللفظ والمعنى فسنتحدث عنه في المطلب التالي .

المطلب الثاني : موقف الجابري من اعجاز القرآن الكريم باللفظ والمعنى

بعد أن عرض الدكتور الجابري لحصر الخطاب القرني في العرب انتقل لبيان موقفه من الاعجاز بالمعنى فقال: (من هنا وسّع علماء الاسلام مضمون الاعجاز ليشمل معانيه وهكذا أصبح المسلمون ينظرون الى القرآن على أنه معجز ليس بلفظه فقط بل بمعانيه أيضا). ([1])

هذا الكلام فيه مغالطة واضحة : ذلك ان القرآن الكريم معجز بلفظه ومعناه .

وما اللفظ بلا معنى الا كالجسد بلا روح ، ولذلك عني العلماء من السلف والخلف بالبلاغة القرآنية لأنها أساس الاعجاز . فقد درس ابن قتيبة الصور البيانية في القرآن الكريم ، وقال بالتفاوت بين قصائد الشاعر الواحد ، وبالتفاوت بين الشعراء ، غير أن القرآن غير متفاوت الاعجاز ، وعلل هذا الاعجاز عن طريق البديع ، وقد ألمّ برأيه هذا ، وبطريقته هذه في الدراسة في كتابه تأويل مشكل القرآن ، فبلاغة القرآن تعتمد على دقة التعبير ، والاجادة في الوصف بألفاظ قليلة ، وتوسع في الدلالة . ([2])

ويعدّ هذا المبدأ مهماً في الدراسة والتحليل ، ويرى ابن قتيبة أنه يمكن ادراك اعجاز بلاغة القرآن بكثرة المدارسة . قال (وانما يعرف فضل من كثر نظره واتسع علمه وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب ، وما خص الله به لغتها دون جميع اللغات) ([3]) وحدد هذه

---

[1] - انظر كتابه : مدخل الى القرآن الكريم ، ص ١٨٥

[2] - ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ، تحقيق أحمد صقر ، ص٤

[3] - المرجع نفسه ص ٧

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الخصائص البلاغية للغة العربية في موضوع آخر في كتابه ، فقال عن العرب (فلهم المجازات في الكلام ومعناها طرق القول ومآخذه . ففيها الاستعارة ، والتمثيل ، والقلب ، والتقديم ، والتأخير ، والحذف ، والتكرار ، والاخفاء ، والاظهار ، والتعريض ، والافصاح ، والكناية ، والايضاح ، ومخاطبة الواحد مخاطبة الجميع ، والجميع خطاب الواحد ، والواحد والجميع خطاب الاثنين ، والقصد بلفظ الخصوص لمعنى العموم ، وبلفظ العموم لمعنى الخصوص. ([1])

فالقرآن الكريم معجزة لأنه أجاد استعمال خصائص اللغة العربية ووصل بها الى القمة التي تدرك من طرف البشر ، على الرغم من تمتع العرب بحاسة بلاغية يميزون بين كلام الله وكلام البشر ، الا انهم لا يستطيعون الاتيان بمثل القرآن .

واتبع الرماني ابن قتيبة في القول ببلاغة القرآن فخص الموضوع برسالة عنوانها (النكت في اعجاز القرآن) ([2]) وذهب الى أن البلاغة تنقسم الى ثلاثة أقسام : الأعلى ، الأدنى ، وما هو وسط بين الأعلى والأدنى ، وشرح كل طبقة على حدة ، ورأى أن أعلى طبقة هي المعجز ، وهي بلاغة القرآن ، وما كان دون ذلك فهو ممكن كبلاغة البلغاء .

لقد أوجد هذا الاتجاه أتباعاً زكوه بأفكار ودراسات قيمة في سبيل الكشف عن بلاغة القرآن وعن اعجازها كدراسة أبي هلال العسكري في الصناعتين التي جاءت لتكشف عن التباين بين بلاغة النص المقدس وبلاغة النص البشري ، فالقرآن الكريم معجز (بما خصه الله به من حسن التأليف ، وبراعة التركيب ، وما شحنه به من الايجاز البديع ، والاختصار اللطيف ، وضمنّه من الحلاوة وعذوبتها وسلاستها ، الى غير ذلك من محاسنه التي عجز الخلق عنها .([3])

ويشترط العسكري لمعرفة اعجاز القرآن البلاغي ، معرفة البلاغة العربية وتعلمها حتى يستطيع المرء أن يميز بين مراتب الكلام ، ولهذا وضع كتابه ليذلل به من تلك الصعاب قال : (فلما رأيت تخليط هؤلاء الأعلام فيما راموه من اختيار الكلام ، ووقفت على موقع

---

[1] - المرجع نفسه ص ١٦

[2] - الرماني ، ابراهيم ، النكت في اعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في الاعجاز

[3] - العسكري ، ابو الهلال ، الصناعتين ، تحقيق علي محمد البجاوي ، مطبعة البابي الحلبي ط١ ص ١

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

علم البلاغة من الفضل ، ومكانه من الشرف والنبل ، ووجدت الحاجة ماسة ، والكتب المصنفة فيه قليلة ... فرأيت أن أعمل كتابي هذا مشتملا على جميع ما يحتاج اليه في صنعة الكلام : نثره ونظمه ويستعمل في محلوله ومعقوده ، من غير تقصير واخلال ، واسهاب واهدار). ([1])

وما ذهب اليه الجابري من فصل اللفظ عن المعنى ، وان الاعجاز باللفظ كان في مرحلة مخاطبة العرب وحدهم ثم أصبح علماء الاسلام يوسعون الاعجاز ليشمل المعنى بعد ذلك يعتوره الوهن وعد الدقة لعدة أسباب منها :

أولاً : لا يصح الفصل بين اللفظ والمعنى لا في لغة العرب ولا في غيرها ، اذ الألفاظ قوالب المعاني.

ثانياً : لم يكن الخطاب القرآني في المرحلة المكية باللفظ وحده ، وانما بالمعنى الكامن فيه بدليل أن العرب عجزوا عن الاتيان بعشر سور مثله مفتريات المعاني .

ثالثاً : ان علماء الاسلام لا علاقة لهم بقضية اثبات اعجاز القرآن الكريم من حيث التوسيع أو التضييق ، وانما اعجاز القرآن الكريم كامن في ذاته ، وأنه خطاب للعامة والخاصة ، يخاطب العقل والعاطفة .

---

[1] - المصدر نفسه ص ٣، ٤

© Arabic Digital Library Yarmouk University

المبحث الثاني : موقف الجابري من نظم القرآن الكريم

النظم القرآني هو أساس الاعجاز عند أساطين البلاغة لأنه يربط بين اللفظ والمعنى برباط ناظم لهما ، وهي مسألة بذهية عند أهل العلم ومع ذلك ينظر الجابري الى المسألة من منظور خاص فيقول : (لم يكن هذا النوع من القول في إعجاز القرآن الكريم ليمر من دون أن يثير ردود فعل داخل الدائرة العربية الإسلامية إن الاعتراف بما في القرآن من (إخبار الغيوب) أمر مقبول بل مرغوب ، ولكن لا يجوز أن يكون ذلك على حساب (تأثيره البيان البلاغي) والرسول يقول:

(إن من البيان لسحراً) خصوصا في وقت لم يعد فيه علوم المعرفة العربية عائقا فقد تعلم المسلمون من غير العرب اللغة العربية حتى صار جلّ علمائها الذين صاروا مراجع علمية فيها في مجال النحو والشعر والبلاغة من الأعاجم) . ([1])

يظهر لي أن الجابري في كلامه هذا ينكر أن يكون القرآن الكريم معجزاً بالنظم ، وجاء كلامه بطريقة موهمة فقال : (قد نعترف بما في القرآن من إخبار الغيوب ، لكن ليس على حساب تأثيره البياني). ([2])

أما أخبار الغيب التي يعترف بها الجابري فهذه مسألة معروفة لا يختلف فيها اثنان ، لكن السؤال هنا هل تكون الاخبار عن الغيب بلا نظم ، تكمن معاني الغيب فيه هذا أولاً ، وأما ثانياً فان الاخبار عن الغيب ليست في كل آية من آيات القرآن الكريم وانما هي في بعض آياته ، لكن النظم ينتظم القرآن الكريم كله ، ولذلك أجمع علماء الاعجاز على أن الإعجاز البياني يشمل القرآن الكريم .

وقد قسّم الخطابي الكلام إلى أقسام ثلاثة هي :

- الكلام البليغ الرصين الجزل
- الكلام الفصيح القريب السهل
- الجائز الطلق الرسل

---

[1] - انظر : مدخل إلى القرآن الكريم ص ١٨٥

[2] - نفس المرجع والصفحة

© Arabic Digital Library Yarmouk University

القسم الأول : أعلى طبقات الكلام وأرفعه ، والقسم الثاني أوسطه وأقصده ، والقسم الثالث أدناه وأقربه ، فحازت بلاغات القرآن من كل قسم من هذه الأقسام حصة ، وأخذت من كل نوع من أنواعها شعبة ، فانتظم لها بامتزاج هذه الأوصاف نمط من الكلام يجمع صفتي الفخامة والعذوبة ، وهما على الانفراد في نعوتهما كالمتضادين ، لأن العذوبة نتاج السهولة ، والجزالة والمتانة في الكلام تعالجان نوعا من الوعورة ، فكان اجتماع الأمرين في نظمه مع نبو كل منهما على الآخر فضيلة خص بها القرآن .([1])

وبهذا التقسيم كشف الخطابي عن بلاغة القرآن بالنظم الذي حوى كل هذه الجوانب وهو قمة كل قسم من هذه الأقسام .

وقد توجد الفضائل الثلاث على التفوق في أنواع الكلام ، فأما أن توجد مجموعة في نوع واحد منه ، فلم توجد إلا في كلام العليم القدير ، الذي أحاط بكل شيء علما ، وأحصى كل شيء عددا .... واعلم أن القرآن انما صار معجزا ، لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمنا أصح المعاني).([2])

إن الخطابي يريد أن يبين جماليات النص القرآني ، ويكون بذلك قد مهد لنظرية النظم التي جاء بها الجرجاني في كتابه دلائل الاعجاز ، ومن ثم حازت بلاغة القرآن من كل قسم من الأقسام حصة ، وقد علل الخطابي السر البلاغي الذي أعجز العرب عن الاتيان بمثل القرآن أو بسورة من مثله بما يلي :

- أن علمهم لا يحيط بجميع أسماء اللغة العربية وألفاظها ، التي هي ظروف المعاني والحوامل
- أن أفهامهم لا تدرك جميع معاني الأشياء المحمولة على تلك الألفاظ
- وأن معرفتهم لا تكتمل لاستيفاء جميع وجوه النظوم التي بها يكون ائتلاف الألفاظ وارتباط بعضها ببعض . ([3])

---

[1] - انظر : الخطابي : بيان إعجاز القرآن ص٢٣ ، ٢٤

[2] - نفس المرجع والصفحة

[3] - نفس المرجع السابق

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولذلك يرى الخطابي أن بلاغة القرآن تكمن في لفظ حامل ، ومعنى به قائم ، ورباط لهما ناظم ، وهذا هو النص المعجز ، أو لنقل بأن النص القرآني معجز بهذه الأشياء الثلاثة . وقد اجتمعت فيه كلية ، و لم تجتمع في غيره.

وانتقل بعد ذلك إلى مناقشة تلك الآراء التي حاولت أن تنقص من هذا النص ، ورد عليها رداً شافياً يكشف فيه عن جماليات النص القرآني .

ولئن كان الخطابي مؤسساً لمبادىء نظرية النظم ، فان الجرجاني أضحى صاحب النظرية بلا منازع ، والناظر في كتابه (دلائل الاعجاز) يدرك أن الرجل رحمه الله تعالى قد ذكر الأدلة النقلية ، والحجج العقلية على أن القرآن الكريم معجز بالنظم لأن المزية في الكلام انما تعود الى نظمه لا الى اللفظ وحده ، ولا الى المعنى وحده ، وإنما بالرباط الناظم لهما ، ولذلك ركّز الجرجاني على النحو في تقعيد نظريته لأنها : توخي معاني النحو .

ولو درس الجابري ما كتبه الجرجاني دراسة منصفة لتراجع عن قوله .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

موقف الجابري من الاعجاز بالصرفة

يعرض الجابري للقول بالصرفة من خلال ذكرها كأحد أشكال اعجاز القرآن الكريم فيقول تحت عنوان (القول بالصرفة) (وهكذا فبمجرد ما توسعت الدولة العربية الاسلامية واستقرت وبدأ الاحتكاك الحضاري والصراع الثقافي داخل المجتمع الاسلامي ، الذي صار يضم أقليات دينية وجماعات اثنية مختلفة ، طرحت من جديد مسألة اعجاز القرآن . كان المناهضون للحكم العربي من الأقليات الدينية، يطعنون في القرآن وفي مصدره الالهي).([1])

ثم يتابع الجابري كلامه فيقول : (كان من الطبيعي ، اذا ، أن يتصدى مفكرو الإسلام ، وفي مقدمتهم المتكلمون ، إلى الرد على هذه المطاعن بابراز وجوه أخرى لاعجاز القرآن . وقد اراد المعتزلة أن يعطوا مفهوم (الإعجاز) القرآني طابعا كليا بحيث يسلم به العربي وغير العربي فربطوا بأمور تتصل بالمعنى لا باللفظ . كإخباره بالغيب : (الغيب) في الماضي أي حكايته لأحوال الأمم الماضية التي لم يكن العرب ايام النبوة يعرفون عنها شيئاً (والغيب) في المستقبل كاخباره بهزيمة الروم قبل وقوعها ... الخ أما الجانب الآخر من القرآن ، الجانب البلاغي ، جانب اللفظ ونظم الكلام ، فمنهم من اعتبر القرآن معجزاً بذاته ، بمعنى أن البشر عاجزون بطبيعتهم عن الاتيان بمثله ، ومنهم من اعتبره معجزاً بتدخل الإرادة الإلهية التي منعت العرب وصرفتهم عن الاتيان بشيء مثله) .([2])

يحاول الجابري أن يلفت الانتباه إلى أن القرآن الكريم ليس معجزاً بلفظه وأسلوبه وأن عدم اتيان العرب بمثله ليس علته عدم قدرتهم على ذلك ، فهم البلغاء الفصحاء ، ولكن العلة في ذلك راجعة الى أن الله تعالى قد صرفهم عن معارضة القرآن الكريم ولو أطلق لهم العنان لكان بمقدورهم ذلك ، والقول بالصرفة انما هي فكرة جاء بها النظام ليثبت أن القرآن معجز باخبار الغيب كغيره من الكتب المقدسة ، وأن العرب قد صرفت قدراتهم عن المعارضة ، ولذلك لا يكمن الاعجاز في كيان القرآن الكريم في نظره ، ومن هنا رد العلماء على النظّام حتى أن تلميذه الجاحظ فنّد ما ذهب اليه استاذه .

---

[1] - انظر كتابه : مدخل إلى القرآن الكريم ص ١٨٥

[2] - نفس المرجع والصفحة

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قال الخطابي : (وذهب قوم الى أن العلة في اعجازه الصرفة ، أي صرف الهمم عن المعارضة ، وان كان مقدورا عليها ، الا ان العائق من حيث كان أمرا خارجا عن مجاري العادات صار كسائر المعجزات) . ([1])

وقال الباقلاني : (فان قيل : فلمَ زعمتم أن البلغاء عاجزون عن الاتيان بمثله مع قدرهم على صنوف البلاغات ، وتصرفهم في أجناس الفصاحات ؟ وهلاّ قلتم : إن من قَدرَ على هذه الوجوه البديعة كان على مثل نظم القرآن قادراً ، وإنما يصرفه الله عنه ضرباً من الصرف ، أو يمنعه من الاتيان بمثله ضرباً من المنع) . ([2])

يضاف إلى ذلك أن القرآن الكريم قد أذهل العرب بتفوق بيانه وسحر أسلوبه وأعلنوا أكثر من مرة أنهم ما رأوا مثله شعراً ولا نثراً ومقتضى ذلك أن اعجاز القرآن لذاته لا لشيء خارج عنه .

وللاستاذ العلامة محمد أبي زهرة كلام وجيز في هذه المسألة يقول رحمه الله : (لو قلنا ان الذي منع العرب من الاتيان بمثله هو الصرفة ما كان القرآن هو المعجز ، وانما يكون العجز منهم ، ولم يكونوا عاجزين وانما يكون قد أعجزهم الله ، ولم يعجزهم القرآن ذاته .) ([3])

اذن فالقول بالصرفة ينفي عن القرآن الكريم صفة الاعجاز فهل يريد الدكتور الجابري ذلك ؟

لأن عبارة الدكتور الجابري تشير إلى هذا المعنى حين ذكر قول القائلين بالصرفة دون تفنيد أو رد ، وهو استاذ في الفلسفة وله باع طويل ، وخاصة في نقد العقل عامة والعربي خاصة لكنه لم ينقد القائلين بالصرفة على الرغم من مخالفتها لبداهة العقل الحصيف .

وهناك عدة أضرب من الأسئلة تطرح للمناقشة :

ماذا لو نزل القرآن الكريم بغير لغة العرب هل سيكون العرب غير مخاطبين بالدعوة الاسلامية عندئذ ؟

---

[1] - الخطابي : بيان اعجاز القرآن ص ٢٢

[2] - الباقلاني : اعجاز القرآن ص ١٨٥

[3] - ابو زهره ، محمد : المعجزة الكبرى ، دار الفكر العربي ، مصر ، سنة ١٩٩٨ م ص ٦١

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أما السؤال الثاني فالتاريخ شاهد على أن الاسلام وكتاب الاسلام – القرآن الكريم – قد وصلا الى حيث تصل الشمس وهي بلاد ليست عربية ، والعرب كما هو معروف محصورون في الجزيرة العربية ، اذن بم يفسر الاستاذ الكبير الجابري انتشار الاسلام في هذه الأصقاع ؟

أما السؤال الثالث فهو يعلم وهو يتكلم بلغة عربية فصحية أن سيبويه ليس بالعربي واسمه دال عليه ، ومع ذلك كتب كتابا في النحو صار يسمى قرآن النحو ، فهل سيبويه غير مخاطب باعجاز القرآن الكريم ؟

وبعض هذه الأسئلة تحتاج الى اجابة من المفكر الكبير الدكتور الجابري ، ويحلو لي أن اناقش كلامه الذي يقول فيه ان الاعجاز للعرب خاصة أقول : ان العربية لغة كغيرها من اللغات لها أصحاب يتكلمون على السليقة وآخرون يتعلمونها فيصبحون متقنين لها فلئن كان الخطاب القرآني موجها الى العرب بلسانهم العربي أصالة فان غيرهم مكلفون بتعلم هذه اللغة ليفهموا القرآن الكريم ويتعبدوا في دين الله .

ونحن نعلم جميعا أن الدول الكبرى كبريطانيا وامريكيا لا تقبل الطالب في الدراسة عندهم الا اذا أتقن الغة الانجليزية لغة العلم ، ليصبح قادرا على التعامل مع العلوم ، وصار اتقان لغتهم من الأساسيات في جامعاتنا وفي كليات الشريعة .

فهل يتصور أن يكون تعلم لغتهم اجباريا لنا لتلقي علومهم حتى لا يحرم منه غير أصحاب اللسان بينما يكون القرآن معجزا بلغته العربية لأصحاب اللسان وليس معجزا لغيرهم .

هذا وأود أن أنبه الى أن آخر آية من آيات التحدي نزلت جاء فيها حرف (من) في قوله تعالى (من مثله) جاء الاعجاز عاما ليدخل فيه الاعجاز العلمي والغيبي والتشريعي وكل وجوه الاعجاز الأخرى .

ولبيان بعض هذه الوجوه الاعجازية أذكر نماذج من الاعجاز الغيبي الذي تحقق والاعجاز العلمي الذي ثبتت يقينته في كثير من مسائل العلم ، ويشهد لها القاصي والداني والمسلم وغير المسلم ، وهذا ما سأعرض له تالياً .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الثالث : موقف الجابري من اعجاز القرآن الكريم لغير العرب

أما موقف الجابري من اعجاز القرآن الكريم لغير العرب فيعرض له في قوله: (اذا كان القرآن أبلغ تأثيرا في النفس حين يرتل ترتيلا بلسان عربي مبين ، واذا كان القرآن يقرر أن العرب ما كانوا ليفهموه وبالتالي ليتأثروا به لو أنه أنزل اليهم جملة واحدة بغير لسانهم ، فما القول بالنسبة الى الأقوام الذين أسلموا أو يدعون الى الاسلام وهم لا يعرفون العربية).[1]

يظهر أن الجابري يرى أن القرآن الكريم معجز للعرب فقط ، لأنه نزل بلسان عربي مبين وهذا كلام غير صحيح لأن القرآن الكريم نوّع في خطابه واسلوبه ليشمل البشر كلهم عربهم وعجمهم إنسهم وجنهم .

من بداهة القول أن الله تعالى أنزل القرآن الكريم على رسوله صلى الله عليه وسلم هداية للناس في شتى مناحي حياتهم إلى أقوم طريق ، وأهدى سبيل ، وذلك مما ينبيء عنه حذف متعلق الهداية في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ الإسراء: ٩ بل إن هذا الهدف العظيم هو أول ما يطالع القارئ لكتاب الله تعالى أوائل سورة البقرة في قوله تعالى ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ البقرة: ١ - ٢ فهذا التلازم بين القرآن الكريم وهداية البشر هو أحد مقاصد القرآن الكريم ، لذا كان الكلام وفي وجوه الإعجاز بإبرازها وبيان طرق هدايتها فرع عن مقصد مهم من مقاصد القرآن الكريم ، فغرض الإعجاز بيان لسبل هداية القرآن الكريم ، لذا قال الرافعي رحمه الله :. .... فالكلام في وجوه إعجاز القرآن واجب شرعا وهو من فروض الكفاية ، وقد تكلم فيه المفسرون وبلغاء الأدباء والمتأنقون .[2]

---

[1] - مدخل الى القرآن الكريم ص١٨٥

[2] - إعجاز القرآن للرافعي ص ٢٠

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقال الباقلاني :(ومن أهم ما يجب على أهل دين الله كشفه ، وأولى ما يلزم بحثه ما كان لأصل دينهم قواما ، ولقاعدة توحيدهم عمادا ونظاما ، وعلى صدق نبيهم صلى الله عليه وسلم برهانا ، ولمعجزته ثبتا وحجة ، لا سيّما والجهل ممدود الرواق ، شديد النفـــاق ، مستول على الآفاق ، والعلم إلى عفاء ودروس). ([1])

وهذا يقودنا الى الحديث عن اعجاز القرآن الكريم الغيبي والعلمي واثر هذين النوعين مـــن الاعجاز في الهداية .

المطلب الأول : الاعجاز الغيبي :

الاعجاز الغيبي وجه متفق عليه عند المسلمين وغيرهم ومن الأمثلة على وقوعـــه وتحققـــه الإخبار بانتصار الروم على الفرس قال تعـــالى ﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ ﴾ الروم: ٢ - ٥ إنها نبوءة لا تتعلق بالعرب ولا بجزيرة العـــرب ، إنهـــا نبوءة تتعلق بمصير دولة من الدول العظمى في ذلك الزمان في صراعها مع دولة أخـــرى ، إنها دولة الروم في صراعها مع دولة الفرس ، يقول د. محمد حسن هيتـــو : (في هـــذا الظرف الحرج للروم وفي حالة الشدة التي كان فيها المسلمون ، نزلت هذه الآية الكريمـــة كالصاعقة بما لم يتوقعه أحد من أهل الأرض لا من المسلمين ولا من غيرهم .

فالمسلمون في محنة يعمل فيهم المشركون ما يعمله الفرس بالروم مـــن القتـــل والتـــشريد والسجن ، والفرس في نشوة النصر والفرح ، وفي هذا الموقف الصعب الحرج وبدلا من أن يكسب المسلمون ودّ الفرس المنتصرين ، أو على الأقل دفع نقمتهم بالتزام الصمت ، بدلا من هذا كله يعلن القرآن الكريم هذا الموقف الرهيب ، ويخبر بهذا الخبر العجيب ، وتـــنزل آياته بأغرب نبوءة يمكن للعقل البشري أن يتنبأ بها في مثل تلك الظروف ، تـــثير دهـــشة المشركين ونقمة الفرس على الدين الجديد .

---

[1] - إعجاز القرآن للباقلاني ص ٢٢

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إنها نبوءة تجاوزت الوعود المحلية بنصر المسلمين — كما مر في الفقرات السابقة — إلى الوعود الدولية بانتصار الروم وهم في أدنى الأرض على الفرس). ([1])

وهنا نتساءل ما علاقة الرسول صلى الله عليه وسلم بدولة الروم ؟ وهل يعرف قوتها وجيوشها ؟ وهل يمثل الأمر أولوية لنبي يواجه شتى أنواع العذاب والاضطهاد من قومه ؟ وكيف يعرض الرسول صلى الله عليه وسلم مصداقيته لأمر لا علاقة به من قريب أو بعيد ؟ وكيف يورط نفسه في صراعات دولية هو في غنى عنها ؟ .

إلا أنه لا سلطان له في هذا كله ، لأنه كلام الله عز وجل الذي يملك مقاليد الأمور فيعز من يشاء ويذل من يشاء ، الذي يحدد زمن التحول في ميزان القوى بين هاتين الدولتين العظميين .

أفيجوز لعاقل بعد هذه الحادثة وغيرها أن يقول إن هذا القرآن من كلام محمد صلى الله عليه وسلم ؟ إن البشر مهما كانت طاقاتهم وإمكاناتهم فهم عاجزون عن الرهان على أمر لا يملكونه ،لا بل لا يعرفونه حق المعرفة ، لكنه إخبار الله عز وجل عن حوادث المستقبل الدالة على أن القرآن كلام الله عز وجل .

والأمثلة على الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم كثيرة ، وكلها تدل على الحقيقة الساطعة وهي أن القرآن الكريم كلام الله عز وجل .

وقد حفل القرآن الكريم بأخبار السابقين الأولين من الرسل مع أقوامهم ، فتحدث عن آدم ونوح وإبراهيم وهود وصالح وشعيب ولوط وموسى ويحي وزكريا وعيسى وغيرهم عليهم صلوات الله وسلامه .

وفي حديث القرآن الكريم عن هذه الأمور والأخبار الغيبية لا بد وأن يطرح العقل البشرية عدة فروض عبر عنها القرآن الكريم :

الفرض الأول : هل كان الرسول صلى الله عليه وسلم حاضراً أو مشاهداً لأحداث هذه القصص والأخبار ؟

---

[1] - انظر : محمد حسن هيتو ، المعجزة القرآنية ص ١١٠

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وهذا مردود واقعاً وتاريخاً وبداهة قال عز و جـل ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ آل عمران: ٤٤

الفرض الثاني : أن يكون صلى الله عليه وسلم تعلم هذه الأخبار وقرأها من مصادر مكتوبة ثم دونها في القرآن وذلك مردود لأنه صلى الله عليه وسلم كان أميا لا يقرأ ولا يكتب وهذه حقيقة عرفها العرب وعايشوها وسجلها القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ العنكبوت: ٤٨ ورد القرآن على من قال انه تعلمها من بشر فقال تعالى ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ النحل: ١٠٣

الفرض الثالث : وهو الحق المبين أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أوحي إليه بهذه الأخبار من جملة ما أوحي إليه من القرآن قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ﴾ الكهف: ١٣ وقال عز وجل قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ﴾ آل عمران: ٦٢

مما جاء به القرآن الكريم في مجال إعجاز البشر أنه أخبر بأمور تقع في المستقبل فجاءت كما أخبر لم تتخلف أو تتغير ، وهذا ما لا سبيل للبشر إليه بحال ، وذلك في القرآن الكريم كثير مما يعرفه المؤمن والكافر على حد سواء .

وليست الغرابة في الإخبار عن أمر ووقوعه على نحو ما جاء به الخبر ، فان هذا قد يكون من باب المصادفة أو التوافق .

لكن ما أخبر عنه القرآن الكريم ووقع لم يكن من قبيل المصادفة ، بل كان من قبيل المعجزة ، فطبيعة البشر أن يتنبأوا لمستقبلهم ، لكنهم يربطون هذا التنبؤ بالواقع والقدرة والطاقة على تحقيق هذه الآمال والتوقعات ، وإلا أصبحت ضربا من الخيال الساذج ، من خلال هذه المقدمة سننظر إلى نبوءات القرآن الكريم ، وننظر إلى نهايتها ومصيرها ، لنرى الفرق بين نبوءات البشر ونبوءات القرآن عن المستقبل لنجد أن نبوءات القرآن الكريم تحققت

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بدقة متناهية رغم صعوبة الظروف وقسوتها لأنها إخبار من خالق الكون والحياة ، وعالم السر والعلن ، ولأنها المعجزة الدالة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم ، بخلاف نبوءات البشر فقد تنبأ نابليون وهتلر والاسكندر المكدوني وغيرهم بالنصر واحتلال العالم ، وكانت قوتهم وفتوحاتهم تسمح لهم بمثل هذه النبوءات

لقد كانت الظروف المحيطة تسمح لهم بمثل هذا الغرور والتنبؤ لكن أيا منهم لم يحقق ما تنبأ به .

وهذه نماذج من نبوءات القرآن الكريم الكثيرة ، والتي تحققت بدقة متناهية رغم صعوبة تحققها ماديا وبشريا ، فالظروف كانت قاسية جدا ، وموازين القوى مختلة لصالح الأعداء ، لكنها إرادة الله ومعجزته الخارقة .... .

المطلب الثاني : الاعجاز العلمي

برزت في العصر الحديث أهمية الإعجاز العلمي حيث أصبحت أدلة الإقناع مستمدة من العلوم الطبيعية والتجريبية ، مع العلم أن هذه الحقائق العلمية تكمن في الالفاظ القرآنية لبيان أن الاعجاز البياني هو الذي ينتظم القرآن الكريم والعلمي انما هو في مضامينه ، لذا أصبح من الواجب على العلماء المسلمين — في كل مجالات العلم والمعرفة — ابراز الإعجاز العلمي للبشرية كلها لما له من أثر بالغ في هداية الناس لهذا الدين بشرط مراعاة الضوابط المهمة لهذا النوع من الإعجاز حتى تزول المخاوف التي يسوقها بعض الناس .

يقول د. محمد أحمد الغمراوي — رحمه الله — : (هذا التدرج في إتمام المطابقة بين القرآن والفطرة أمر لا مفر منه في الواقع ثم هو مطابقة الحكمة لله سبحانه وتعالى في جعل الإسلام آخر الأديان وجعله للقرآن معجزة الدهر أي معجزة خالدة متجددة يتبين للناس منها على مر الدهور ما لم يكن قد تبين فيكون هذا التجدد في عصر الإعجاز العلمي تجديد للرسالة الإسلامية كأنما رسول الإسلام — صلوات الله وسلامه عليه — قائم في كل عصر يدعو الناس إلى دين الله ويريهم دليلا على صدقه ، آية جديدة من آيات تطابق ما بين الفطرة وبين القرآن). ([1])

---

[1]- انظر : غمراوي ، محمد احمد : الاسلام في عصر العلم ، دار الكتب الحديثة ص ٢٥٧ — ٢٥٨ بتصرف

© Arabic Digital Library Yarmouk University

إن هذا الإعجاز شد بعض العلماء غير المسلمين لما وجدوا من توافق دقيق بين حقائق العلم وثوابته وبين آيات القرآن الكريم وقاد هذا التوافق بعضهم إلى الإيمان بالله عز وجل وبعضهم إلى الاعتراف بأن القرآن كلام الله .

ونجد عامة الناس من المسلمين وكذا المثقفين يتمايلون طربا ونشوة عندما يعرض عليهم وجه من وجوه الإعجاز العلمي في القرآن الكريم لأن لغة العلم اصبحت قاسما مشتركا للبشرية كلها ، ومن الأساليب الناجعة في الدعوة إلى الله مخاطبة الناس بما تستوعبه عقولهم ، والإنسان إذا ما رأى ما يدل على الإعجاز في كتاب الله في جانب من جوانب العلوم التي يتقنها هان عليه أمر الإيمان والتسليم ، وهذا ما سنبينه بعد قليل

إذن فالذي دفع العلماء المسلمين إلى إبراز هذا الوجه من الإعجاز هو واقع الناس في أيامنا هذه ، والتي صار فيها العلم أساس الحياة والحضارة .

فعندما نجد أن هذه العلوم تكشف عن سر آية في كتاب الله ، ومثبتة لوجه من وجوه الإعجاز فيجب إبراز ذلك للناس ، لأنه دعوة إلى الله عز وجل وسبيل من سبل الهداية يدل على مصدرية القرآن الكريم وهذا تحقيق لمقصد مهم جدا من مقاصد القرآن الكريم ألا وهو هداية البشرية إلى الإيمان بالله عز وجل .

وان الذين يدعون إلى إلغاء هذا النوع من الإعجاز خوفا على مصداقية كلام الله عز وجل نقول لهم : إن هذا الموقف على إطلاقه تفريط في حق القرآن ، وإعراض عن الفهم الحقيقي للآيات المتعلقة بالكون والحياة ، ووقوف في وجه الحقائق العلمية وإغلاق لباب واسع من أبواب الهداية .

والحل هو وضع ضوابط لهذا التفسير بحيث لا يفسر القرآن الكريم الا بحقائق العلم اليقينية التي لا تغير ولا تتبدل .

وان نفرق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي فالتفسير العلمي كشف عن معاني الآية والحديث في ضوء ما ترجحت صحته من حقائق العلوم الكونية ، أما الإعجاز العلمي فهو: (إخبار القرآن الكريم أو السنة النبوية بحقيقة أثبتها العلم التجريبي أخيرا وثبت عدم إمكانية ادراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم). ([1])

---

[1] - النابلسي ، محمد راتب : موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة – آيات الله في الأفاق ، دار المكتبي للطباعة والنشر – سورية – دمشق ، ط٢ ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م ص ٢٣ – ٢٤

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولا يجوز أن نحمل الآيات القرآنية ما لا تحتمل فالقرآن الكريم لم ينزل ليكون كتاب علوم أو فلك أو كيمياء بل هو كتاب هداية .

والحق أن القرآن الكريم معجز للناس كافة ، لا فرق بين عربي ولا أعجمي لأن الله سبحانه خلق الانسان ، وأنزل القرآن ليكون منهجا لهدايته ، قال تعالى : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ ﴾ الرحمن: ١ - ٢

فهذه الآيات البينات فيها بيان للانسان أن الله الرحمن من رحمته أن جعل القرآن منهجا متقدما في الذكر على خلق الانسان ليعلم حق اله تعالى عليه عند بلوغه وحتى وفاته .

وخلاصة القول أن القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة للعرب ولغيرهم ، وما ذهب اليه الدكتور الجابري لا يتفق مالواقع الدعوي خلال عصور الاسلام .

والإعجاز العلمي ليس وليد العلوم والمكتشفات الحديثة فالقرآن الكريم في بداية نزوله اهتم بالعلم وأمر بالنظر في ملكوت السماوات والأرض قال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝١٩١ ﴾ آل عمران: ١٩١ قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ۝٥٣ ﴾ فصلت: ٥٣

فهذه الآيات وأمثالها ليست فقط مجيزة للنظر بل هي آمرة به حاثة عليه وهذا دليل على إرادة الله عز وجل للاستفادة من معالم الكون مما يقود إلى الإيمان والتسليم .

وذكر د. زغلول النجار جملة مبررات للاهتمام بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم منها :

١- أن القرآن الكريم انزل إلينا لنفهمه والآيات الكونية فيه لا يمكن فهمها في إطار اللغة وحدها — على أهمية ذلك وضرورته — انطلاقا من شمول الدلالة القرآنية ومن كلية المعرفة التي لا تتجزأ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٢- ان الدعوة بالإعجاز العلمي لكل من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة أصبحت الوسيلة المناسبة لأهل عصرنا – عصر العلم والتقنية – الذي فتن الناس فيه بالعلم ومعطياته فتنة كبيرة .

٣- إن أهم وسيلة للرد على الهجمة الشرسة التي بتعرض لها الإسلام والمسلمون هي إثبات ربانية هذا الدين بإبراز إعجازه العلمي .

٤- إن في إثارة قضية الإعجاز العلمي في القرآن والسنة استنهاضا لعقول المسلمين واستثارة للتفكير الإبداعي لإبراز هذا الوجه من الإعجاز وللإبداع في مجال العلوم الكونية

٥- إن القرآن الكريم نزل للناس كافة عربهم وعجمهم وفي ذلك يقول عز وجل ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ إبراهيم: ٥٢ . ([1])

وأقف عند ضوابط مهمة ذكره شيخنا الاستاذ الدكتور فضل حسن عباس بعد أن أكد أن التفسير العلمي ضرورة عصرية وهي :

١- موافقة التفسير العلمي للآية اللغة العربية موافقة تامة

٢- عدم مخالفة صحيح المأثور عن الرسول صلى الله عليه وسلم أو ما له حكم المرفوع

٣- موافقة سياق الآيات بحيث لا يكون التفسير نافرا عن السياق

٤- التحذير من أن يتعرض التفسير العلمي لأخبار وشؤون المعجزات

٥- أن يكون التفسير العلمي حسب حقائق علمية ثابتة . ([2])

وقد لاحظ أحد الباحثين في هذا المجال أن الآيات القرآنية التي تحمل إشارات علمية مباشرة قد فاقت سبعمائة وخمسين آية بينما لم تتجاوز آيات الفقه والتشريع مائة وخمسين آية ويتساءل الباحث : كيف بعلماء الأمة يتناولون المائة والخمسين آية بالشرح والتفصيل

---

[1] - النجار – زغلول : قضية الإعجاز العلمي للقرآن وضوابط التعامل معها ، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ط١ ٢٠٠٦ م ص ٩٩ – ١٠٤ بتصرف

[2] - عباس ، فضل حسن : إعجاز القرآن الكريم ، دار الفرقان للنشر والتوزيع عمان ط٣ ١٩٩٩م ، ص ٢٦٨

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والإسهاب ثم لا يلقون بالا لما يزيد على سبعمائة وخمسين آية صريحة ناهيك عن آيات التلميح . ([1])

أقول : في هذه الإحصائية ما يعزز الجهود التي تبذل للاهتمام بالإعجاز العلمي لكن لا يجوز أن نقلل من أهمية الفقه والتشريع ، فالقرآن الكريم كما أنه كتاب هداية كذلك منهج حياة لهذه الأمة .

إن العصر الذي نعيش فيه حمل معه إلى جانب التقدم الهائل في مجال العلم والمعرفة مشاكل وتيارات فكرية وعقدية كثيرة ، وشبهات متنوعة جاءتنا من الغرب ترفض الدين أي دين وتهاوت أمام أفكارهم ونظرياتهم مقولات دينية غربية كثيرة و لم تصمد أمامها .

فكانت العلمانية والحداثة والتنوير والاستشراف والتبشير أفكار تدعو إلى القفز فوق الدين ، وتركه في زوايا الكنائس والأديرة .

لكن الدين الإسلامي الحنيف سيبقى هو الدين الحق ، بما يحويه من براهين واضحة ، وأدلة قاطعة وسيقاوم ذلك الوافد الغريب الذي استقدمه البعض إلى ساحتنا الفكرية ، ويبرهن على أنه الدين الحق والخاتم للبشرية كلها ، فهو بحق للبشر كلهم ،عالمي في رسالته ، إنساني في أحكامه ، معجز في هديه .

ونتساءل : ما الذي يدفع الآلاف المؤلفة من غير العرب الى الدخول في الاسلام ؟

أظن أن الجواب هو قدرة هذا القرآن على لفت أنظار العلماء ممن يتصفون بالموضوعية الى التسليم بأن هذا القرآن كلام الله ، عندما يروا هذا التوافق العجيب بين آياته المسطورة وبين آيات الله المنظورة في الكون ، وما كتبه الطبيب الفرنسي موريس بوكاي عن التوافق بين القرآن الكريم ومعطيات العلم الحديث وذلك في كتاباته الكثيرة كان له الأثر الكبير في اسلام الكثير من المثقفين الغربيين ممن يتصفون بالموضوعية . قال تعالى ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ النساء: ٨٢

---

[1] - انظر : كارم السيد غنيم : الإشارات العلمية في القرآن الكريم بين الدراسة والتطبيق ، دار الفكر العربي – القاهرة ط١ ، ١٩٩٥ م ص ١٤٢

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الخاتمة والتوصيات

توصل البحث الى النتائج التالية :

١- خطورة الحداثة العربية فهي حركة فكرية تنطلق من منظومة فكرية غربية ، تعتمد العقل مرجعا لها ، وتسعى الى تقويض قداسة القرآن الكريم ، وتفريغه من مضمونه ، وتتعامل مع القرآن الكريم تماما كما تعامل الغربيون مع التوراة والانجيل ، لذا جاءت بعض افكارهم تكرارا وتقليدا لما قاله حداثيو الغرب ومستشرقوه .

٢- يسعى الحداثيون العرب الى اعطاء العقل مساحة واسعة جدا تتجاوز حدوده وقدراته فبحثوا فيما سموه دائرة اللامفكر فيه متجاهلين تجارب الفلسفة قديما وحديثا والتي باءت بالفشل عندما بحثت خارج عالم الشهادة — عالم الغيب — وانتهوا الى العدمية والشك .

٣- أسقط الحداثيون العرب تجارب الغرب تجاه دينهم وكتبهم على ديننا وكتابنا متجاهلين خصوصية الحالة الغربية والفصام النكد عندهم بين العلم والكنيسة ، فكان يفترض بالتجربة الغربية أن تكون درسا لنا نحن المسلمين .

٤- ثبت أن المنطلقات الفكرية للحداثة العربية تجمع بين الماركسية والعلمانية وكلاهما يسعى الى اقصاء الدين عن الحياة ، ورفضه موجها لها ، ولتحقيق ذلك جعلوا الانسان مركزا للكون بدلا عن الله عز وجل ، مقلدين بذلك فلاسفة الغرب الذين اعلنوا موت الاله .

٥- تكمن خطورة الحداثة العربية أنها تخاطب النخبة وأن دعاتها يتصدرون منابر الثقافة في الجامعات والصحف وسائر وسائل الاعلام ، فكلها مشرعة الأبواب لهم مما يدفعنا الى دق ناقوس الخطر — في ظل الهيمنة الغربية — خوفا من أن تفرض آراؤهم بمنطق القوة حيث أن بعضهم يرتبط ثقافيا بالمؤسسات الغربية من جامعات وغيرها ، وقصة احتضانهم لنصر حامد أبي زيد خير مثال على ذلك .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

التوصيات

يوصي الباحث اخوانه طلاب العلم برصد هذه الظاهرة والتسلح بالعلم والمعرفة لمقارعة الحداثيين بأسلحتهم نفسها ، وألّا نكتفي بالادانة والرفض والتكفير ، وذلك بقراءة كتب الحداثة والرد عليها ، ورصد اطروحاتهم فيما يتعلق بالقضايا المهمة كقداسة القرآن الكريم ومصدريته وأحكامه وصلاحيته .

وأوصي بكتابة رسائل متعددة تتناول هذه المضامين المهمة بشكل مفصل ، واقامة مؤتمرات وندوات تعنى بدراسة هذه الظاهرة دراسة معمقة وواعية ترصد آثارها المباشرة وغير المباشرة على الحركة الفكرية والثقافية في بلادنا .

وتوصي الدراسة بتحديد مناهج التفسير بما يجمع بين الأصالة والمعاصرة ، والخروج بنتائج تثبت مواكبة هذه المناهج لروح العصر ومستجداته على أن يكون رائد هذه المناهج هو الحفاظ على الأصول والثوابت .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ابرز مصطلحات الحداثة والفلسفة [1]

- الأركولوجيا : مصطلح وضعه ميشيل فوكو الفرنسي ويعني نبش الآثار ويستخدمه الحداثيون العرب وخاصة أركون بمعنى البحث العميق الـــذي ينـــبش جـــذور العقائـــد والنصوص والنظريات لمعرفة كيفية تشكلها ونشأتها .
- الأرثوذكسية : لغة الخط المستقيم وتعني عند الحداثيين الجمود والانغلاق وفـــرض خط واحد من خطوط التأويل بالقوة والقصر ، ويقصد بها التزمت والتشدد .
- الأمبريقية : أي التجريبية وهي كل ما يقع تحت الملاحظة والتجربة أو ما يقع تحت الحواس ، وتهدف الى عدم الايمان بالميتافيزيقيا — الغيب — .
- ابستومولوجيا : مصطلح يوناني بمعنى المعرفة الحقة أو العلمية ، وابـــستومولوجيا تعني العلوم او فلسفة العلوم بمعنى دراسة مبادئ العلوم وفرضياتها ونتائجها دراسة نقدية . والإبستومولوجيا، بالمعنى الضيق للكلمة، تتناول موضوعات مثل طبيعة المعرفة ومصادرها وإمكانية تحققها ومصداقيتها وكيفية التعبير عنها، ولكنها تعني أيضاً المـــسلمات الكامنـــة وراء المعرفة. وهذا المجال الأخير ينقلنا من المعنى الضيق إلى المعنى الواسع. فالإبستومولوجيا تعني أيضاً توضيح المقولات القَبْلية في الفكر الإنساني
- انتولوجي : علم يدرس خصائص الأجناس دراسة تسمح بتصنيفها والتفرقة بينها ، ويفسر الظواهر التي يصفها علم آخر هو علم الأنتوغرافيا (وصف الشعوب) .
- الأرثوذكسية : أحد الاتجاهات الرئيسة في المسيحية يتميز بالنزعة التقليدية المحافظة ويستعمله الحداثيون بمعنى التعصب والظلامية .

---

[1] - أخذت هذه المصطلحات من المراجع التالية :

ـــ ابراهيم مدكور وآخرون ، المعجم الفلسفي ، مجمع اللغة العربية ، ١٩٨٣

ـــ توفيق سلوم ، المعجم الفلسفي المختصر ، دار التقدم موسكو

ـــ جميل صليبا ، المعجم الفلسفي طبعة ١٩٨٢، دار الكتاب اللبناني ، بيروت

ـــ عبد المنعم خفاجي ، الموسوعة الفلسفية ، ط١ سنة ١٩٩٦ م ، دار عويدات ، بيروت

ـــ مراد وهبه ، المعجم الفلسفي ، ط٣ ، دار الثقافة الجديد

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- أنثروبولوجيا : مصطلح يوناني بمعنى الإنسان ، وهو علم يقوم على دراسة الجماعات البشرية الفطرية ، وفي الدين يسمى علم أصل الإنسان .

أما في الجانب الفلسفي فهو مذهب يرى أنصاره أن الإنسان يمكن وضع تصور عن الطبيعة والمجتمع والفكر .

- أيديولوجيا : كلمة ذات أصل يوناني وتعني الفكر ولها مدلول سياسي يعني : مجموعة من الأفكار والمعتقدات والآراء المتماسكة إلى حد ماء تتمسك بها فئة اجتماعية معينة أو حزب سياسي .
- ارستقراطية : تعني باللغة اليونانية سُلطة خواص الناس، وسياسياً تعني طبقة اجتماعية ذات منزلة عليا تتميز بكونها موضع اعتبار المجتمع ، وتتكون من الأعيان الذين وصلوا إلى مراتبهم ودورهم في المجتمع عن طريق الوراثة ،واستقرت هذه المراتب على أدوار الطبقات الاجتماعية الأخرى، وكانت طبقة الارستقراطية تتمثل في الأشراف الذين كانوا ضد الملكية في القرون الوسطى ،وعندما ثبتت سلطة الملوك بإقامة الدولة الحديثة تقلصت صلاحية هذه الطبقة السياسية واحتفظت بالامتيازات المنفعية، وتتعارض الارستقراطية مع الديمقراطية.
- أوتوقراطية : مصطلح يطلق على الحكومة التي يرأسها شخص واحد، أو جماعة، أو حزب، لا يتقيد بدستور أو قانون، ويتمثل هذا الحكم في الاستبداد في إطلاق سلطات الفرد أو الحزب، وتوجد الأوتوقراطية في الأحزاب الفاشية أو الشبيهة بها، وتعني الكلمة باللاتينية الحكم الإلهي، أي أن وصول الشخص للحكم تم بموافقة إلهية، والاوتوقراطي هو الذي يحكم حكمًا مطلقًا ويقرر السياسة دون أية مساهمة من الجماعة، وتختلف الاوتوقراطية عن الديكتاتورية من حيث أن السلطة في الأوتوقراطية تخضع لولاء الرعية، بينما في الدكتاتورية فإن المحكومين يخضعون للسلطة بدافع الخوف وحده.
- براغماتية (ذرائعية) : براغماتية اسم مشتق من اللفظ اليوناني " براغما " ومعناه العمل، وهي مذهب فلسفي – سياسي يعتبر نجاح العمل المعيار الوحيد للحقيقة؛ فالسياسي البراغماتي يدعّي دائماً بأنه يتصرف ويعمل من خلال النظر إلى النتائج العملية المثمرة التي قد يؤدي إليها قراره، وهو لا يتخذ قراره بوحي من فكرة مسبقة أو

© Arabic Digital Library Yarmouk University

أيديولوجية سياسية محددة ، وإنما من خلال النتيجة المتوقعة لعمـــل . والبراغمـــاتيون لا يعترفون بوجود أنظمة ديمقراطية مثالية إلا أنهم في الواقع ينادون بأيديولوجية مثالية مستترة قائمة على الحرية المطلقة ، ومعاداة كل النظريات الشمولية وأولها الماركسية.

- البرجوازية : طبقة اجتماعية نشأت في عصر النهضة الاوروبية بـــين الأشـــراف والزراع ، واضحت داعمة للنظام النيابي ، ثم صارت في القرن التاسع عشر الطبقة الـــتي تملك وسائل الانتاج في النظام الرأسمالي ، وقابلت بهذا طبقة العمال ، ومع تطور الرأسمالية تسلمت زمام الأمور الاقتصادية .
- البروتستانتية : كلمة لاتينية تعني المحتج او المعلن ، وهي احدى الاتجاهات الرئيسة في المسيحية ، ظهرت في اوروبا مع حركة الاصلاح الديني في القرن الـــسادس عـــشر احتجاجا على ظلم الكنيسة الكاثوليكية واتسمت بالعداء للاقطاعية ، ومن مبادئها رفض فكرة الوساطة والمخلص وتقديس الرهبان والأيقونات .
- البنيوية : Structuralism

البنيوية مذهب من المذاهب التي سيطرت على المعرفة الإنسانية في الفكر الغربي، مـــؤدَّاه الاهتمام أولاً بالنظام العام لفكرة أو لعدة أفكار مرتبطة بعضها بـــبعض علـــى حـــساب العناصر المكوّنة له. ويعرف أحيانًا باسم البنائيَّة، أو التركيبيَّة. وقد امتدت هذه النظرية إلى علوم اللُّغة عامة وعلم الأسلوب خاصة حيث استخدمها العلماء أساسًا للتمييـــز الثنـــائي الذي يعتبر أصلاً لدراسة النص دراسة لغوية. يعد العالم اللغوي السويسري فرديناننـــد دي سوسير مؤسس المنهج البنيوي الذي انطلق منه علم االلغة المعاصر، وذلك في بدايات هذا القرن. لكن المنهج اكتسب انتشارًا وعمقًا على يد عالم الانثروبولوجيا الفرنسي كلـــود ليفي شتراوس الذي صاغ في أعقاب الحرب العالمية الثانية مذهبًا جديدًا في المعرفـــة لـــه قواعده. وقد وجه شتراوس النقد إلى الفلسفة الوجودية والوضعية المنطقية والفرويديـــة، وهاجم الماركسية وأفكارها الأساسية، مثل الصراع الطبقي والحتمية التاريخيـــة، ونـــادى بالتحول من تحليل صراع الطبقات إلى تحليل البُنَى الأساسية، ورفض التسلط العرقـــي في التفسير الأنثربولوجي والتطور في خط مستقيم. كما رفضت البنيوية استخدام التفـــسير التاريخي باعتباره أداة منهجية .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- بيروقراطية :

البيروقراطية تعني نظام الحكم القائم في دولة ما يُشرف عليها ويوجهها ويديرها طبقة من كبار الموظفين الحريصين على استمرار وبقاء نظام الحكم لارتباطه بمصالحهم الشخصية ؛ حتى يصبحوا جزءً منه ويصبح النظام جزءً منهم، ويرافق البيروقراطية جملة من قواعد السلوك ونمط معين من التدابير تتصف في الغالب بالتقيد الحرفي بالقانون والتمسك الشكلي بظواهر التشريعات، فينتج عن ذلك " الروتين " ؛ وبهذا فهي تعتبر نقيضاً للثورية، حيث تنتهي معها روح المبادرة والإبداع وتتلاشى فاعلية الاجتهاد المنتجة ، ويسير كل شيء في عجلة البيروقراطية وفق قوالب جاهزة، تفتقر إلى الحيوية. والعدو الخطير للثورات هي البيروقراطية التي قد تكون نهاية معظم الثورات، كما أن المعنى الحرفي لكلمة بيروقراطية يعني حكم المكاتب.

- التاريخية : هي القول بأن الحقيقة تاريخية بمعنى أنها تتصف بالنسبية التاريخيـــة أي أنها تتطور بتطور التاريخ .
- التجريبية : الفلسفة التي تزعم أن الخبرة مصدر المعرفة وليس العقل ، وهي نقيض الفلسفة العقلية ، وأنكر التجريبيون المعرفة القبلية التي يتوصل اليها العقل ، وأخضعوا كل شيء للتجربة .
- التفكيكية : هي إحدى أوجه ما بعد الحداثة، ففكر ما بعد الحداثة فكر تقويـــضيّ معاد للعقلانية وللكليات، سواء أكانت دينية أم مادية، فهو فكر يحاول أن يهرب تماماً من الميتافيزيقا ومن الحقيقة والمركزية والثبات

والتفكيكية تحاول تفكيك/تقويض النص بأن تبحث داخله عما لم يقله بشكل صريح واضح (وهو ما يُشار إليه بعبارة «المسكوت عنه») فهي عملية تعرية للنص وكشف أو هتك لكل أسراره وتقطيع لأوصاله وصولاً إلى أساسه الذي يستند إليه، فيتضح تناقض هذا الأساس وضعفه ونسبيته وصيرورته فتسقط عنه قداسته وزعمه بأنه كلٌ ثابتٌ متجاوزٌ.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إن النقد التفكيكي يحاول أن يكشف التوترات والتناقضات داخل النص وتعددية المعنى والانفتاح الكامل، بحيث يفقد النص حدوده الثابتة .

- الثيولوجيا : كلمة يونانية تعني العلم الذي يبحث في وجود الله وذاته وصفاته ويقوم عند المسيحيين مقام علم الكلام عند المسلمين ، ويسمى علم اللاهوت ، ويتميز هذا العلم بالرغم من صبغته العلمية بالتعويل على الايمان في المقام الأول وباعتماده على النصوص المقدسة حجة اسمى وبالسعي الى صياغة الايمان الديني في قوالب عصرية تجمع بين الدين وبين الفلسفة .
- ثيوقراطية : نظام يستند إلى أفكار دينية مسيحية ويهودية ، وتعني الحكم بموجب الحق الإلهي ! ، وقد ظهر هذا النظام في العصور الوسطى في أوروبا على هيئة الدول الدينية التي تميزت بالتعصب الديني وكبت الحريات السياسية والاجتماعية ، ونتج عن ذلك مجتمعات متخلفة مستبدة سميت بالعصور المظلمة.
- ديماغوجية : كلمة يونانية مشتقة من كلمة (ديموس)، وتعني الشعب، و(غوجية) وتعني العمل، أما معناها السياسي فيعني مجموعة الأساليب التي يتبعها السياسيون لخداع الشعب وإغراءه ظاهرياً للوصول للسلطة وخدمة
- الذرائعية : هي الوسيلة وهي مذهب حنا ديوي الذي يقرر أن الأفكار والنظريات والمعارف وسائل وذرائع دائمة لبلوغ غايات جديدة ، وتعديل المعايير والمعارف دوما في ضوء الخبرات المتراكمة ، وقالوا هي وسيلة العقل لتحصيل المعرفة واثرائها بالخبرة التي تعدل من المعلومات السابقة وتضيف اليها وتمنحها بالتالي قوة الاعتقاد .
- راديكالية (جذرية) :

الراديكالية لغة نسبة إلى كلمة راديكال الفرنسية وتعني الجذر، واصطلاحا تعني نهج الأحزاب والحركات السياسية الذي يتوجه إلى إحداث إصلاح شامل وعميق في بنية المجتمع، والراديكالية هي على تقاطع مع الليبرالية الإصلاحية التي يكتفي نهجها بالعمل على تحقيق بعض الإصلاحات في واقع المجتمع، والراديكالية نزعة تقدمية تنظر إلى مشاكل المجتمع ومعضلاته ومعوقاته نظرة شاملة تتناول مختلف ميادينه السياسية والدستورية

© Arabic Digital Library Yarmouk University

والاقتصادية والفكرية والاجتماعية، بقصد إحداث تغير جذري في بنيته، لنقله من واقع التخلف والجمود إلى واقع التقدم والتطور.

ومصطلح الراديكالية يطلق الآن على الجماعات المتطرفة والمتشددة في مبادئها.

- الحداثة : مصطلح واسع يشير إلى مذاهب وآراء وممارسات نقدية في الدين والأدب والمعمار والمجتمع. وتنطوي الحداثة في الغرب خاصة على رفض التقاليد ومحاولة إلغاء الماضي والبحث عن اتجاهات ورؤى جديدة تلغي الميتافيزيقا وتؤكد دور الفرد.

وأصل الحداثة، كما تشير المصادر الغربية، حركة نقدية مناهضة لتقاليد الكنيسة الرومانية الكاثوليكية. ونشأت الحركة بشكل متزامن وعفوي في كل من إيطاليا، وفرنسا، وألمانيا، وبريطانيا، والولايات المتحدة الأمريكية. ومن روادها الأب ألفرد لويزي في فرنسا والأب جورج تريل، اللذان رفضا سلطة البابا فأدانتهما الكنيسة.

نشأت الحركة في العقد الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي وأوائل القرن العشرين، ونادت بضرورة إعادة تفسير الدين وقراءة النصوص الدينية في ضوء المعطيات العلمية والتاريخية والسيكولوجية والفلسفية التي وفرها القرن التاسع عشر، والنظر إلى الدين ونصوصه بعين ناقدة صارمة. وقد أثار هذا حفيظة الكنيسة الكاثوليكية الرومانية التي أدانت الحركة وروّادها الذين خرجوا على مبادئ الدراسة النصرانية والتأويل المستقر الذي أرسى دعائمه توما الأكويني.

- الحتمية : فلسفة القائلين أن لكل حدث جملة شروط ، فاذا توفرت فلا يمكن الا أن يقع الحدث ولا شيء غيره ، فاصحاب الحتمية الأخلاقية من رأيهم أن الانسان ما كان له أن يختار الا ما يبدو له أنه الأفضل وذهب سقراط وافلاطون الى أن الانسان لا يفعل الشر الا مضطرا .

الحقيقة السوسيولوجية : هي في نظر الحداثيين العرب : الحقيقة التي يتبناها جموع المسلمين دون التفكير بها .

- الخطاب الاسلاموي : أي الخطاب الذي يستخدم الاسلام أو الدين كخطاب سياسي دون أي اهتمام بالابعاد الروحية للاسلام .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

- شوفينية : مصطلح سياسي من أصل فرنسي يرمز إلى التعصب القومي المتطرف، وتطور معنى المصطلح للدلالة على التعصب القومي الأعمى والعداء للأجانب، كما استخدم المصطلح لوصم الأفكار الفاشية والنازية في أوروبا، ويُنسب المصطلح إلى جندي فرنسي اسمه نيقولا شوفان حارب تحت قيادة نابليون وكان يُضرب به المثل لتعصبه لوطنه.
- السكولاستيكي : كلمة ذات أصل لاتيني وهي فلسفة سادت أيديولوجية المجتمع الاقطاعي في اوروبا ، وكان الهدف الرئيس لهذا المذهب الدفاع عن الدين المسيحي وكانت أقرب الى النزعة المثالية وارتبطت بالثيولوجيا (علم اللاهوت) كما تميزت بمحاولة التوفيق بين الوحي والعقل واعتمدت على القياس البرهاني وتفسير النصوص القديمة ، واطلقت على التعليم المدرسي الذي نشأ في المدارس الكنسية ، وأصبح يطلق على كل بحث يتصف بالصورية الشديدة كالمبالغة في تقسيم المسائل وتفصيلها وتفريعها عن الأصل والاكثار من التحريد والاستدلال اللفظي ، ويطلق على كل رجل يتصف بالعقلية المدرسية ويرغب في التقيد بالأراء التقليدية والخضوع لسلطان القدماء .
- سوسيولوجيا : علم يدرس قوانين عمل المجتمع وتطوره والعلاقات الاجتماعية ويدرس المجتمع على أنه منظومة متكاملة .
- سيكولوجيا : (علم النفس) علم يدرس النفس البشرية ويهتم بدراسة أصل الوعي البشري ووظائفه .
- السوفسطائية : (علم النفس) علم يدرس النفس البشرية ويهتم بدراسة أصل الوعي البشري ووظائف .
- الشخصانية : تيار انتشر في الفلسفتين الامريكية والفرنسية في بداية القرن العشرين يرى أن الحقيقة شخصية وأنه لا يوجد الا الأشخاص وما يخلقونه ، وأ، الشخصية واعية وموجهة لذاتها .
- الطوطمية : ما يكون مقدسا لدى جماعة أو جنس من الشعوب البدائية .
- العقلانية : مذهب فكري يزعم أنه يمكن الوصول إلى معرفة طبيعة الكون والوجود عن طريق الاستدلال العقلي بدون الاستناد إلى الوحي الإلهي أو التجربة البشرية وكذلك يرى إخضاع كل شيء في الوجود للعقل لإثباته أو نفيه أو تحديد خصائصه.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

- الفللوجيا : فقه اللغة وهو مصطلح غربي يقصد به تحقيق النصوص الدينية وغيرها .
- القطيعة المعرفية : مصطلح طرحه المفكر الايطالي (فيكو) وكتب فيه الأمريكي (توماس كون) وعالم الرياضيات الفرنسي (رينيه توم) تناول كل هؤلاء مسألة القطيعة في تاريخ العلوم وكيفية تفسيرها متى تحدث القطيعة في فكر ما ؟ ما هي الشروط الموضوعية التي ينبغي توافرها لكي تحصل القطيعة ؟ أي : لكي يتوقف الناس فجأة عن التفكير بالطريقة التي كانوا يفكرون بها سابقا منذ مئات السنين .
- ليبرالية (تحررية) : مذهب رأسمالي اقترن ظهوره بالثورة الصناعية وظهور الطبقة البرجوازية الوسطى في المجتمعات الأوروبية، وتمثل الليبرالية صراع الطبقة الصناعية والتجارية التي ظهرت مع الثورة الصناعية ضد القوى التقليدية الإقطاعية التي كانت تجمع بين الملكية الاستبدادية والكنيسة.

  وتعني الليبرالية إنشاء حكومة برلمانية يتم فيها حق التمثيل السياسي لجميع المواطنين ، وحرية الكلمة والعبادة ، وإلغاء الامتيازات الطبقية، وحرية التجارة الخارجية ، وعدم تدخل الدولة في شؤون الاقتصاد إلا إذا كان هذا التدخل يؤمن الحد الأدنى من الحرية الاقتصادية لجميع المواطنين.

  (وقد افتُتن مقلدو الغرب لدينا بهذه الفكرة الجاهلية التي تُعارض أحكام الإسلام في كثير مما نادت به كحرية الكفر والضلال والجهر به
- المتعالي : ما سما على الواقع فلا يستمد من تجربة ولا يختلط بالعالم الحسي فيقال فكرة متعالية .
- الميتافيزيقيا : كلمة يونانية يراد بها ما بعد الطبيعة وهي من اقسام الفلسفة وصارت تطلق على المعرفة المعزولة عن العلم .
- الميثولوجيا : الأسطورة : وهي الشكل الأساسي من رؤية العالم لدى الشعوب في أقدم مراحل تطورها
- الهرطقة : مصطلح كنسي يشير إلى رأي، أو فكرة مبتدعة، تتعارض مع معتقدات الكنيسة، أو النظام المرتبط بها. وقد كانت الكنيسة في وقت من الأوقات تعاقب المهرطقين بالنفي والتعذيب أو حتى بالموت. وتقوم الكنائس الآن أحيانًا بطرد المهرطقين.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- اللاَّ أدْرِيَّة : مصطلح يعني الاعتقاد بأن التساؤلات النهائية وخاصة تلك المتعلقة بوجود الله تستحيل الإجابة عنها. كما أن المصطلح يعكس وجهة النظر القائلة بأن التفكير والدليل العلمي ينبغي أن يكونا المرشدين الوحيدين لاكتشاف الحقيقة. وقد استخدم المصطلح للمرة الأولى بوساطة عالِم الطبيعيات البريطاني توماس هنري هكْسلِي في عام ١٨٦٩م. وخلال أواسط القرن العشرين، جادل عالم اللاهوت الألماني الأمريكي بول تِيلتش بأن فترة من اللاأدرية، تتخذ صورة الشك، تُعَدُّ مرحلة ضرورية، قبل تمكُّن الإنسان من الإيمان .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

❖ أدونيس : ولد أدونيس عام ١٩٣٠ في سورية باسم علي أحمد سعيد ، ولكنه اتخذ لنفسه اسم أدونيس (أحد أبطال الأساطير الفينيقية) خروجاً على التقاليد العربية . تلقى دراسته الجامعية في قسم الفلسفة في جامعة دمشق ، وتوجه إلى بيروت عام ١٩٥٦ ، وأسس مجلة مواقف عام ١٩٦٨ التي أصبحت منبراً للكثير من المثقفين والأدباء من كافة أنحاء الوطن العربي ، وفي عام ١٩٨٥ غادر إلى باريس هروباً من الحرب . وفي رصيده عدد من الجوائز الأدبية الرفيعة ، وأهمها : جائزة الشعر السوري اللبناني في منتدى الشعر الدولي في بيتسبرغ بالولايات المتحدة عام ١٩٧١ ، الجائزة الكبرى في بروكسل عام ١٩٨٦ ، جائزة جان مارليو للآداب الأجنبية في فرنسا عام ١٩٩٣ ، جائزة التاج الذهبي للشعر في مقدونيا عام ١٩٩٧ ، هذا بالاضافة إلى كونه أحد المرشحين البارزين لجائزة نوبل للآداب منذ سنوات ، وما زال احتمال الفوز بها قائما حتى الآن . تعد مجلة مواقف المنبر المهم الذي عبر من خلاله أدونيس عن منهجه الحداثي .

❖ تركي الحمد : من أسرة قصيمية انتقلت الى المنطقة الشرقية ، وسكنت الدمام ، وكان والده يعمل في شركة (أرامكو) ، من مواليد ١٠ / ٣ / ١٩٥٢ م الأردن ، الكرك

حصل على بكالوريوس في الاقتصاد والعلوم السياسية من جامعة الرياض عام ١٩٧٥ م .

ثم سافر إلى الولايات المتحدة لمدة عشر سنوات كاملة ! حصل منها على الماجستير في العلوم السياسية من جامعة (كلورادو) عام ١٩٧٩ م .

ثم حصل على الدكتوراه في العلوم السياسية — أيضا — عام ١٩٨٥ م ، من جامعة جنوب كاليفورنيا .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

عمل استاذا للعلوم السياسية بجامعة الملك سعود منذ عـــام ١٩٨٥ م إلى عـــام ١٩٩٥ م .

مؤلفاته :

الحركات الثورية المقارنة عام ١٩٨٦ م

دراسات أيدولوجية في الحالة العربية عام ١٩٩٢ م

❖ جاك دريدا : فيلسوف فرنسي ولد سنة ١٩٣٠ م تخرج في قسم الفلسفة بدار المعلمين العليا ثم درّس فيها دأب في تعليمه على تفكيـــك بنـــاء الفلـــسفة والمذاهب الفلسفية ، ويعتبر منظراً لنظرية التفكيك ، ومن مؤلفاتـــه : الكتابـــة والاختلاف ، هوامش الفلسفة .

❖ حسين أحمد أمين : هو ابن الكاتب والمؤرخ أحمد أمين ، ولد بالقاهرة سنة ١٩٣٢ م ، تخرج في كلية الحقوق بجامعة القـــاهرة عـــام ١٩٥٣ م ، ثم درس الأدب الانجليزي بجامعة لندن ، تنقل في أعمال كثيرة منها المحامـــاة والاذاعـــة والسلك الدبلوماسي المصري الذي وصل فيه الى درجة سفير ســـنة ١٩٨٦ م ، وهو كاتب نشط ساخر سليط اللسان ، له العديد مـــن المقـــالات والبحـــوث المنشورة في المجلات العربية ، كمجلة (العربي) و (الثقافة) و (الرسالة) و (روز اليوسف) ، ومن مؤلفاته : معضلة الرجل الأبيض ، الحروب الـــصليبية في كتابات المؤرخين والعرب المعاصرين .

وهو أحد دعاة العلمانية المعاصرين المتحمسين لنشر مبادئها بين المسلمين ، ومن أشهر المعادين للاتجاهات الاسلاية عامة ، والسلفية منها بوجه خاص ، ولا سيما في كتابيه : دليل المسلم الحزين ، حول الدعوة إلى تطبيق الشريعة الاسلامية .

ويمكن تلخيص أهم أفكاره فيما يلي :

الحط من قدر السلف الصالح ومنع الاقتداء بهم انظر كتابه (حول الـــدعوة إلى تطبيق الشريعة الاسلامية) .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

رفض الأحكام الشرعية وربطها بزمان نزولها في صدر الاسلام ، وبالتالي تغـــيير هذه الأحكام

يبدي انزعاجه الشديد من الحجاب الاسلامي ، ويعد عودة النساء المسلمات إلى الحجاب ظاهرة غير عادية .

يدعي أن عقوبة قطع يد السارق في الشريعة الاسلامية خاصة بالمجتمع البدوي أو الجاهلي في شبه جزيرة العرب .

❖ حسن حنفي : ولد في القاهرة عام ١٩٣٥ م حصل على ليسانس الفلسفة عام ١٩٥٦ ثم شق تعليمه الجامعي إلى أن حصل على درجة الـــدكتوراه مـــن جامعة السوربون عام ١٩٦٦ م عين استاذاً لتدريس الفلسفة في جامعة القاهرة ، شغل منصب السكرتير العام للجمعية الفلسفية المصرية ، يقدم نفسه على أنـــه صاحب مشروع اليسار الاسلامي ، يؤمن بدين اسلامي على الطريقة الماركسية ، يتلاعب بالألفاظ ، وهو أحد المفكرين التنويرين المعاصرين الـــذين يقـــدمون العقل على النقل وهو الداعي إلى الثورة ضد العقيدة كما هو واضح من خلال كتبه والتي منها (من العقيدة إلى الثورة) ، (التراث والتجديد) ، وغيرها من الكتب التي تدعو إلى التحرر من الدين من خلال العقل والثورة ضد كا ما هـــو موروث .

❖ خليل عبد الكريم : كاتب يساري ، يكتب في الاسلاميات .

من اسوان بمصر تخرج في دار العلوم ، كان من أوائل المؤسسين لليسار الاسلامي قبل أن ينضم إلى حزب " التجمع اليساري " حيث اصبح أحد قادته ، وأثارت كتبه فتنة كبيرة ، فصودرت كتبه وكفّر من قبل بعض العلماء ، ومثل أكثر من مرة أمام نيابة أمن الدولة لأجل ذلك ، من أقواله :إن أول من مارس الارهـــاب هو خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق ، لا لشيء الا لأنـــه حارب المرتدين ! هذا ما ذكره في كتابه " النص المؤسس ومجتمعه " وقال فيـــه أيضا : " القرآن ربّى مجتمع الصحابة تربية فاسدة ".

© Arabic Digital Library Yarmouk University

من أشهر كتبه " النص المؤسس ومجتمعه " ، الجذور التاريخية للشريعة الاسلامية ، الاسلام بين الدولة الدينية والدولة المدنية ، العرب والمرأة ، حفرية في الأساطير ، نعم للشريعة لا للحكم ، قريش من القبيلة للدولة المركزية ، شدو الربابة في أحوال الصحابة ، فترة التكوين في حياة الصادق الأمين ، الأسس الفكرية لليسار الاسلامي ، يؤمن بتاريخية النصوص وربطها بأسباب ورودها والزمن والمجتمع والبيئة التي انبعثت منها .

يدعي " أن الأمية المذكورة في القرآن لا تعني الجهل بالقراءة والكتابة بل يقصد بها الاشارة الى الأمم الأخرى من غير اليهود ، أي الأمم التي لم يترل عليها كتاب سماوي ، ومقصده من هذا القول أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان مطلعاً على التراث الديني عند أهل الكتاب وأفاد منه في القرآن الذي ألفه وادّعى أنه نزل عليه من عند الله " .

" يحاول خليل عبد الكريم في كتابه " قريش من القبيلة الى الدولة المركزية " أن يقول ان الأمر بالنسبة للرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن أمر نبوة بل أمر زعامة ورئاسة .

❖ ديفيد هيوم : ١٧١١ – ١٧٧٦ م فيلسوف وعالم اقتصاد اسكتلندي دخل جامعة أدنبره في عامه الثاني عشر ، ادخل المنهج التجريبي الى حقل العلوم الأخلاقية ، قال عنه فولتير : هيوم هو الذي حفر بقدر كبير من الجرأة أسس الميتافيزيقيا والأخلاق .

❖ روجيه جارودي : فيلسوف فرنسي ولد سنة ١٩١٣ م كان عضواً في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي ، اعتنق الاسلام فصار اسمه رجاء جارودي كتب في التسعينات من القرن الماضي كتاب فضح فيه المزاعم الصهيونية حول اضطهاد اليهود في أوروبا واسطورة الهولوكوست فثارت حوله ضجة كبرى واتهم بمعاداة السامية .

❖ سيد قمني : باحث مصري ولد سنة ١٩٤٧ م بمدينة الواسطي من صعيد مصر . انتهج الوجهة الماركسية في نظرته للكتاب والسنة ، حيث التطاول

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

عليهما لأنهما – عنده – مجرد نصوص تاريخية خاضعة للنقد ! ، وهو يصرح بهذا ولا يخفيه ، في كتابه " أهل الدين والديمقراطية " !! ويقول ساخرا : يعلنون سبق الاسلام في ميدان الحقوق رغم مبدأ كقتل المرتد أو نهاية الرق من التاريخ وبقائه في الاسلام " .

ويقول عن أحكام المرأة :" لدينا مشكلة مستعصية فيما يتعلق بوضع المرأة في الاسلام وضعها الحقوقي اليوم ، ففي الاسلام هي ناقصة دين في العبادة ، وناقصة عقل عن الولاية وهي نصف الذكر في الميراث وفي الشهادة ...

ويقول :" العقيدة الاسلامية مليئة بالأساطير ، كيف يمكن تنقيتها من كل هذه الشوائب ؟ كل الأديان مليئة بالأساطير وليس الاسلام وحده ".

من أهم كتبه : كتاب قصة الخلق ، كتاب الأسطورة والتراث ، كتاب رب الزمان ، كتاب النبي ابراهيم والتاريخ المجهول ، كتاب الحزب الهاشمي وتأسيس الدولة الاسلامية ، كتاب حروب دولة الرسول صلى الله عليه وسلم .

❖ شاكر النابلسي : كاتب أردني من مواليد ١٩٤٠ م درس الآداب في مصر ، مكث زمنا ليس بالقصير في المملكة العربية السعودية ، يكتب في بعض صحفها ، ويدعم الحداثيين السعوديين الناشئين ذاك الوقت من خلال كتبه النقدية ، ككتابه " نبت الصمت " الذي تهجم فيه كثيرا على الدكتور عوض القرني ، لفضحه حداثيي السعودية .

توجهاته القديمة ماركسية ، وتحول الآن تجاه الغرب من أهم كتابه :" المال والهلال " و " لو لم يظهر الاسلام ما حال العرب الآن ؟"

أما كتابه الأول " المال والهلال " فقد ألفه بنظرة ماركسية ابتغى من خلالها تشويه الاسلام ، وعزو جميع أحداثه منذ زمن الرسول صلى الله عليه وسلم إلى العامل الاقتصادي .

من آرائه :

التوجه بيت المقدس سببه العامل الاقتصادي !: الذي سيؤدي بقريش في النهاية إلى الخضوع والاستسلام له .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تحريم الربا سببه توجيه ضربة مالية لليهود !!؟

❖ شترواس : عالم انسانيات اجتماعي انثروبولوجي ، يعد الأب التنظيري للبنيوية ، من أهم كتبه : الأنثروبولوجيا والبنيوية .

❖ صادق جلال العظم : سوري (من أصل تركي) يدين بالفكر الشيوعي ولد في دمشق سنة ١٩٤٢ م

درس الفلسفة وكانت رسالته عن الفيلسوف (كانط) عمل في الجامعة الأمريكية ببيروت ، ثم استاذاً بجامعة عمّان سنة ١٩٦٨ م ، ثم باحثا في مركز الأبحاث الفلسطيني ثم عاد إلى دمشق وتولى رئاسة قسم الفلسفة بجامعة دمشق .

اعتنق العظم الفكر الشيوعي (وجهر) بإلحاده في كتابه الشهير " نقد الفكر الديني " المطبوع عام ١٩٦٩ م الذي خلاصته الزعم بأن الدين (لا سيما الاسلام !) يناقض العلم الحديث !

❖ علي حرب : مفكر لبناني معاصر ، يكتب في الفلسفة وفي ما يسمى " النقد التفكيكي " على وجه الخصوص .

وهو يؤمن بجميع الأديان وقد جهر بهذا في مواضع من كتبه ، منها قوله :" انني اسعى الى التحرر من كل أدلجة وأحاول النهوض من كل سبات عقائدي ، أكان نبويا أم فلسفيا ، أم دينيا أم علمانيا ، أصوليا أم حداثيا ، " الفكر والحدث ، ص ٢٣٧) .

وقد اعترف في النهاية بأنه لا يملك مشروعا فكريا ! انما هو الهدم للعقائد ،" يعتني الدكتور علي حرب بالنص ، وتقوم دراساته حول النصوص الفكرية والفلسفية .

❖ فريدريك نيتشه : ١٨٤٤ م — ١٩٠٠ م فيلسوف ألماني ملحد

فلسفته :

التأكيد على الذاتية في مقابل الموضوعية بالنسبة للصلة بين الانسان والعالم. فقد ذهب نيتشه — كما ذهب " شوبنهاور " من قبله — الى أن أفكار الانسان

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومعارفه عن العلم الخارجي متأثرة بأوهام ذاتية ، ومعتقدات شخصية لا حقيقة لها في الخارج . وأن الحقائق الموضوعية للعالم تختلف عما يتصوره الانسان ويعتقده عنها ، لذلك كانت معارف الانسان عن العالم إنما هي أوهام ذاتية وخرافات مورثة .

ان أخطر هذه الأوهام الذاتية وأكبر تلك الخرافات المورثة التي تخالف الواقع وتصادم الموضوع انما هو الدين وكل ما يتصل به . فالدين هو أكبر خرافة توارثتها الانسانية جيلا بعد جيل .

أهم ما في فلسفته جانبان : جانب سلبي ، وجانب ايجابي ، أما الجانب السلبي .. فيتمثل في النقد العنيف والقاسي والملح للدين والقيم والأخلاق ، فهو لا يفتأ في كل مؤلفاته بنقدها ويجاريها على أمل أن يقضي عليها .

فيما يتصل بالجانب الخلقي .، فقد وضع مقياساً للأخلاق ربط فيه بين القوة والفضيلة — دعا نيتشه إلى شعار يقول " كن نفسك ، ولا تكن غيرك " .

وهو يعني بهذا أن يرفض الانسان كل الأشياء التي ورثها ، والتي تربطه بالآخرين ، وأن يحطم القيم ، والعادات ، والأعراف ، والتقاليد ، بل يجب عليه أن يحطم أخطر تلك القيود التي تمنعه عن " الخلق " والابتكار وتحقيق ذاته ، وهذه القيود الأخطر هي في نظره : الدين .

❖ فريدريك نيتشه : فيلسوف ألماني وناقد أخلاقي كشفت فلسفته سلبيات التدين الغربي ، ووقفت ضد التقليد والأخلاق ، وانتقد رجال الدين ، صاحب نظرية موت الإله ، التي اصبحت دستوراً لمعظم التيارات الفلسفية ، اليه تنسب جذور العلمانية .

❖ محمد أركون : مفكر جزائري ولد عام ١٩٢٨ م بالجزائر ، وبها بدأ دراسته ، ثم أتمها بباريس عام ١٩٥٥ م ، حصل على الدكتوراه من جامعة (السوربون) سنة ١٩٦٩ م من كتابه (الانسية العربية في القرن الرابع الهجري) ، نشأ نشأة استشراقية ألقت بظلالها على نشاطه وانتاجه الفكري ، حاضر في العديد من الجامعات الفرنسية والعربية ، ويعمل حاليا استاذا بجامعة (السوربون

© Arabic Digital Library Yarmouk University

) بباريس ، من مؤلفاته (الفكر العربي) (الفكر الاسلامي نقد واجتهاد) (تاريخية الفكر العربي الاسلامي) (من الاجتهاد إلى نقد العقل الاسلامي) وغيرها ، وهو أحد كبار العلمانيين الداعين إلى التعامل مع الاسلام — كتابا وسنة بوجه خاص — بالمقاييس الغربية ، يتهم المنهج الاسلامي بأنه منهج أسطوري لا تاريخي مغرق في التجريد والمثالية .

❖ محمد سعيد العشمانوي : هو المستشار محمد سعيد العشماوي ، رئيس محكمة الجنايات ومحكمة أمن الدولة العليا بمصر .

❖ تخرج من كلية الحقوق عام ١٩٥٥ م ، ثم عمل بالقضاء الوضعي بمحاكم القاهرة والاسكندرية ، عمل بالتدريس محاضرا في أصول الدين والشريعة والقانون في عدة جامعات منها : الجامعة الأمريكية بالقاهرة ، وجامعة توبنجن بالمانيا الغربية ، وأوبسالا بالسويد ، ومعهد الدراسات الشرقية بلينتجراد بروسيا ، والسوربون بفرنسا .

من كتبه : " رسالة الوجود " عام ١٩٥٩ م " تاريخ الوجودية في الفكر البشري " عام ١٩٦١ م " ضمير العصر " عام ١٩٦٨ م " حصاد العقل " عام ١٩٧٣ م " اصول الشريعة " عام ١٩٨٠ م " الربا والفائدة في الاسلام " " الاسلام السياسي " " جوهر الاسلام " " الخلافة الاسلامية " " الشريعة الاسلامية والقانون المصرية " شؤون اسلامية " " معالم الاسلام " ،.

من أفكاره :

يعد العشماوي من دعاة فصل الدين عن الدولة

زعمه نجاة اليهود والنصارى في الآخرة وان لم يؤمنوا بالاسلام

اسقاطه حد شرب الخمر في كتابه " الاسلام السياسي "

زعمه " أن تطبيق الشريعة يهدف إلى تفتيت وحدة الشعب والى اظهار الاسلام بصورة سيئة .

ادعاؤه أن " الأحوال الشخصية " — وهي البقية الباقية من الأحكام الشرعية !- تهضم حقوق المرأة .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

زعمه " أن أحكام الشريعة في المعاملات مؤقتة ، لا استمرار لهـــا ولا خلـــود " اباحته للربا في كتابه " الربا والفائدة في الاسلام ".

❖ محمد عابد الجابري : كاتب مفكر مغربي معاصر ولـــد بـــالمغرب عـــام ١٩٣٦ م وحصل على دبلوم الدراسات العليا في الفلسفة عام ١٩٦٧ م وعلـــى دكتوراه الدولة في الفلسفة عام ١٩٧٠ ن كلية الاداب بالرباط .

يعمل حاليا استاذا للفلسفة والفكر العربي الاسلامي في كلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالرباط

من مؤلفاته :

نحن والتراث ، تكوين العقل العربي ، فكر ابن خلدون ، العـــصبية والدولـــة ، اشكاليات الفكر العربي المعاصر، الخطاب العربي المعاصر ، نحو اعادة بناء قضايا الفكر العربي المعاصر ، المسالة الثقافية ، الديمقراطية وحقوق الانسان ١٩٩٤ ، مساله الهوية ، العروبة والاسلام والغرب ، المثقفون في الحضارة العربية

❖ ميشيل فوكو : ولد سنة ١٩٢٦ م يعتبر من رواد البنوية وفلاسفتها مـــن مؤلفاته تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي ، وأروكولوجيا المعرفة .

❖ نصر حامد أبو زيد : من مواليد ١٩٤٣ م طنطا – محافظـــة الغربيـــة – حاصل على دكتوراه من قسم اللغة العربية وأدابها ، كليـــة الآداب ، جامعـــة القاهرة ، في الدراسات الاسلامية ١٩٧٢ م ،

من مؤلفاته : الامام الشافعي وتأسيس الأيدلوجية الوسطية ، نقل الخطاب الديني ، مفهوم النص ، التفكير في زمن التكفير ، اشكاليات القراءة وآليات التأويل .

❖ هشام جعيط : هو أحد المفكرين التونسيين المعاصرين ولد عام ١٩٣٥ م ، يكتب ابحاثه باللغة الفرنسية .

أهم مؤلفاته :

اوروبا والاسلام : الشخصية العربية والاسلامية والمصير العربي ، جدلية الـــدين والسياسة في الفكر الاسلامي .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

نقص صفحة 254 من المصدر

المصادر والمراجع

- آلان تولان . نقد الحداثة ، ت أنور مغيث - المجلس الأعلى للثقافة القاهرة د . ط سنة ١٩٩٧م
- أدونيس - علي أحمد سعيد . مقدمة في الشعر العربي — دار العودة — بيروت سنة ١٩٨٦ م
- أركون ، محمد . الفكر الإسلامي قراءة علمية ت هاشم صالح

منشورات مركز الإنماء القومي — بيروت سنة ١٩٨٧ م د . ط

- الفكر الإسلامي نقد واجتهاد ، ترجمة هاشم صالح — دار الساقي بيروت ، لندن ط٢ سنة ١٩٩٥ م
- القرآن من التفسير الموروث إلى نقد الخطاب الديني ، ترجمة صالح هاشم — دار الطليعة - بيروت ط١ سنة ٢٠٠١ م
- قضايا في نقد العقل الديني ، ترجمة هاشم صالح — دار الطليعة بيروت ط١ ١٩٩٨ م
- تاريخية الفكر الإسلامي ، ترجمة هاشم صالح منشورات مركز الإنماء القومي - بيروت سنة ١٩٨٦ م
- من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي ، ترجمة هاشم صالح دار الساقي — بيروت - لندن ط١ سنة ١٩٩٣ م
- الإسلام والاخلاق والسياسة ، ترجمة هاشم صالح — مركز الإنماء القومي — بيروت — باريس ، ط١ سنة ١٩٩١ م
- نزعة الأنسنة في الفكر العربي جيل مسكويه التوحيدي — ترجمة هاشم صالح — دار الساقي — بيروت — لندن ط١ ١٩٩٧ م
- الفكر العربي ترجمة ، عادل العوا — ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر سنة ١٩٨٢ م

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- الألوسي ، شهاب الدين محمود ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثـــاني — دار الكتب العلمية — بيروت سنة ١٩٩٤ م
- الأصفهاني ، الراغب ، معجم مفردات القرآن الكريم . دار الكتب العلمية — بيروت
- الآمدي ، علي بن محمد ، الأحكام في أصول الأحكام تحقيق سيد الجميل — دار الكتاب العربي — بيروت سنة ١٤٠٤ هـــ
- بوكاي ، موريس ، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثـــة — دار رشـــا — بيروت ط١
- براده ، محمد ، اعتبارات نظرية لتحديد مفهوم الحداثة
- بارت ، رولان ، هسهسة اللغة ، ترجمة منذر عياش ، مركز الانماء الحضاري — سوريا — حلب ط١ سنة ١٩٩٩ م
- الباقلاني ، أبو بكر محمد بن طيب ، اعجاز القرآن ، عالم الكتب — بيروت ط١ ســنة ١٩٩٨ م ، ١٤٠٨ هـــ
- البعلبكي ، منير ، قاموس المورد ، دار العلم للملايين — بيروت سنة ١٩٧٠ م
- البخاري ، محمد بن اسماعيل ، صحيح البخاري المسمى (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه) — دار الأرقم بيروت — د.ط . د. ت
- البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل — دار الفكر - بيروت د. ط . د.ت
- البهي ، محمد ، الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي ، مكتبة وهبه — القـــاهرة ط ١٠ د . ت
- تورين ، الان ، نقد الحداثة ، نقد الحداثة ، ترجمة أنور مغيث ، المجلس الأعلى للثقافة سنة ١٩٩٧ م د. ط
- تيزيني ، طيب ، النص القرآني أمام اشكالية البنية والقراءة - دار الينابيع — بيروت ط١ - من التراث إلى الثورة — دار ابن خلدون — بيروت ط١ ١٩٨٧ م ج ١
- التهانوي ، محمد بن علي ، كشاف اصطلاحات الفنون ، المكتبة الإسلامية ، بـــيروت ، سنة ١٩٩٦

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- ابن تيمية ، أبو العباس محمد بن عبد الحليم ، درء تعارض العقل والنقل تحقيق د. محمد رشاد سالم ، جامعة الإمام محمد بن مسعود ط١ سنة ١٤٠١ هـ ، ١٩٨١ م
- مجموع الفتاوى ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد قاسم العاصمي ط١ سنة ١٣٩٨ هـ
- التريكي ، فتحي ، فلسفة الحداثة ، مركز الإنماء القومي — بيروت ط١ سنة ١٩٩٢ م
- جان ، بياجيه ، البنيوية ، ترجمة عارف منيمنه ، منشورات عويدات ، بيروت ، ط٤ ، سنة ١٩٨٥م
- جاك دريدا ، الاستنطاق والتفكيك ، مجلة الكرمل ، العدد ١٧ ، ص ٥٦ ترجمة كاظم جهاد ، سنة ١٩٨٥
- الجابري ، محمد عابد ، مدخل الى القرآن الكريم ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت لبنان ط١ ، ٢٠٠٦ م ،
  - مسألة الهوية — بيروت مركز دراسات الوحدة العربية ، ط١ سنة ١٩٩٥
  - تجديد النهضة باكتشاف الذات ونقدها
- الجرجاني ، عبد القاهر ، دلائل الاعجاز ، تحقيق : محمد رشيد رضا ، دار المعرفة بيروت ، لبنان ١٩٧٨م
- الجرجاني ، علي بن محمد ، دار الكتاب العربي — بيروت ط٢ سنة ١٤١٣ هـ ، ١٩٩٢ م
- جلال العظم ، صادق ، نقد الفكر الديني ، دار الطليعة — بيروت د.ت،د.ط
- جارودي ، روجيه ، البنيوية فلسفة موت الانسان ، ترجمة جورج طرابيشي ، دار الطليعة ط٣ سنة ١٩٨٥ م
- الجرجاني ، عبد القاهر ، الرسالة الشافية مطبوعة من ثلاث رسائل في الاعجاز تحقيق محمد زغلول ، دار المعارف — مصر

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- الجرجاني ، الشريف ، التعريفات ، تحقيق ابراهيم الأنباري ، دار الكتاب العربي – بيروت ط٤ د.ت
- الجنحاني ، الحبيب ، نقد خطاب الحداثة المؤتمر العلمي الخامس ، جامعة فيلادلفيا – عمان سنة ١٩٩٩م
- الجيلاني ، مفتاح ، الحداثيون العرب والقرآن الكريم ، دار النهضة والنشر للطباعة والنشر – دمشق ط١ سنة ٢٠٠٦ م
- جميل صليبا ، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، ط١
- جعيط ، هشام ، العالم الإسلامي والحداثة ، النهضة العربية الثانية تحديات وآفاق ، أعمال منتدى عبد الحميد شومان ، المؤسسة العربية لدراسات – عمان – الأردن ط١ سنة ٢٠٠٠ م

– الشخصية العربية الاسلامية والمصير العربي ، ترجمة الصيادي ، بيروت ، دار الطليعة ١٩٨٤ م ط١

- جلال العظم ، صادق ، نقد الفكر الديني ، دار الطليعة – بيروت د.ت،د.ط
- جارودي ، روجيه ، البنيوية فلسفة موت الانسان ، ترجمة جورج طرابيشي ، دار الطليعة ط٣ سنة ١٩٨٥ م
- الجرجاني ، عبد القاهر ، الرسالة الشافية مطبوعة من ثلاث رسائل في الاعجاز تحقيق محمد زغلول ، دار المعارف – مصر
- جعفر ، عبدالوهاب ، البنيوية بين العلم والفلسفة عند ميشيل فوكوه ، دار المعرف ، القاهرة ، سنة ١٩٨٩ م ، ط١ .
- حموده ، عبد العزيز ، المرايا المحدبة ، عالم المعرفة ، المجلس الأعلى للثقافة والفنون – الكويت ، العدد ٢٣٢ سنة ١٩٩٨ م
- حميد سمير ، الهرمينوطيقيا والنص القرآني ، دار البيارق – عمان ط١ سنة ١٩٩٠ م
- الجندي ، أنور ، من أصالة الفكر الإسلامي
- حسين ، طه ، مستقبل الثقافة في مصر ، مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة سنة ١٩٩٣ م د. ط

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- في الشعر الجاهلي ، دار المعارف للطباعة والنشر – سوسة – تونس ط ١ ٢٠٠٣ م

● الحوالي ، سفر بن عبدالرحمن ، مقدمة في تطور الفكر الحداثي ، مجلة البيان ، العدد ١٩٩ ، ربيع الأول ، سنة ١٤٢٥ – ٢٠٠٤

- التراث والتجديد ، مكتبة الأنجلو مصرية – القاهرة ط٣ سنة ١٩٨٧ م

- الحوالي ، سفر بن عبدالرحمن ، مقدمة في تطور الفكر الحداثي ، مجلة البيان ، العدد ١٩٩ ، ربيع الأول ، سنة ١٤٢٥ – ٢٠٠٤

● حنفي ، حسن ، من العقيدة إلى الثورة ، مطبعة مدبولي – القاهرة د.ت ، د. ط

- موقفنا الحضاري لمستقبل العربي ، العدد ٧٦ السنة الثانية حزيران سنة ١٩٨٥ م

- الإحكام في أصول الأحكام ، دار الكتب العلمية - بيروت ط١ سنة ١٩٨٥م

●

● حرب ، علي ، الممنوع والممتنع ، المركز الثقافي العربي ، بيروت – الدار البيضاء ط١ سنة ١٩٩٥ م

- نقد النص ، المركز الثقافي العربي ، بيروت – الدار البيضاء ط٢ سنة ١٩٩٥ م

● حاج حمد ، أبو القاسم ، العالمية الإسلامية الثانية ، دار المسيرة – بيروت ١٣٩٩ هـ د. ط

● حاج حمد ، أبو القاسم ، العالمية الإسلامية الثانية ، دار المسيرة – بيروت ١٣٩٩ هـ د. ط

● ابن حزم ، علي بن أحمد ، الفصل في الملل والأهواء والنحل تحقيق د. محمد ابراهيم نصر ، دار الجليل – بيروت

● حداد ، الطاهر ، امرأتنا في الشريعة والمجتمع ، الدار التونسية للنشر – تونس ط٢ سنة ١٩٧٢ م

● خليل ، عماد الدين ، قالوا عن الاسلام ، الندوة العالمية للشباب الاسلامي ، الرياض ، ط١ ١٩٩٢ م

● خليل أحمد ، ابراهيم ، محمد في التوراة والإنجيل والقرآن ، مكتبة الوعي العربي ، القاهرة ، ط٢ سنة ١٩٦٥ ص ٤٧ ،٤٨

● خليل ، أحمد خليل ، جدلية القرآن ، دار الطليعة ، بيروت ط١ ، د .ت

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

● خلف الله ، محمد ، الفني القصصي في القرآن ، مكتبة الأنجلو مصرية - القاهرة ط٣ سنة ١٩٦٥ م

● الخطابي ، بيان اعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن

● ابن خلدون ، عبدالرحمن بن حمد ، مقدمة ابن خلدون ، الناشر المكتبة العصرية ، بيروت ، سنة ١٩٩٥ م ، ط ١

● دراز ، عبدالله محمد ، النبأ العظيم ، دار طيبة — الرياض ط١ سنة ١٩٩٧م

● الدوري ، قحطان عبد الرحمن — التحدي في آيات الاعجاز ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ط١ سنة ١٤١٧هـ ١٩٩٧م

● ابوديب ، كمال ، جدلية الخفاء والتجلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، سنة ١٩٧٩

● الرافعي ، مصطفى صادق ، تاريخ الأدب العربي ، ط٤ ١٩٧٤ م

- اعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، المكتبة التجارية — مصر سنة ١٩٦١م

● الرازي ، فخر الدين الرازي محمد بن عمر ، التفسير الكبير ومفاتح الغيب ، دار الفكر — بيروت

● الرماني ، ابراهيم ، النكت في اعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في الاعجاز

● ريان ، محمد أحمد رشيد ، الحداثة والنص القرآني ، رسالة ماجستير / الجامعة الاردنية سنة ١٩٩٧ م

● زيدان ، عبد الكريم ، الوجيز في اصول الفقه ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ط٣ ، ١٩٩٠ م

● ابو زهرة ، محمد ، اصول الفقه ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، سنة ١٩٥٨م ،

● ابو زيد ، نصر حامد ، النص والسلطة الحقيقية ، المركز الثقافي العربي — بيروت ، الدار البيضاء ط٢ سنة ١٩٩٧ م

- الامام الشافعي وتأسيس الأيديولوجية الوسطية — مطبعة مدبولي — القاهرة ط١ سنة ١٩٩٦ م

- نقد الخطاب الديني ، مطبعة مدبولي — القاهرة ط١ سنة ١٩٩٦ م

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- فلسفة التأويل — دراسة في تأويل القرآن عند ابن عربي ، مركز إنماء الثقافي العربي الـــدار البيضاء ط٥ سنة ١٩٨٠ م

- مفهوم النص ، المركز الثقافي العربي — بيروت — الدار البيضاء ط٤ سنة ١٩٩٨ م
- الخطاب والتأويل ، المركز الثقافي العربي — بيروت — الدار البيضاء ط١ سنة ٢٠٠٠ م

- ابو زيد ، محمد شرعي ، جمع القرآن من العصر النبوي إلى العصر الحديث رسالة ماجستير جامعة الكويت سنة ١٩٩٨ م
- الزرقاني ، محمد عبد العظيم ، مناهل العرفان ، دار الفكر — بيروت ط٣ سنة ١٩٨٣ م
- زريق ، قسطنطين ، المنهج العصري محتواه وهويته — التراث وتحديات العصر في الـــوطن العربي — بيروت — مركز دراسات الوحدة العربية سنة ١٩٨٥ م

- زكريا ، فؤاد ، الصحوة الإسلامية في ميزان العقل ، دار التنويرللطباعة والنشر والتوزيع ط١ سنة ١٩٨٥ م
- الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار الفكر للنـــشر ط٣ سنة ١٩٨٠ م
- أبو زكريا ، يحي بن شرف النووي ، شرح صحيح مسلم ، دار الكتاب العربي — بيروت — لبنان ط١ سنة ١٩٨٧ م
- الزركلي ، خير الدين ، سير أعلام النبلاء ، دار العلم للملايين ط٥ سنة ١٩٨٠ م
- الزمخشري ، محمد بن عمر ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، دار الكتاب العربي — مصر
-
- سامر الاسلامبولي ، ظاهرة النص القرآني تاريخ ومعاصرة
- سبيلا ، محمد ، الحداثة وما بعد الحداثة ، دار توبقال — الدار البيضاء — المغرب ط١ سنة ٢٠٠٠ م

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، المؤسسه السعيدية ، الرياض – السعوديه طبعة ١٩٧٦ م
- سعفان ، إبراهيم ، أزمة الفكر العربي ، اللاذقية – دار الحوار للنشر والتوزيع ، ط١ ، سنة ١٩٩٤ م ،
- السيوطي ، جلال الدين ، الاتقان في علوم القرآن ، تحقيق د. محمد أحمد القيسيه ، مؤسسة النداء – أبو ظبي ط١ سنة ٢٠٠٣ م

– اسباب النزول : دراسة وتحقيق حامد أحمد الطاهر ، دار الفجر للتراث – القاهرة ط١ ، سنة ٢٠٠٢م

- ابو السعود ، محمد بن محمد العمادي ، ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم ، دار احياء التراث ، د .ط ، د.ت
- السيد ، اسماعيل علي ، البيان في علوم القرآن ، مطبعة الحسين الاسلامية ، خلف الجامع الأزهر ، القاهرة ، ط٢ ، سنة ١٩٩٢ م
- صفدي ، مطاوع ، نقد العقل الغربي ، مركز الإنماء القومي – بيروت – لبنان ط ١ سنة ١٩٩٠
- شاهين ، عبد الصبور ، قصة أبي زيد وانحسار العلمانية في جامعة القاهرة ، دار الاعتصام ، القاهرة ط١ ، د .ت
- الشافعي ،منى حسن ، التيار العلماني الحديث وموقفه من تفسير القرآن الكريم ، رسالة ماجستير / جامعة الأزهر – القاهرة سنة ٢٠٠٥ م
- شرابي ، هشام ، النظام الأبوي واشكالية تخلف المجتمع العربي ، ترجمة محمود شريح – دار نلسن – السويد ط٤ سنة ٢٠٠٠ م
- شلبي ، محمد ، رد مفتريات على الإسلام ، عن رسالة المجلس الملي القبطي الأرثوذكسي بالإسكندرية ، دائرة المعارف البريطانية ، د .ت
- الشلبي ، مصطفى ، احكام المواريث بين الفقه والقانون ، دار النهضة العربية – بيروت ، سنة ١٩٧٨ م ،

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- الشيخ ، محمد ، مقاربات في الحداثة وما بعد الحداثة ، دار الطليعة -- بيروت -- لبنان ط١ سنة ١٩٩٠ م
- الشاروني ، الحبيب ، الفلسفة المعاصرة ، دار المعرفة الجامعية — القاهرة ط١ سنة ٢٠٠٢ م
- الشعراوي ، محمد متولي ، شبهات حول الإسلام ، د.ت
- معجزة القرآن ، مكتبة التراث الاسلامي ، القاهرة ط١ سنة ١٩٨٨ م
- الشوكاني ، محمد بن علي ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، دار الخير ، ط١ سنة ١٩٩١م
- صفدي ، مطاوع ، نقد العقل العربي ، مركز الإنماء القومي — بيروت ط١ سنة ١٩٩٠
- صالح ، محمد أديب ، تفسير النصوص في الفقه الإسلامي ، المكتب الإسلامي — بيروت ط١ سنة ١٩٨٤ م
- صليبا ، جميل ، المعجم الفلسفي ، دار الكتاب اللبناني — بيروت -- لبنان ط١ سنة ١٩٩٠ م
- الطبري ، ابن جرير ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٥٦٧/٨)، تحقيق محمود وأحمد ابنا محمد شاكر ،دار المعارف، القاهرة ، الطبعة الثانية
- الظاهري ، ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل
- عمارة ، محمد أزمة الفكر الإسلامي الحديث ، دار الفارابي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ٢٠٠٤ م
- الإسلام بين التنوير والتزوير ، دار الشروق ، ط٢ ٢٠٠٢م
- سقوط الغلو العلماني ، دار الشروق ، ط١ ١٩٩٥ م
- عباس ، احسان ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ٣٥٥ ، دار الثقافة -- بيروت ، د،ط ، د،ت
- عبد الرحمن ، طه ، روح الحداثة ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء — المغرب ط١
- العادلي ، حسين ، حرب المصطلحات ، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ط١ سنة ٢٠٠٣ م

© Arabic Digital Library Yarmouk University

- ابن عبد البر ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب
- عبد الجبار ، القاضي ، المغني في أبواب العدل والتوحيد مطبعة دار الكتب ط١ سنة ١٩٦٠ م
- العتر ، حسن ، بينات المعجزة الخالدة ، دار النصر – سوريا – حلب ط١ سنة ١٩٧٥ م
- عباس ، فضل حسن ، اعجاز القرآن الكريم ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ، عمان ط٣ سنة ١٩٩٩ م
- عدلي أمير خالد ، أحكام المواريث وتوزيع التركات في التشريع الاسلامي ، ، دار الجامعه للنشر والتوزيع ، الاسكندريه ط ١ سنة ٢٠٠٠ م
- العروي ، عبد الله ، الأيديولوجية العربية المعاصرة ، المركز الثقافي العربي – بيروت – الدار البيضاء ط١ سنة ١٩٩٤ م

– عبد الله العروي : العرب والفكر التاريخي ، ، ط٢ ، المركز الثقافي العربي .

- العسكري ، ابو الهلال ، الصناعتين ، تحقيق علي محمد البجاوي ، مطبعة البابي الحلبي ط١
- العشماوي ، محمد صالح ، أصول الشريعة ، مكتبة مدبولي – القاهرة ط٤ سنة ١٩٩٦ م

– جوهر الاسلام ، سينا للنشر – القاهرة ط٢ سنة ١٩٩٢ م

– معالم الاسلام ط١ – القاهرة سنة ١٩٨٩ م

- عبد الرحمن ، عبد الهادي ، سلطة النص ، سلطة النص قراءة في توظيف النص الديني ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط١ سنة ١٩٩٣م
- ابن عاشور ، محمد الطاهر ، التحرير والتنوير في التفسير ، الدار التونسية للنشر – تونس سنة ١٩٨٤ م
- غصيب ، هشام ، تجديد العقل النهضوي ، دار الفارابي – بيروت – لبنان ط١ ٢٠٠٤ م
- غمراوي ، محمد احمد : الاسلام في عصر العلم ، دار الكتب الحديثة ، ط١ ، د .ت
- غنيم ، كارم السيد : الإشارات العلمية في القرآن الكريم بين الدراسة والتطبيق ، دار الفكر العربي – القاهرة ط١ ، ١٩٩٥

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- فاضل ، صلاح ، نظرية الغائية في النقد الأدبي ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط٣ ، سنة ١٩٨٥ م
- فضل الله، مهدي ، العقل والشريعة ، دار الطليعة — بيروت — لبنان ط١ ١٩٩٥ م
- الفيروز أبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ سنة ١٩٩١ م
- ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ، تحقيق أحمد صقر ، د.ت ، د، ط
- القرني ، عوض ، الحداثة في ميزان الاسلام . دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع
- القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط١ ، ١٩٨٨م
- القمني ، سيد محمود ، رب الزمان ، دار قباء للنشر والطباعة والتوزيع ، القاهرة ، ط٢ ١٩٩٨م
- قطب ، محمد ، مذاهب فكرية معاصرة ، دار الشروق ط١ سنة ١٩٩٣ م
- قطب ، سيد ، في ظلال القرآن ، دار الشروق ، بيروت ط٢٢ سنة ١٩٩٤ م
- قسوم ، عبد الرزاق ، الصحوة الاسلامية في ميزان العقل ، دار علم الكتب للطباعة والنشر ، الرباط — ط١ سنة ١٩٩٧ م
- ابن كثير ، عماد الدين أبو الفداء ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض ط١ سنة ١٩٩٧ م
- مروة ، حسين ، النزعات المادية في الفلسفة العربية المعاصرة
- ميشيل ، فوكو ، حفريات المعرفة ترجمة سالم يفوت ، المركز الثقافي العربي ط٢ الدار البيضاء — بيروت سنة ١٩٨٧ م
- المسيري ، عبد الوهاب محمد ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، دار الشروق ط١ — القاهرة — بيروت سنة ١٩٩٩ م
- المطيري محسن بن زبن ، دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم ، دار البشائر الاسلامية ،بيروت لبنان ، ط١ ، سنة ٢٠٠٦ م
- النابلسي ، شاكر ، المال والهلال ، دار الساقي ، بيروت ، ط١ ، سنة ٢٠٠٢
- النابلسي محمد راتب : موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة — آيات الله في الأفاق ، دار المكتبي للطباعة والنشر — سورية — دمشق ، ط٢ ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥ م

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- النورسي ، بديع الزمان سعيد ميرزا ، اشارات الاعجاز في مظان المجاز تحقيق احسان الصالحي ، دار سوزلر — اسطنبول سنة ١٩٩٤ م
- النشار ، علي سامي ، مناهج البحث عند مفكري الاسلام
- النشار ، مصطفى ، مدخل لقراءة الفكر الفلسفي اليوناني
- النجار – زغلول : قضية الإعجاز العلمي للقرآن وضوابط التعامل معها ، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ط١ ٢٠٠٦ م
- النحوي ، عدنان ، الحداثة من منظور ايماني ، دار النحوي للنشر والتوزيع

– تقويم نظرية الحداثة ، دار النحوي للنشر والتوزيع ط٢ سنة ١٩٩٤

- المسرحي ، فارح ، الحداثة في فكر محمد أركون ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ط١ سنة ٢٠٠٦ م
- المطيري ، محسن بن زبن ، دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم ، دار البشائر الاسلامية ،بيروت لبنان ، ط١ ، سنة ٢٠٠٦ م
- ابن منظور ، محمد بن مكرم ، لسان العرب ، دار صادر — بيروت د. ت
- مسلم ، ابو الحسن مسلم بن حجاج القشيري ، الصحيح المختصر ، دار الأرقم ، بيروت — لبنان ط١ سنة ١٩٩٩ م
- ابن هشام ، السيرة النبوية ، مكتبة الكليات الأزهرية مصر د.ط ، د.ت
- هيتو ، محمد حسن ، المعجزة القرآنية مؤسسة الرسالة ، بيروت — لبنان ط٣ سنة ١٩٩٨ م

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الدوريات

- جورج طرابيشي : مفهوم التقدم – الوحده السنة الأولى العدد / ٢ تشرين٢ ،١٩٨٤ ص ٥٢
- رفيق بوشلاله ، مآزق الحداثة ،إسلامية المعرفة السنة الثانية ، العدد السادس ، ص ٥
- عبدالله الدعجاني ، مجلة البيان ، جدلية العقل والنقل ، العدد ٢٣٤
- اركون ،محمد : الإسلام التاريخ والحداثة ص ٢٥ ترجمة هاشم صالح مجلة الوحدة الرباط عدد /١ سنة ١٩٨٩ م
- الزواوي بغوره : الحاضر بديل عن الحداثة وما بعد الحداثة ، مجلة قضايا فكرية العدد ١٩ ، ٢٠ سنة ١٩٩٩م – القاهرة ص ٢٣٧
- محمد بوراس ، : محمد اركون ومشروعه النقدي مجلة البيان العدد ١٧٩ رجب سنة ١٤٢٣ ه سبتمبر سنة ٢٠٠٢
- محمد رشيد رضا ، الإلحاد في الجامعة المصرية ، مجلة المنار العدد ٢٠
- عبد العزيز حموده ، المرايا المحدبة ، عالم المعرفة – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت ، العدد ٢٣٢ سنة ١٩٩٨
- انظر روبرتس وهايتس ، من الحداثة إلى العولمة – الكويت – عالم المعرفة العدد ٣٠٩ سنة ٢٠٠٤ م
- كمال ابو ديب ، الحداثة وما بعد الحداثة ، مجلة فصول ، العدد الرابع ، المجلد الرابع سنة ١٩٨٤
- جاك دريدا ، الاستنطاق والتفكيك ، مجلة الكرمل ، العدد ١٧ ، ص ٥٦ ترجمة كاظم جهاد ، سنة ١٩٨٥
- الدعجاني ، عبدالله بن نافع ، جدلية العقل والدين بين الفكر الغربي والدين الاسلامي ، مجلة البيان ، العدد ٢٣٤ ، صفر ١٤٢٨ ، السنة ٢٢
- الحوالي ، سفر بن عبدالرحمن ، مقدمة في تطور الفكر الحداثي ، مجلة البيان ، العدد ١٩٩ ، ربيع الأول ، سنة ١٤٢٥ – ٢٠٠٤ ، ص ٤ وما بعدها .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

The ABSTRACT

Al-Bshayreh, Zaki. M. Mohammad

The Arab New-Modernists Attitude from the Quranic Inimitability.
Doctorate Dissertation , Al Yarmouk University , 2008.

Supervision by: **Professor. Shhadeh Al-Amry .**

This study take the attitude of The Arab New-Modernists from the Holy
Qura'an and his Inimitability by the analyzing and the criticism by showing some of the intellective content that relate to The Qura'an and his Inimitability, then responding on it.

And so the study answered so much of The Arab New-Modernists says and opinions , like the Qura'an assumption, his historical forming, their said about his proportional inimitability, and that its just animist for The Arabs.

I used in my study the Extrapolative Consulting approach, That I collected a lot of their terms which relate to The Holy Qura'an and his Inimitability then I studied it and analyzed it.

The study reached to the dangerous of The New-Modern intellective purports which want to throw the religion away , and to generalizing the western experience with the church on our religion , without considering the civilization privacy of our nation and the disconnecting between the science and the mistiness of the new-modern method. I church, in addition the see that the reason is plurality of the intellective feeders at The Arab New-Modernists as Marxist, Existentialism, Laywoman, and others.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University